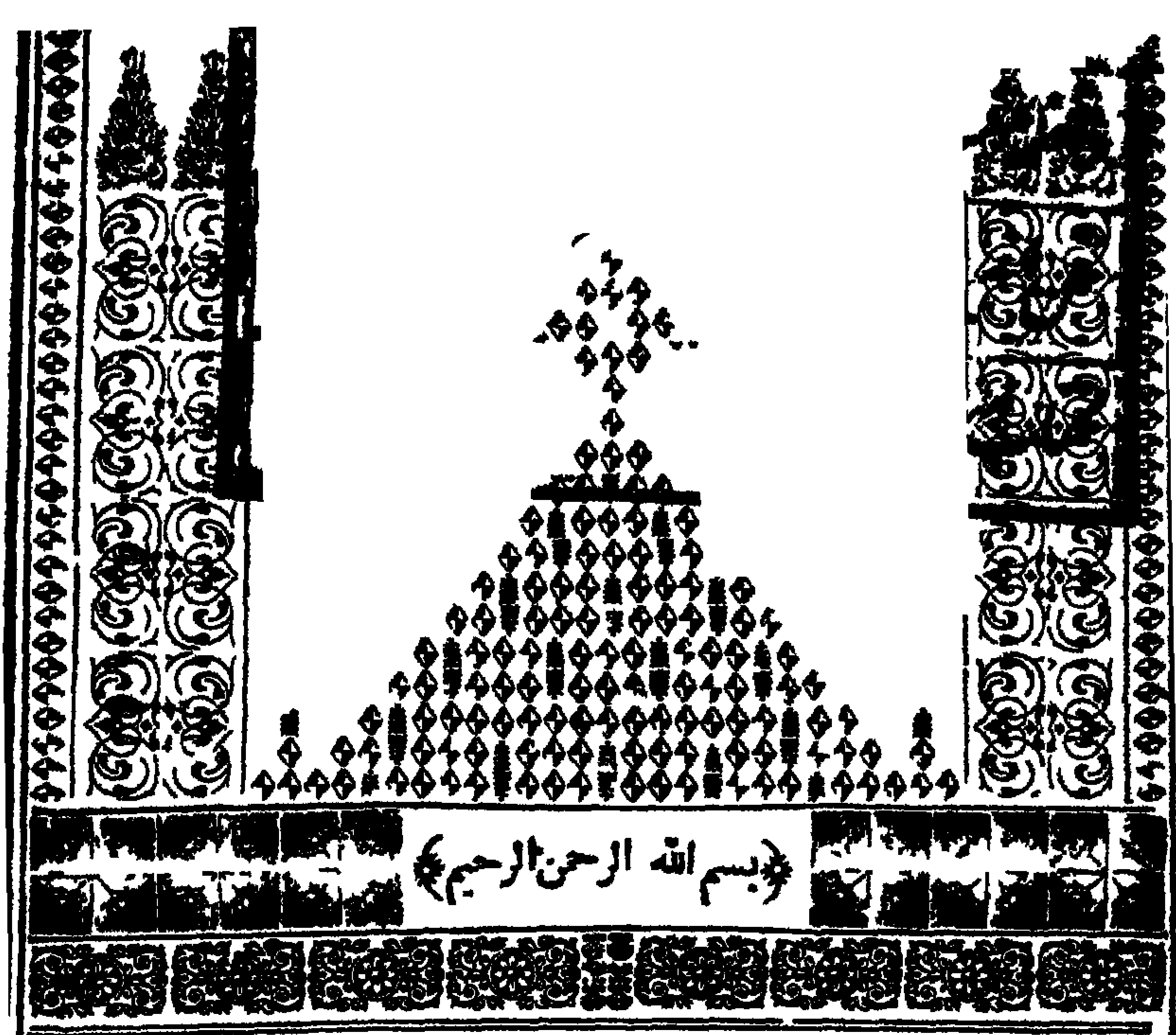
قصة سيد الانام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه الى الهضام بن الجحاف وقطعه الحصون السبعة حتى وصل اليه ونصره الله عليه وماجرى فى ذلك من انواع الطعن والضرب وانظهار

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بعز بقائه ونور بمعرفته قلوب أوليائه وطيب أسرار الصادقين بطيب ثنائه الحي العليم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في أرضه وسمائه أحمده سبحانه وتعالى حمد من تعرف بالعجز عن عدد آلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي تفرد بعزه وبقائه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام أرضه وسمائه وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فقد روى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري رضي الله تعالى عنه قال حدثنا يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة الجهني قالا حدثنا خلق كثير يروي بعضهم عن بعض فأخذنا من ذلك ما نرجو إن شاء الله تعالى تعليقه على قدر الروايات قالوا حدثنا صاحب الحديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال

كنا

كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده المبارك وكان يوم ريح ومطر اذ سمعنا صوتا جهورا بالمن وراء المسجد يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فالتفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ردوا على اخوانكم السلام يرحمكم الله فقلنا يا رسول الله فعلى من نرد ونحن لم نر أحدا نرد على الملائكة أم على الجان فقال بل على اخوانكم الجان الذين آمنوا بي وصدقوا برسالتي ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهر لنا أيها المتكلم لنراك فظهر لنا شيخ كبير قال على رضي الله تعالى عنه واذا به عرفطة بن شمراخ وكنت به عارفا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أرسلني معه الى قومه فاحرقت باسماء الله تعالى وبنوره منهم زيادة عن خمسين قبيلة من الجن وآمن منهم خلق كثير فسلم عرفطة على النبي صلى الله عليه وسلم وجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال يا رسول الله قد جئتك لاخبرك عن ما نحن فيه من الحرب والوقائع وقتال القبائل الجواهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم مع من يا عرفطة فقال مع كفار الجن ومردتهم وعفاريتهم عبدة الاصنام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ديارهم قريبة منا أم بعيدة يا عرفطة فقال يا سيدي في جبال واوكار واودية شتى قد أهلكوا منهم خلقا كثيرا وأهلكوا منا خلقا كثيرا وان لهم صنما يسمونه المنيع وقد تعالى الله عز وجل أن يشبه أو يمثل وهو السميع البصير فصنمهم هذا قائم بخدمته الملك الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي الملقب عرارة الموت لعنه الله والصنم المنيع موكل به مارد يقال له تريس بن داريس بن ابليس وله عشيرة عظيمة وقبيلة جسيمة ونحن في غزوهم وجهادهم وقد اشتدت بلية القوم وتعاظم أمر الهضام وكفر بالله تعالى واتخذ من دون الله الها وهو الذي يسمونه المنيع وقد جعل له جنة ونارا وجعل لها زبانية وسماهم الغلاظ الشداد وجعل له ملائكة وسماهم البررة الكرام وجعل في جنته الاشجار والانهار والاطيار وجعل فيها المخدرات المتعمات وسماهم الحور العين وجعل له عرشا وكرسيا وله شياطين من العفاريت الطيارين وسماهم الملائكة المقربين وأنت يا رسول الله لم يبلغك شيء من ذلك كله وقد اشتد تمرد القوم وطغيانهم وكفرهم برب العالمين (قال الراوي) فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفطة اشتد به الغيظ والغضب حتى كاد يطرب كالسفينة

في الريح العاصف وسجد على الارض طويلا ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغيظ ولمع النور من بين عينيه صلى الله عليه وسلم حتى لحق عنان السماء ثم أقبل على عرفطة وقال انصرف شكر الله سعيك وأحسن اليك وأنا أبعث لهم رسولا وهو سيفي ونقمتي على أعدائي فقال عرفطة يارسول الله اذا بعثت للقوم رجالا من الانس أبادوهم وقتلوهم فان عساكر الانس يقاتلون عساكر الانس ولم يطيقوا قتال الجن ومردتهم ولم يبلغوك منهم ماتريد الا الفارس الصنديد والبطل الشديد قالع الحلقة والقصر المشيد وسيد الانس والجن في البئر العميق والقرار البعيد مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب صاحب الحسام القاضب والغمام الساكب ابن عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم غاب عرفطة عن أعين الناس فنظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وظهر غيظه واحمرت عيناه وتقوست حاجباه فعظم ذلك على المسلمين وجلسوا حوله ينظرون الى الارض ويحدقون الى الامام علي كرم الله وجهه ويشيرون له يسألونه عما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم والامام علي صامت لا يتكلم ولم يرد عليهم ﴿قال الراوي﴾ فبينما الناس في ذلك واذا بجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين فوثب له النبي صلى الله عليه وسلم قائما على قدميه فرحا مسرورا وهو ينادي لبيك لبيك اللهم انا نسألك الفرج منك يامفرج كل هم وكاشف كل كرب ومزيل كل هم وغم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد وقال لا يقم أحد منكم من مقامه حتى أعود اليكم وخرج فمكث قليلا ثم رجع الى أصحابه وهم جلوس كل واحد منهم في مقامه وقد تهلل وجهه صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وجعل النور يشرق من بين عينيه صلى الله عليه وسلم فتواثب الناس اليه قياما يسألونه عن أمره ﴿قال الراوي﴾ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اجلسوا بارك الله فيكم فجلس الناس جميعا وصمتوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين سلمان وعمار فأجاباه بالتلبية ها نحن بين يديك قل ماشئت يارسول الله فانا لكلامك سامعون ولامرك مطيعون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم سيروا في شوارع المدينة ونادوا الصلاة جامعة بمسجد المختار لله الواحد القهار فلما سمع الصحابة ذلك النداء جعلوا يهرعون اليه من كل جانب ومكان حتى امتلأ المسجد بالناس ثم صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وخطب خطبة بليغة فشوق الى الجنة ونعيمها وحذر من

النار وجحيمها ﴿قال الراوي﴾ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم معاشر المسلمين ان الله جل وعلا وتقدست أسماؤه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا اله غيره يعبد رفع السماء بلا عمد وارسى الجبال بلا وتد وزين السماء بالنجوم الزاهرات والافلاك الدائرات وأجرى فيها الشمس والقمر آيات لاولى الالباب وبسط الارضين بحكمته على تيار الماء وثبتها بالجبال الراسيات واضحك ثغور البقاع الجامدات بفيض دموع السحاب المسخرات وثبت في الرياح العاصفات مخاليب الطيور الصافنات وقوى قبسة الجبال الراسيات على تلاطم أمواج البحار الزاخرات وعلق أستار أوراق الاغصان الناضرات ﴿قال الراوي﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم أيها المسلمون انما أنا بشر مثلكم آكل مما تأكلون منه وأشرب مما تشربون ولا أعلم ما كان ولا ما يكون ولا يحيط بذلك علما الا من يقول للشئ كن فيكون وخلق كل شئ بقدرته وعظمته ثم بعد ذلك أعلمكم أنه قد وفد علينا عرفطة من اخوانكم في الدين وهو من الجن المؤمنين وقد أخبرني عن اللعين الملك الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي لعنه الله قد اتخذ له صنما وسماه المنيع فتعالى الله جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يشبه بشئ ولا يعدل باسمه أحد سواه وذكر مع ذلك أنه صنع له جنة ونارا وملائكة وزبانية فيدخل من أطاعه وأطاع صنمه في جنته ويعذب بناره من عصاه وعصى صنمه وقد غرهم ابليس اللعين واستدراجهم وامهاله فلما سمعت ذلك كبر علي وعظم لدي ولا خفف عني ذلك الا حبيبي جبريل وقد أتاني وأخبرني عن ربي عز وجل وهو يقول لي يا محمد الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك اني قد علمت بما في نفسك وما قد نزل بك واني مبشرك ان دمار القوم ودمار صنمهم على يد رجل من أهل بيتك يحبه الله والملائكة وقد جعله الله سيف نقمتك وباب مدينتك الذي ما سجد لصنم قط وهو زوج البتول ابنتك والمتولي لدعوتك وحامل رايتك الفتى الولي مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب الحسام القاضب والليث المحارب والغيث الساكب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذه اشارة من عند ربي العلي الاعلى ﴿قال الراوي﴾ ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن يده فاذا فيها حريرة سوداء مكتوب فيها بقلم القدرة لم يكتبها كاتب فلما نشرها النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لنا منها نور له شعاع عظيم فقال الصحابة يا رسول الله أخبرنا

بما فيها فنظر فاذا فيها مكتوب بمشيئة الجبار امارة من الطالب الغالب الى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وقالوا لقد فاز من أمره الجبار وقربه برسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاخيار وأحزن بذلك الكفار ﴿قال الراوى﴾ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على أصحابه وقال لهم معاشر المسلمين هل فيكم من وصل الى ديار اللعين المضام بن الجاف بن عون فيخبرنا بما شاهد من ابطاله وأعوانه وكفره وطغيانه فقام عند ذلك رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن أنيس الجهني رحمة الله تعالى عليه فقال يارسول الله أنا أخشى أن يداخل قلبك الوهم والهم من وصفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابن أنيس فانا لا نخاف مع الله أحدا فقال يارسول الله بابى أنت وأمى ان خبره عظيم ان المضام بن الجاف لما نظر الى أصنام العرب التى يعبدونها من دون الله عز وجل دعته نفسه أن يصنع له صنما من الحديد الصيني وبنى له قبة عظيمة وجعل فى سماء القبة حجرا من المغناطيس وفى أسفل القبة حجرا آخر وعن يمين القبة حجرا وعن يسارها حجرا يوازن بعضها بعضا ويعادل بعضها بعضا وأوقف الصنم فى وسطها فى الهواء يجذبه كل حجر بقوته وذلك الصنم مرصع بالجواهر واليواقيت النفيسة وكساه بالحرير الملون ونصب له كرسيا مرتفعا مكللا بالدر والجوهر وشده بقضبان الذهب الاحمر والفضة البيضاء فما كان من العاج الابيض كانت كواكبه من الذهب الاحمر وما كان من الآبنوس الاسود كانت كواكبه من الفضة البيضاء ثم جعل لتلك القبة بابا عظيما من الذهب الاحمر وعلق على باب القبة سترا مزركشا وعلق من داخل القبة قناديل من اللؤلؤ بسلاسل من ذهب توقد بطيب الادهان وبنى من خارج القبة بيتا عظيما مانعا بالعلو وجعل سقف القبة من خشب الصندل وفصل أرضها وحيطانها بالرخام الملون وجعل من ورائها بيتا آخر مثل البيت الاول ومازال كذلك حتى جعلها سبعة أبيات يلى بعضها بعضا ولها سبعة أبواب منها ما هو من العاج ومنها ما هو من الآبنوس وغير ذلك وقد ركب فى تلك البيوت جامات من البلور المختلف الالوان فاذا طلعت الشمس على تلك الكواكب أشرق نورها على تلك البيوت والقبة وجعل على كل باب حاجبا وكلابه فاذا ورد اليه وارد أو قصد اليه قاصد من بعض الملوك أوقفه الحاجب الاول والثانى كذلك حتى

ينتهى الى الباب السابع وكلما جاوزبابا نظر الى غيره فاذاهو أعظم من الذى قبله فاذا
وصل الى المكان الذى فيه عدوالله الهضام وجده جالسا على سريره وقد أحدقت به
جنوده والحجاب حوله فاذاوقف بين يديه أمره الهضام بقلع ثيابه فيقلعها ويلبسونه
ثيابا غيرها ويقولون له ان ثيابك هذه عصيت فيها فهى تصلح لك ولاتصلح أن تدخل
بها على الاله المتيسم وأنت تطلب منه الغفران ثم يدفع له خاتما من الحديد ويقولون له
ان هذا الخاتم الذى تريد به عفوه عنك فاذاثبت فى يدك فقدعفى عنك وقبل توبتك
﴿قال الراوى﴾ ثم بعد ذلك يأمر الملك الهضام بفتح القبة لذلك الشخص فاذادخل
على الصنم وجد فى نفسه شيأ فيظن أن الصنم قد قربه اليه فيقولون له اشدد يدك على
الخاتم ولاتخلعه فيغضب عليك الاله الذى أنت طالب رضاه وكلما قرب من الصنم
جذبته السلسلة الى ورائه فاذا كان لاينقلع الخاتم من يده يأمرونه بالسجود فيخر
ساجدا ولم يزل كذلك حتى يهتف به من جوف الصنم الشيطان الموكل به ويأمره
بالقيام فيقوم فينذر ذلك الشخص مما أمكنه من الذهب والفضة أومن جواهر أوطيب
أوجوار أوعبيد أوخيل على قدرما تصل اليه قوته وقداستولى اللعين الهضام بهذه
الحيلة والزينة على الاموال والجنود والعبيد وكل شئ ذكرناه ﴿قال الراوى﴾ فلما
فرغ من ذلك خرج الى فلاة عظيمة من الارض فجمع الصناع وأمر بحفر حفرة طويلة
طولها أربعمائة ذراع وعرضها مثل ذلك ثم جعل لها أساسا وبناها بالصخور
العظام وأوقف عليها ألف عبد سود اغلاظا وأفرد لها ألف بعير يحملون الاحطاب
والاخشاب وألف عبد يجمعون لهم ذلك ويحملونه الى الحفرة وألف عبد يضرمون
النار فى الليل والنهار وسمى تلك الحفرة جهنم حتى اذا مربها طائر احترق من حرها وشدة
لهيبها وبنى لها دركات عاليات ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ من ذلك بنى دائرة
واسعة طولها عشرون فرسخا وعرضها مثل ذلك وجعل طينها المسك والزعفران
وأحجارها من جميع الالوان مثل الاحمر والاصفر والابيض والاخضر والازرق
وغرس فيها الاشجار وجمع فيها كامل الأصناف والاطيار وبنى فى وسطها دكة بيضاء
من الرخام المختلف الالوان واتخذ فيها قصورا وجعل سقوفها من الذهب الاحمر والفضة
البيضاء وجعل فيها مجالس وقبابا زاهرات وفرش أرضها من العقيق الأحمر
والسندس الاخضر وجعل فيها جوارى أبكارا كأنهن الاقمار ونظم ذوائبهن بالدر

والياقوت ووكل بأبواب تلك القصور غلمانا امردا جرداء وبهاهم الملائكة عليهم حلل من أنواع الحرير وعلى رؤسهم عمائم خضر وجمع في هذه القصور من الفواكه الصيفية والشتوية من أطيب الاثمار وجعل فيها الاطيار تغرد على الاغصان بانواع اللغات وجعل فيها أصناف الطيب المدقوق المعجون بماء الورد من حول القصور وفيها الخمر مسكوب والعسل مصبوب واللبن محلوب يصب في قنوات مصنوعة فمن أطاع هذا الصنم أدخله هذه الجنة وتلذذ بنعيمها ومن عصاه أدخله هذه النار يتلظى في جحيمها وقد تزايد أمر هذا اللعين الجبار وشاع بين العرب بشجاعته وعظم شره حتى لقبوه بجرارة الموت ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أنيس لقد حدثتني عن أمر عظيم لم أسمع مثله قط وأين أرضه وبلاده ومستقره قال يارسول الله باطراف اليمن مائلا الى العمران في وادي يقال له وادي القمر فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين مغرق الكتائب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب الليث المحارب والغيث الساكب والحسام القاضب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وثب قائما على قدميه وأنشد وجعل يقول شعرا

لبيك من داع ومن منادي * لبيك نور الله في البلاد

لبيك من داع الى الرشاد * فرجت عني كربة الفؤاد

قل ما تشا يا أكرم العباد * أفديك بالاهلين والاولاد

قال الراوي فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم ضاحكا من قول الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه ثم أقبل الامام على النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بين يديه فضمه النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا علي ابن عمي ووارث علمي وزوج ابنتي وحامل رايتي وسيف نقمتي من أساء اليه أساء الي ومن أحسن اليه أحسن الي ومن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ثم قال له عليه الصلاة والسلام أسمعت ما وصفه عبد الله بن أنيس الجهني من عدو الله هضام ابن الجحاف وجبره وكفره وجموعه قال نعم يارسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم يا أبا الحسين ان الله أمرني أن أخبرك بهذا الخبر وقد وعدني ربي بنصرك وحفظك ورجوعك الى سالما غانما فماذا تقول وآمرك عصابة من المسلمين وجماعة من المؤمنين تسير فيهم الى عدو الله الكافر وقد بلغني انه في تكاثر من الورود وان الله تعالى أكثر منهم عددا وهو القادر على أن لا يبقى منهم أحدا ﴿قال الراوى﴾ فأطرق الامام على رأسه الى الارض مليا ثم رفع رأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم ونظر اليه ولم يتكلم ثم عاد الى اطراقه ساعة ثم رفع رأسه ولم يتكلم ثم عادها ثالثا فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقد تبين في ذلك الوقت في وجوه المنافقين الفرح وقال بعضهم لبعض ان علي بن أبي طالب كره التوجه الى الملك المضام ويحق له ذلك ومن يقدر على وصف عبد الله بن أنيس وتكلم المؤمنون على قدر ما وصل اليهم وقال بعضهم لا شك انه يطلب جماعة منا يسير بهم الى عدو الله ولكنه استحيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذكره ذلك وقال بعضهم ان عليا كره الخروج من غير جزع ولا فزع وكثرت الاقوال بين الناس وعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن ما هذا السكوت والتواني برد الجواب وما علمت منك الا أنك لما آمر مبادر والى ما أخبرتك مسارع فهل لك من حاجة فتقضي أو كلمة فتمضي ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الامام على كرم الله وجهه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم ضاحكا وقال يا رسول الله حاجتي تقضيها كائنة ما كانت قال أي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا اني أقضيها ان وجدت الى قضائها سبيلا فقال الامام على رضي الله عنه ألم تأتك البشرى من عند المولى الكريم رب العالمين أن ترسلني لهذا الامر وضمن لك سلامتي وحفظ رعايتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الحسن فقال الامام على كرم الله وجهه اذا كان معي من يعصمني ويسلمني ويحفظني لا حاجة لي باحد غيره ولا تبعث لهذا الامر أحدا سواى فحسبي يا رسول الله نصر الله عز وجل وهو خير الناصرين وأسأل الله البلوغ الى مرادك وجلب المسرة الى فؤادك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل وجهه فرحا وسرورا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن كفيت الله شافيك وأهلك معاديك ثم كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون جميعا عند ذلك فرحين بما كشف الله عن قلوبهم من الهم والكرب وارغام أنف المنافقين أعداء الله قال عبد الله بن أبي سلول لعنه الله وهو

رأس المنافقين بالمدينة هذه أعظم فرحة وحق اللات والعزى لتحرقن عظام على بن
أبي طالب بنار المضام بن الجاف ولو خرج محمد اليه بجميع أصحابه ماقدروا عليه ولا
بقيتم ترون على بن أبي طالب بعد هذا اليوم ان هو خرج اليه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعى بدواة وقرطاس وقلم ودفعها الى الامام على بن أبي طالب
وقال له اكتب يا أبا الحسن الى عدو الله المضام كتابا بالتحذير والانذار فكتب الامام
على كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن عبد مناف داعي الورى الى الانصاف وهاديهم الى طريق الخير
والغفران الى المضام بن الجاف الباهلي أما بعد فقد اتصل الينا ما أنت عليه من
التكبر والتجبر والعتو على الله عز وجل وما صنعته من جنة ونار ياويلك والويل ثم
الويل لك تتخذ الحديد والجنادل أربابا من دون الله عز وجل أرأيت ما صنعته من نارك لو
أنك أمرت عبيدك الذين هم في هذه المدة ينقلون الحطب والاخشاب أن يسكتوا عنها
يوما واحدا السكن لهيبها وانقطع وهجها وخمد حرها ياويلك والويل لقومك بل لو حملوا
اليها الماء وسكبوه فيها الطفئت حرارتها وذهبت جمرتها فأين نارك من نار وقودها
الناس والحجارة أعدت للكافرين لا يخمد حرها ولا يبرد لهيبها وهي لا توقد بحطب
ولا بخشب بل توقد بسخط الله عز وجل فلا تخمد في ليل ولا في نهار عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون واعلم أن نارك التي توقدها انما
هي جزء منها وهي اثنين وسبعون جزأ وأما جنة الخلد التي وعد المتقون فيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين لا يفنى نعيمها ولا يزول ولا يتغير ولا ينقص ثمرها ولا يصفر
ورقها والمؤمنون فيها متنعمون في جوار رب العالمين وعلى الارائك متكئون وأما
جنتك التي أحدثتها فلو أمرت بمنع الماء عنها لجفت أغصانها وتساقط ورقها وفسد
ثمرها فاترك ما أنت عليه من المكر والتكبر ياويلك واعلم أنك ميت ومبعوث
ومسؤول عن فعلك وما أنت عليه وبتكبرك على خالقك ورازقك ولا تنفعك نارك ولا
جنتك فقل معي قولا عدلا لا اله الا الله محمد رسول الله واشهد لى بالرسالة تكن من
الفائزين والصديقين فان أبيت رميتك بسيف قاطع وبطل مانع كرار غير فرار
مؤيد بنصر من العزيز الجبار مسلط على الكفرة الاشرار ويحل لك ولصنمك الدمار
ويرميك وجميع قومك بالبوار وقد آذناك قبل الهجوم عليك والوصول اليك فانظر

لنفسك

لنفسك وتدبر أمرك والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام عليا كرم الله وجهه قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده الكريمة وطواه بعد أن ختمه بخاتمه الشريف ثم قال يا أبا الحسن خذ معك من المسلمين رجلا فاذا قربت من ديار عدو الله فقدمه امامك رسولا بهذا الكتاب فان أجابك الى ما دعوناه اليه وآمن بالله وصدق برسالتى فكف يدك عنه فان الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وان أبى هو وعصى وتجبر وطغى وبغى فانظر لنفسك وتدبر أمرك واحذر من المصون فى مسيرك وتوكل على الله وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ ثم أقبل النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال لهم من يمضى برسالتى مع ابن عمى وأنا اضمن له الجنة ولا يكون الا عارفا بديار القوم فعند ذلك نهض قائما اليه رجل من القوم يقال له جميل بن كثير العابدى وقال يا رسول الله أنا أمضى بكتابك مع ابن عمك على وكان جميل رجلا مشهورا وبطلا مذكورا لانه كان قريب عهد بالاسلام وكان لا يخفى عليه شئ من مياه العرب ولا من منازلهم فدفع له النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب وقال سر يا ابن كثير وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم اخرج مع ابن عمى على بن أبى طالب رضى الله عنه فعند ذلك قال جميل بن كثير يا رسول الله دعنى أتقدم امام ابن عمك فانى لا أطيق المسير معه وان شاء الله تعالى أسبقه الى ديار عدو الله الهضام وأسير اليه راجعا برد الجواب وألاقيه وأسرع له الخطاب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا جميل أصلح الله شأنك فقال نعم يا رسول الله ثم أتى الى داره وأصلح شأنه وشد راحلته وأقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعه وودع من كان حاضرا من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم سر يا جميل وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ ثم ان جميلا ركب على ناقته وخرج من المدينة وجد المسير وهو طالب ديار عدو الله الهضام هذا ما كان من حديث جميل وأما ما كان من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فانه أقام بالمدينة بقية يومه فلما دخل المساء أقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بخبر الذى مضى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن أيما أحب اليك تخرج على مطيتك أم على جوادك بل المطية أصلح فانها تحمل

الزاد وتصبر على مشقة السير وطي المراحل والركوب الى المنازل وقد جعلت الامر
اليك فقال له الامام أنا موقن بحفظ الله ومتوكل على الله ولو جعلت الامر الى فانى لا
أسير من عندك الا راجلا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن فكيف يكون
لك طاقة لحمل الزاد فقال له الامام على رضى الله عنه وحق الذى اختارك واصطفاك
لا أزال صائما حتى يردنى الله اليك سالما ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك الكلام من الامام على كرم الله وجهه تغرغرت عيناه بالدموع ثم قال
اللهم لا تفجعنى لفقده ولا تحزنى من بعده اللهم انه وديعتى اليك فاحفظه حتى ترده سالما
الى يا من لا تخيب عنده الودائع ثم ان الامام عليا رضى الله عنه انصرف الى منزله وبات
تلك الليلة يتحدث مع أولاده فلما أصبح الصباح وانشق الفجر بضيائه ولاح قام الامام
على رضى الله تعالى عنه فتوضأ وأفرغ عليه آلة حربه وتحزم بمنطقته وتنكب بحجفته
وضم أولاده الى صدره وجعل يقبل هذا مرة وهذا مرة ثم أقبل على فاطمة الزهراء رضى
الله تعالى عنها فودعها وقبلها بين عينيها ثم خرج الى المسجد وصلى مع النبي صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح ثم قال يا رسول الله منك القول ومنى السمع والطاعة أتأذن لى
بالخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لله الامر من قبل ومن بعد فاذا عزمت
فتوكل على الله ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على قدميه ونهض الناس
معه ولم يبق أحد الا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوصى الامام عليا كرم الله
وجهه ويحدثه بما يجرى له فى طريقه والناس يتعجبون من سير الامام وحده فلما بعد
عن المدينة وقف النبي صلى الله عليه وسلم وودع الامام عليا وودعه المسلمون ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا للامام بدعوات لا تحجب عن من خلق الارض والسموت
ثم أمر الامام بالمسير وقال سر بارك الله فيك الله خليفتى عليك ﴿قال الراوى﴾ ثم
ان النبي صلى الله عليه وسلم رجع وأمر الناس بالرجوع فرجع الناس وسار الامام
طالبا الى بلاد اللعين الهضام وحيدا بنفسه ليس معه من يؤانسه الا الله تعالى وكان
المنافقون قد خرجوا جميعا عند الوداع وهم يقولون اما ترون هذا على بن أبى طالب
اذ هو تعرض لمرارة الموت لم يبق لهذه الديار يعود وهم فرحون مسرورون ويقولون قد
فقد على بن أبى طالب حين سار لمرارة الموت والنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يدعون
للامام بالنصر والتأييد على أعدائه فهذا ما كان من أمر المنافقين والنبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من أمر الامام على كرم الله وجهه فانه سار واستقام به المسير واسلم نفسه لله عز وجل وأنشد وجعل يقول شعرا

أسير وحدي الى ماقد أراجيه * اذ كل ماقدر الله من أمر الاقيه
لا تنكره الموت في بدو ولا حضر * ان يدن منك فكن أنت مدانيه
أسير مستسلما لله معتمدا * عليه في كل أحوالي أناجيه
به ألوذ ومالى عنه من عوض * جل الاله فاني من محبيه
مالى سواه ومالى عنه مصطبر * وكيف عبد يرجى من مراجيه
صلى الاله على طه وعترته * مادام طير على غصن يناغيه

(قال الراوي) فبينما الامام سائر وقد غاب عن المدينة واذا بصائح من ورائه ينادى يا أبا الحسن سألتك بالله وبرسوله الا ما وقفت لى حتى ألحقك فوقف الامام والتفت الى ورائه واذا هو برجل طويل السواعد عريض المناكب وهو يسرع فى خطاه ويهرول فى مشيه فتأمله الامام على رضى الله عنه فاذا هو رجل من أشرار المنافقين يقال له ورقة بن خضيب من أقارب ابن أبي بن سلول المنافق لعنه الله وكان ذلك الملعون يتجسس الأخبار لعدو الله الهضام بن الجحاف وهو يظهر الاسلام ويكتم النفاق ويريد بذلك انه يظفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه على فلم يجد لذلك سبيلا فلما نظر الامام خرج فى ذلك اليوم وحيدا فريدا أقبل ذلك الرجل على قومه المنافقين فرحا مسرورا وقال لهم الآن قد بلغت مرادى وبلغت أمنيتي وها أنا أريد أن أرافق على بن أبي طالب الى ان أجد منه فرصة أو غفلة عند نومه أو مسيره فأقطع رأسه وأمضى بها الى الملك الهضام لأنال عنده المنزلة العليا وعند الاله المنيع الرفيع وأتقرب اليهم وأصير عندهم صاحب قدر وأشفى قلبي من العلل فقال اخوانه المنافقون شكر تك اللات والعزى وفرحوا بذلك فرحا شديدا لما يعلمون من شجاعته وقوة قلبه فمنهم من أحد الاوقد وعده بصلته وضمن له جعلان وصل الى ذلك ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك خرج ورقة بن خضيب ولحق أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه معارضا له وسالكا طريقه قال فالتفت الامام اليه وقال له من أنت ومن أين أتيت والى أين تريد فقال ورقة أتيت أريد مرافقتك ومصاحبتك ومساعدتك على أعدائك لانى مبتهج بصحبتك وبجتهد فى خدمتك فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضى الله عنه

من أحبنا التي بحبنا نعيما ومن بغضنا التي يبغضنا جحيما وكان الله عما قضى عليما ارجع يا ورقة لا أنس لي بك والله أعلم بما أضمرت جزاك الله عليه يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال ورقة يا أبا الحسن اني ما أتيت حتى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرافقة لك والمسير معك والمساعدة لك على أعدائك ثم انه لج عليه في السؤال بالخادعة والحيلة ومع ذلك لم يخف على الامام ما أضمره اللعين وما هو طالبه فأخذ حذره منه وأخفى ذلك وولى عنه الى ناحية من الطريق وسمح له بالمسير معه ﴿قال الراوي﴾ ثم سار الامام متجانبا متباعدا عنه وسار عدو الله الى جانبه ولم يبدي له شيأ وكتم أمره فقال له الامام ان كان ولا بد من صحبتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فأجابه ورقة الى ذلك وقال بأبي أنت وأمي وكيف أتعرض لك في شيء وأنت من بيت النبوة ومعدن الرسالة وانما أقتبس منك ومن علمك ولا أنازعك في صنعك ولا أما نعك في أمرك وانما أنا مساعدك في سفرك ومعاونك على أعدائك فعند ذلك خلا الامام سبيله وجد في سيره وأنشد وجعل يقول شعرا

من صاحب الليث يرجو منه خدعته * يسقى من أظفاره كأس الردى جرعا
من يشرب السم لا يأمن عواقبه * لو كان يعلم عقبى السم لامتنعا
من أضمر الشر يأتي نحوه عجلا * مسارعا قاصدا قد جاء متبعا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ورقة هذه الأبيات من الامام لم يرجع عما أضمره بل انه ازداد غيظا على غيظه ولم يزالا سائرين والامام علي يقول حسبي الله ونعم الوكيل حتى وجب عليهم الظهر فلم يجد الامام ماء يتوضأ منه فسارا الى ان قرب العصر فأشرف الامام على رجل واقف على بئر وقد ملأ أسقيته والى جانبه مائدة منصوبة وعليها صحاف مملوأة بالطعام وأقراص من العيش فلما نظر ذلك الرجل الامام وورقة قال هلموا الى الطعام الفاخر والماء البارد بلا ثمن ولا جزاء فأسرع اليه الامام ولم يمهله حتى قبض على أطواقه وجلد به الارض وجلس على صدره وجز رأسه ثم عمد الى الماء فأراقه ثم حفر حفرة كبيرة وجعل فيها الطعام ورد عليه التراب حتى غيبه وسار كأنه لم يصنع شيأ فقال له ورقة يا أبا الحسن قد تجاوزت في فعلك وأسرفت في صنعك وظلمت في حكمك بما فعلت بهذا الرجل الذي يبرد الماء لعابر هذه الطريق وينصب المائدة للجيعان من غير ثمن ولا جزاء وتقدمت اليه وذبحته والى طعامه فدفنته والى مائه

فارقته وتركتنا نلتهب عطشا فوالله لقد تجاوزت فى فعالك وأسرفت فى صنعك
فقال له الامام على رضى الله تعالى عنه ألم أقل لك لا تسألنى عن شئ حتى أحدث
لك منه ذكرا ارجع الآن فانك لن تستطيع معى صبرا ﴿قال الراوى﴾
فازداد اللعين كفرا وامتلأ غيظا وقال فى نفسه كيف أرجع وأدع ابن أبى طالب وحق
اللات والعزى لا أرجع حتى أقطع رأسه وأمضى بها الى الملك الصصام وأبرد قلبى وأشفى
غليلى ثم أقبل على الامام بمكره وخداعه وقال يا أبا الحسن أنتم أهل الجود والكرم
والاحسان والعفو والامتنان ولست أعود الى شئ تكرهه فسمح له الامام بالمسير
معه فسارا الى وقت العصر ثانى يوم فأشرف الامام رضى الله تعالى عنه على حوض
عليه ماء وبجانبه مسجد قد طرح النخل على جدرانه واذا بشيخ كبير جالس الى جانبه
وعنده جارية حسناء وعليها أنواع الزينة وثياب من عفرة فلما وصل اليها الامام رضى
الله عنه حل منطقته ووضع سلاحه وأخرج زنادا كان معه وقدح منه نارا وأطلقها
فى المسجد فاحترق سريعا وتساقطت حيطانه ثم انه حفر حفرة وعمد الى الصبية فجعلها
فيها ورجمها حتى ماتت ثم عمد الى الشيخ فقطع يديه ورجليه وتركه مخضبا بدمائه
ثم عمد الى الماء فتوضأ وصلى وانصرف كأنه لم يفعل شيأ ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى
ذلك ورقة فار وامتلأ غيظا وحنقا على الامام رضى الله تعالى عنه لكنه خشى من صولته
وهجومه عليه فقال له وهو يلين له الكلام يا ابن أبى طالب والله ما أمرك الله بهذا ولا
رسوله ولا نطق بذلك القرآن عمدت الى المسجد فأحرقته وهدمته والآن عاد خرابا
وعمدت الى الشيخ فقطعت يديه ورجليه من غير ذنب ولا جناية سبقت منه اليك ثم
عمدت الى صبية من أحسن الناس فرجمتها حتى ماتت وهى كانت تصلح لمثلك والله
لا نصرت وهذه الفعال فعالك فتبسم الامام وقال والله لولا أنى أريد أن أظهر لك بيان
ما رأيته والا كنت عجلت بروحك والا كذبت على وعارضتنى فى شئ لا تعرفه ولا لك
عليه طاقة ولكن أسامحك وامضى الى حال سبيلك ولا تتعرض لى فأهلكك فانظر
لنفسك وتدبر أمرك وانظر الى ما أنت له صانع وسيظهر لك يا ويلك أما رأيت وعاينت
وان سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرك به فارجع عنى واستغنم
السلامة وأكرم الناس من اذا قدر عفى وهذه الثانية فان صحبتنى وعدت الى الثالثة
جازيتك بفعلك يا ويلك ألم أقل لك ما قاله العبد الصالح لموسى بن عمران عليه السلام

انك لن تستطيع معى صبرا فقال له يا أبا الحسن اعف عما قلت ولست أعود الى ماتكرهه ودخل على الامام بمكره وخداعه وهو يظن أنه يظفر به ﴿قال الراوى﴾ فسمح له الامام بالسير معه ولم يزالوا سائرين الى غروب الشمس وهم على غير طريق فبينما هم سائرين واذا هم بواد فيه عين ماء كبيرة كثيرة المياه وبجانبها حظيرة واسعة وعلى بابها عبد عظيم الخلقة أحمر العينين عريض المنكبين مفتول السواعد فلما نظرهما قال للامام اعدلوا الى هذا المنزل الرحب الطيب الخصب فقال ورقة عند ذلك اعدل بنا يا أبا الحسن الى ذلك المنزل فقد ولى النهار وأقبل الليل فقال له الامام سر ولا تتعرض لما ليس لك به علم فقال ورقة والله مابك الا خوف من هذا الاسود حيث رأيته يطيل النظر اليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك تغير وجهه وقال لورقة ويلك أمثلى يفزع من أبيض أو أسود وأنا من أهل العلم والتأويل والدلالة والتفضيل ثم عطف الامام ناحية العبد فلما رآه العبد مقبلا اليه قام ورحب به وفتح له باب الحظيرة فدخل الامام على رضى الله عنه ودخل ورقة ودخل الاسود فى نحوهما وأغلق باب الحظيرة فلما وصل الامام الى وسط الحظيرة واذا هو بجماجم مقطوعة وعظام مهشومة فوقف ينظر الى ذلك ويتفكر ويتعجب واذا هو بسبعين عظيمين قد خرجا من جانب الحظيرة وقصد واحد منهما الى نحو الامام والآخر الى ورقة فالسبع الذى وصل الى ورقة هدر وزمجر فلما عاين ذلك قصد الى نحو الامام وهو يرتعد كالسعفة فى الريح واصطكت أسنانه واهتزت ركبتاه من شدة ما نزل به من الخوف والفزع وهو ينادى برفيع صوته ادركنى يا أبا الحسن من القتل فهلكت فبالله عليك خلصنى مما أنا فيه ولا تؤاخذنى بسوء أفعالى فأنت من أهل الكرم والجود ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام ضاحكا من مقالته وأما الامام فلم يعتن بالسبع الذى وصل اليه ولم يلتفت الى ميلته فلما قرب السبع من الامام رضى الله تعالى عنه صرخ عليه صرخته المعروفة الهاشمية فتضعضع السبع من شدتها ووقف مكانه وخمدت قوته من صوت الامام رضى الله تعالى عنه وجعل ينادى أنا البطل الصبور أنا الاسد الغيور أنا الصنديد المذكور أنا زوج البتول أنا السيف المسلول أنا ابن عم الرسول أنا مفرق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا الحسام القاضب أنا البحر الساكب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم وثب الى

السبع بقوته وضربه ضربته المعروفة فزعق السبع زعقة عظيمة وخر الى الارض ميتا
﴿قال الراوى﴾ ثم حمل الامام رضي الله تعالى عنه على السبع الذى حمل على ورقة
فوثب عليه ونادى أنا الليث الهمام أنا الاسد الضرغام أنا البطل المقدام أنا طالب
الحمام أنا قاتل اللئام أنا مفرج الزحام عند ما اشتبك الحرب وعلا القتال فعند
ذلك فر السبع داخل البيت فرارا عظيما عند ما نظر ما حل باخيه وجعل العبد يعيد
النظر الى الامام رضي الله عنه ويتعجب مما فعل واغتاظ غيظا شديدا حتى احمرت
عيناه فجرد صفيحة هندية وتقدم الى السبع يحرضه وهو فى شدة غيظه وزفيره على
قتل أخيه فحرضه على الامام فعمد السبع الى الامام وعمد الاسود الى ورقة يريد قتله
قبل قتل الامام فقال ورقة للاسود مهلا على وقيت الردى وكفيت شر العدى فانني
معين لك على أمرك وحامل معك على نصرك فانى من أكبر أعداء الناس اليه ولا
صحبته الا محتالا عليه لعلي أجد منه غفلة أو فرصة فى نومه فأصل اليه فاقتله واقطع
رأسه وامضى بها الى الملك الصمصام لانال بها المرتبة العليا والآن احتطنا بعدو الملك
الصمصام واحتوينا عليه فى هذا المكان فنكون شركاء فى قتله فان قتلناه تكون لنا اليد
العليا والمرتبة الرفيعة عند الملك الصمصام وعند الاله الرفيع المنيع ﴿قال الراوى﴾
فعند ذلك فرح الاسود من مقالته ومال على الامام وكذلك ورقة حمل مع الاسود على
الامام وكشف الغطاء وقال يا ابن أبي طالب الى أين طالب وما أنت عليه عازم الى متى
تكتم ما فى القلوب فيها نار لا تخمد ولهيب لا يبرد فانظر الى نفسك وتدبر أمرك
فقد آن أوانك وانقطع حسك ودخلت فى رمسك فلم يلتفت اليه الامام وهجم
على السبع وضربه بذى الفقار ضربة هاشمية بين عينيه فخرج السيف يلمع من بين
فخذيه فلما نظر الاسود ذلك انذهل واندهش وحار وارتعش وعلم أنه ان قدم من الامام
أرداه وأعدمه الحياة فرمى صفيحته من يده الى الارض ونادى يا ابن أبي طالب ابق
على أسيرك واحسن الى أكن لك خادما فانى لم أعلم بك ولا بمكانك حتى سمعت بذكرك
من رفيقك احسن الى يا أبا الحسن أحسن الله اليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك
منه الامام قال اعتزل حتى أفرغ من عدو الله وأعود اليك فيقضى الله بحكمه ما هو
قاض ثم عمد الامام الى ورقة وقال يا رأس النفاق والجهالة على الاطلاق فقد أظهرت
يا عدو الله ما كنت اليه سائر وما أنت عليه عازم وضامر فانظر الآن لنفسك وتدبر

أمرك قد آن أوان قتلك ودخولك الى رمسك ومصيرك الى النار وبئس القرار ثم نادى ورقة يا ابن أبى طالب سألتك بحق محمد ابن عمك الا ما أبقيت على وأحسنت بكرمك الى فقال له بعد نفاقك وكفرك ما أبقى عليك هيهات هيهات فلما أيقن اللعين بالهلاك قال يا ابن أبى طالب الظلم لا يفارقك ولا يفارق ابن عمك فحدثنى عما ظهر لك فى طريقك هذه من سوء فعالك عالا يرضاه الله ثم افعل ما بدا لك فانى أشهد انك وابن عمك محمد ظالمان ساحران معتديان ﴿قال الراوى﴾ فغضب الامام من مقاله ورقة غضبا شديدا وقال يا عدو الله ان الله تبارك وتعالى قد باعد بيننا وبين الظلم والعدوان وجعلنا من أهل الكرم والاحسان والفضل والامتنان وقراءة القرآن وأعطانا من العلم والتأويل ما لا تعرفه أنت ولا آباؤك ولا أجدادك ويل للتولعو ملك فأنا أكشف لك جميع ما رأيته فى طريقنا أما الرجل الذى اقبلنا عليه وعنده الماء والطعام فانه كان مسموما واغا صنعه للناس حيلة فاذا أكل أحد من الطعام وشرب من الماء هلك لوقته فيأخذ ما كان عليه وما كان معه وقد أهلك بهذه الحيلة خلقا كثيرا فلما أتيته قتلته عن من قتل من الناس وأهرقت الماء ودفنت الطعام لئلا يأكل منه الطير والوحوش فيهلكوا وأما الشيخ الذى أتيناه وعنده المسجد وعنده الجارية فانها ابنته وهو ينكحها للصادر والوارد فاذا نزل عنده سالك طريق أو عابر سبيل عرض عليه ابنته فان أجابه الى ذلك كان والا تركه حتى ينام ويسرق جميع ما معه وهو مقيم على هذه الحالة فى هذا المكان فلما قدمت عليه ووصلت اليه قطعت يديه ورجليه من أجل سرقته ورجمت الجارية لزناها حتى ماتت وأحرقت المسجد وأما هذه الحظيرة وهذا الاسود وهذان السبعان فيقتل بهما جميع من أتى اليه فى هذه الحظيرة ويأخذ ما كان معه وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام تقدم الى ورقة وضربه بذى الفقار على رأسه فقلقه نصفين ووصل الى الارض وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما نظر الاسود الى ذلك حار واندهش وذهب عقله ونادى يا ابن أبى طالب امدد يدك فانى أشهد أن لا اله الا الله وان ابن عمك محمدا رسول الله وانى كنت فى لجج الضلالة سارح وعلى أمواج الشرك سابح والآن قد علمت وتيقنت ان أمرك ملكوتى فلازلت لك بعد هذا اليوم الا مواليا ولا عدائك معاديا فعند ذلك تبسم الامام رضى الله تعالى عنه وقال

خذ سلب عدو الله وامض حيث شئت مصاحبا للاسلام فقال يا أمير المؤمنين مالى
لا أكون معك وبين يديك فقال له الامام هذا جبل بعيد ومرتقى صعب شديد لا يصل
اليه الا كل ضامر ساول وللجماجم أكول فقال الاسود هذا الوصف لا أجده الا
لك يا ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم فأنت زوج البتول وابن عم الرسول
وسيف الله المسلول الا يا أمير المؤمنين سألتك بحق ابن عمك الا ما أخبرتني الى أين
تريد فقال له انى أريد عدو الله الهضام بن الجحاف وصنمه المنيع وحصنه الرفيع لاذيقه
السم النقيع *(قال الراوى)* فقال الاسود وقد تحول سواد وجهه الى الاصفرار
لما أن سمع بذكر الهضام قال يا أمير المؤمنين لا تعرض نفسك للهلاك فطريق ما ذكرته
غير سالك فكيف تصل اليه وبينك وبينه سبعة أودية وفيها سبعة حصون وكلها مملوءة
بالرجال والابطال لا يطير عليهم طائر الا منعوه ولا من الجواز حتى يستخبروه
ووصولك الى صنمه أبعد من ذلك وان له جنة ونارا يدخل فى جنته من أطاعه ويدخل
فى ناره من عصاه وأنا أخشى عليك مما أعلمه من الاهوال فقال له الامام امض أنت الى
حال سبيلك فان معى ربى يعيننى وينصرنى وهو معى أينما توجهت فهو حسبى ونعم
الوكيل ثم قال له ما اسمك قال اسمى مواثب فقال له الامام اكتم أمرى ولا تبح بسرى
وامض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدد اسلامك على يديه فقال مواثب
يا سيدى هذا الذى أضمرت عليه *قال الراوى فعند ذلك ودع أمير المؤمنين ثم سافر
نحو المدينة قاصدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل أمير المؤمنين سائرا الى
بلاد الهضام حتى ولى النهار وأقبل الليل فبعد غروب الشمس صلى المغرب والعشاء ثم
سافر طول ليلته حتى لاح الفجر فصلى الصبح وسار وطاب له المسير وطوى الله له
البعيد وسهل الله عليه كل صعب شديد *(قال الراوى)* حدثنا أمير المؤمنين
رضى الله تعالى عنه قال كنت أرى الجبال الشاهقة امامى فبينما أنا أتفكر فى الوصول
اليها فما أدرى بنفسى الا وأنا قد وصلت اليها وعلوت عليها بحول الله تعالى وقوته ولا
أدرى بنصب ولا ألم ولا تعب كل ذلك بعون الله سبحانه وتعالى وببركة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أنشد وجعل يقول شعرا

طاب المسير بنور الله اذ لمعا * وبان مطلع ضوء الفجر اذ طلعا
قتلت جرثومة الكفار كلهم * رأس النفاق وخلى النصح وابتدعا

أدقتـه ضربة من يدقسورة * تركته مثـل سـكران اذا وقعا
نصفين قدقسم البتـار بينهما * والموت بينهما والخنق قـد صرعا
غيث يقول وليث في معاركه * تلق الاعادى ولا تخشى لهم جزعا

(قال الراوى) وسار الامام رضى الله عنه يطوى المنازل ولا يعوج على المناهـل الى أن وصل الى أرض اليمن وجعـل يكمن بالنهار ويمشى بالليـل الى أن بلغ أطراف البلاد وأشرف على العمران وقد وصل الى وادى الظل وهو أول الاودية السبعة وهو واد معشب أخضر نعمه عظيمة كثير النبات والاشجار والمياه والظـل المـديد مع اختـلاف الالوان وحسن تغريد الاطيار واذا فيه رعاة ومعهم اغنام وانعام ثم نظر الى صدر الوادى فاذا هو بحصن حصين مشيد متين وهو يسمى حصن الوجيه وهو فى صدر الوادى يلوح كأنه لؤلؤة بيضاء له نور ساطع واشراق لامع فلما نظر اليه الامام حمـد الله تعالى وشكره وأثنى عليـه على تيسير العسير الذى قرب اليه البعيد وسهل عليه كل صعب شديد (قال الراوى) ثم انه انحدر الى ذلك الوادى واذا عارضه نهر ماء جار يلوح صفاء بياضه والخيل والانعام والابل وسائر المواشى والرعاة فى البر الآخر مما يلى ديار القوم والرعاة مجتمعون ومعهم واحد بيـده غابة يصفر بها وهم يصفقون ويلعبون ويرتجزون الاشعار فنزل الامام رضى الله تعالى عنه الى جانب النهر وقد نظره القوم فلم يخاطبهم ثم انه حل منطقته وتوضأ وصلى فلما رآه القوم يصلى بهتوا اليه ولم يدروا ما هو صانع وقد دهشوا من ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده فقطعوا ما كانوا فيه من لهوهـم ولعبهم وقال بعضهم لبعض كأن هذا من بعض كهنة العرب وقال بعضهم انما هو ساحر وقال بعضهم انما هو به جنـة وقد أكثر القوم القول فى الامام رضى الله تعـالى عنه وهو مشغول عنهم بما هو فيه (قال الراوى) فلما فرغ من صلاته مال متكئا الى حجفته فقال له بعض القوم من أين أنت أيها الرجل فقال لهم من طين من حمأ مسـنون خلقـنى وقدرنى الذى يقول للشئ كن فيكون فقال لهم الراعى ألم أقـل لكم انه مجنون طرحته جنية الى هـذا المكان فترك الراعى قول أصحابه وقال له يا هذا من أين أقبلت فقال له الامام من عند مولاى الذى كفانى بنعمته ونعمنى بفضله وكرمه فقال له الراعى أفقـير مولاك أم غنى فقال له الامام هو مولى الموالى عالم بحالى يكفى عن سؤالى مالك المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والوعر والارض والسماء عليـه توكلت وبه

استعذبت فقال له الراعي صدقت وبالحق نطقت أقدم علينا أيها الرجل فالطريق أمامك هذه الصفة صفة الهنا المنيع وهو في احسانه بديع ثم انهم سروا بقوله سرورا عظيما وفرحوا به فرحا شديدا وقالوا يافتي بلغت السلام قومنا لك وأدركت هواك فان أحببت أن تأتي الينا فدونك والجسر عن يمينك واجعل راحتك عندنا التسمر بنا ونسر بك فقال لهم الامام من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واني أرجو أن أكون على الطريق متبع النبي الناصح ﴿قال الراوي﴾ فأعرض الرعيان عنه لانهم لم يفهموا كلامه وقالوا له ان في كلامك تخليطا وفي لسانك تفريطا وان كلامنا لك ضائع ثم أعرضوا عنه ورجعوا الى لعبهم ولهوهم وأقام الامام رضي الله عنه مكانه الى أن وجب العصر فصلاه واذا بالرعيان تصارخوا وتصايحوا فقال لهم الامام معاشر القوم ما بال صراخكم فقالوا ألا تنظر الى قطيع الظباء منحدر من الجبل فلما نظر الامام الى ذلك وثب قائما على قدميه ثم نزع اطماره وسلاحه وقال لهم دونكم حفظ أثوابي وسلاحي فقالوا له وأين تريد فقال أريد هذه الظباء لعلي أنال منها ظبيا فلم يبق أحد منهم الا وقد ضحك من قوله واستهزأ عليه ثم قال بعضهم لبعض ألم أقل لكم ان الرجل هائم على وجهه مخبوط في عقله ثم تركهم الامام ومضى وهم ينظرون اليه ويظنون انه لا يبرح من مكانه لعظم خلقته وكبر بطنه ﴿قال الراوي﴾ ثم سار الامام حتى توارى عن أعين الرعاة وقد قطع الشعاب وهو يثب من ربوة الى ربوة ومن شجرة الى شجرة حتى أدركها وهي في شدة جريها فقبض على اثنين منها واحد بيمينه والآخر بيساره وأقبل كانه الريح الهبوب والظباء في يديه فلما رأى الرعاة الظباء في يديه ذهلوا وكبر الامام في أعينهم ولم يزل الامام سائرا حتى أتى الى سلبه واستخرج سكينا وذبحهما وسلخهما وأجاد غسلهما ثم حفر حفرة والتفت يمينا وشمالا يطلب حطبا فلم يجد شيأ الا شجرة قديمة كبيرة وقد يبست أغصانها فأقبل اليها وشبك عليها وجذبها فقلعها بعروقها من أصلها وجعل يجرها الى أن أتى الى الحفرة وجعل يكسر منها وهو غير مكترث حتى جعلها هشيما وفرش أرض الحفرة حصى ثم أخذ من ذلك الحطب ورمى في الحفرة حتى ملأها ثم قدح زناده فأخرج نارا وأضرمها في ذلك الحطب فتأججت وصارت جمرا فكشف الجمر عن الحصى وأخذ الظبيين ورماهما في هذه الحفرة ورد عليهما النار من فوقهما هذا والرعاة ينظرون اليه ويتعجبون من فعاله وهابوا أن

يتقدموا اليه وامسكوا عن سؤاله ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام مما أراد غسل يديه ولبس ثيابه وقعد ينتظر غروب الشمس لانه كان صائما فقال الرعاة يافتى نحن ضيوفك الليلة لتطعمنا مما اقتنصت من الظباء فقال لهم الامام انما يضاف من يكون قاطنا بالديار وأنا فى دياركم غريب فقالوا له يافتى سألناك بالملك الذى تعبده الا ماعرفتنا باسمك الذى تعرف به لانا نرا أينا منك مالم نره من أحد غيرك فقال لهم اسمى زيد وكانت أمه سمته زيدا وسماه أبوه حيدرة وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عليا لما أمره الله أن يسميه بذلك الاسم الحسن فقالوا له يافتى لقد أعطاك الله من الشجاعة والبراعة مالم يعطه لاحد غيرك وبقى القوم يتحدثون بحديثه وما ظهر لهم من قوته وشجاعته ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم كذلك اذ وقعت صيحة عظيمة وصرخة مزعجة من الوادى وتتابع الصياح والصراخ فجعلت الرعاة تشرد أغنامها وابلها وخيلها يرومون أن يجمعوها وأسرع بعضهم الى أهل الحصن يستنجدونهم هذا وهو الامام ينظر اليهم فاذا بخيول مسرعة وأسنة لامعة وكراديس متلاحقة فظن الامام انهم قد عرفوه وان أهل الحصن قد خرجوا اليه فلم يكن من أمره الا أنه شد منطقته وقبض جحفته وتأهب للقتال وجلس ينتظر وصول القوم اليه فأقبلت الخيل أفواجا أفواجا وجالت فى الوادى وكانت أربعة آلاف فارس وضموا جميع مافى الوادى من المواشى فسار ألف بالغنيمة وثلاثة آلاف حمية لاصحابهم من أن يطرقهم طارق أو يلحقهم لاحق وفرت جميع الرعاة فى خبآت الوادى وهم يبكون ويتصارخون فقال لهم الامام تبكون وليس لكم مال ولا نوال وانما المال لغيركم وأنتم مستأجرون فقالوا له يافتى انما نبكى على أنفسنا لان سيدنا الاعظم المضلم اذا أخذله مال رجع بالقيمة علينا ويقول أنتم سلمتم مالى لاعدائى فلم يرض لنا بالقتل بل يحرقنا بناره وقد فعل ذلك بمن كان قبلنا من الرعاة وقد رأيت ماد همنا من كثرة الخيل ونحن أعرف الناس بهم وبعلكهم ﴿قال الراوى﴾ ولو كان خرج ملككا الهضام والهه المنيع لما وصلوا اليهم من هؤلاء الاقوام ولم يخلصوا الغنائم من أيديهم لانهم قوم قد عرفوا بالبلية وطوارق المنية وصاحبهم قد أيتم العرب وهو الجالب لاعدائه العطب تبلغ أذيته أرض فارس ونحو كرمان والى أرض اليمامة وأرض نعمان وأرض اليمن ولا يسمع ببلد الا هجم عليها ولا حيلة الا أتى اليها ولا

عسكر الا يلقاه ولا جيش الا وافاه ولا تقصر يده الا عن بلدة واحدة فانه يهاب التقرب اليها ولا يجسر على الهجوم عليها فقال الامام رضي الله تعالى عنه ما هذه البلدة التي لا يقرب اليها ولا يجسر على الهجوم عليها فقالوا انه مدينة يثرب مسكن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فان بها فارسا الا كالفرسان وشجاعا الا كالشجعان ويقال عنه انه مفرق الكتائب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب هازم الجيوش ومفرق المواكب الحسام القاضب والليث الغالب والبحر الساكب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام هذا الكلام تبسم ضاحكا وقال يا أيها الراعي ما اسم هذا الرجل وما الذي يعبد وأين مسكنه فقد حدثتني بعجيب فقال له يعرف بالمغضب وأما معبوده فله صنم من الجزع اليماني وكانت العرب تأتي اليه والى صنمه فيخبرهم بجميع ما يسألونه عنه فلما كان يوم من بعض الايام والناس محدقون به ويسألونه ويتضرعون اليه وكان الناس قد شكوا الى ملكهم المغضب من علي بن أبي طالب لما فعل بسادات العرب من القتل والاسر وبهدلة الشجعان ومنازلة الفرسان فقال لهم يا قوم تأخروا عني لأتقدم الى الاله العظيم وأشاوره لكم في هذا الغلام وفي المسير اليه فتأخروا عنه جميعا ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك تقدم الملك المغضب الى الهه وهو معتقد فيه وواثق به واستشاره في حرب علي بن أبي طالب وقال له الهي قد سمعت ما ذكرته العرب من خبر هذا الغلام وشجاعته وقتله الفرسان وقد حارت العرب في أمره وشكوا من فعاله وعجزوا عن قتاله وقد شكوا الى واليك جميع ذلك فهل لك أن تشير لنا أن نسير اليه ونقاتله وتنصرنا عليه وأنت أخبر وأعلم منا بذلك فهما أمرتنا به امتثلناه فانا من أهل خدمتك وتحت مشورتك والطائعين لك ولامرك فقل لنا ما أنت قائل ﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ من كلامه دخل الشيطان في جوف الصنم ونهى المغضب عن ذلك وهو يظن أن الكلام من الصنم وهو ابليس يخوفه ثم تململ وارتج وأنشد وجعل يقول شعرا

دع ما قصدت من ارتكاب مهالك * ومكاره مقرونة ببلاء
لا تطلبن لقا علي انه * وحش الفلاة كذا وسفك دماء
وكذا الهلك كاره للقائه * أبدا وانه كاره للقائي *

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المغضب والعرب كلام الصنم حزنوا من كلامه لخلاف الملك وخافت العرب ورجعوا عن عبادته ونفروا عن زيارته فقالوا ان الهك يذل ولا ينصر فهو أولى بأن يذل ويحرق فتفرقوا عنه ولم يبق أحد ينظر اليه فعند ذلك تسامعت العرب والقبائل بِمَلِكنا الهضام وصنمه المنيع الرفيع وقيامه على طول الأيام معلقا فى الهواء فانعطفت العرب بجميعهم اليه ورأوا منه معجزات وكلهم بالدلائل ووعدهم بهلاك على بن أبى طالب وودوا أن يكفيهم مؤنته ويكف عنهم شره ويطفى عنهم جمرته فانصرفت وجوههم اليه وأقبلوا بجميعهم عليه فعظم ذلك على المغضب واستنجد العرب وبذل لهم الأموال وطرقنا بالجموع العظام فجرى بينه وبين صاحبنا الهضام حرب شديد ماشاهدت العرب مثله وأقاموا مدة من الشهور يقتتلون حتى فنى أكثر الجماعات وافترقوا على ماهم عليه من العداوة والبغضاء وبقى كل واحد منهم يغير على صاحبه كابرى وكانت العرب سعت بينهم بالصلح على أنهم يجتمعون جميعا ويسيرون الى على بن أبى طالب ولم يكن قد انفصل بينهم أمر ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام رضى الله عنه ضاحكا من قوله ثم أطرق برأسه الى الأرض ساعة وهو متفكر فى أمر الحصون التى بينه وبين عدو الله الهضام فأجمع أمره على ملاقاة المغضب وقومه وأقبل على الراعى المخاطب له وقال له الى أين هؤلاء القوم سائرون والى أين يقصدون وفى أى مكان يقيمون بالغنيمة فقال يافتى ماهو منا ببعيد فبيننا وبينه قدر فرسخين فى مضيق بين جبلين يجمعون السائقة الى ذلك المضيق ثم يقع البيع والشراء فيها فيأخذ كل واحد ما يخصه وينصرف الى حال سبيله ويقصد كل واحد منهم مكانه ومحل نومه فقال الامام ياويلكم فما منع صاحب هذا الحصن عن لحاقهم فقال له يافتى تخلى لك الهنا بالبركة ان فى كل حصن ألف رجل ولو اجتمع كل من فى الحصون لكان هو كفؤ الجميع ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك من الراعى المخاطب له أخذ سيفه ودرقته وحرابه وشد وسطه بمنطقته ثم أتى الى جانب النهر وثبت عزمه ووثب فارتفع فى الهواء ارتفاعا عاليا فعبر بتلك الوثبة الى جانب النهر الآخر وكان عرض ذلك النهر أكثر من عشرين ذراعا ففزع الرعاة مما عاينوه وذهلت عقولهم وارتعدت فرائصهم واصفرت وجوههم خوفا من الامام فقال لهم مهلا ياقوم لن ينالكم منى الا خير ان شاء الله تعالى فان غبت عنكم حتى جن الليل فاخرجوا ما فى الحفيرة وكلوه

فأنتم أحق به من النار فقالوا له الى أين تريد فقال لهم أريد أن ألحق القوم فعسى أن أنال منهم خيرا ورشدا فظن الرعاة أنه يطلب منهم رفدا ومعاونة فقالوا له يا فتى ان القوم ان وقعت أعينهم عليك لم يسمعوا كلامك دون أن يسفكوا دمك وهم أربعة آلاف فارس وملكهم المغضب أعظم من الجميع وأكثرهم أذية ومع ذلك ان وهبوك شيأ أخذ منك فلا تعرض نفسك للهلاك ﴿قال الراوى﴾ فقال لهم الامام بعد أن سمع ذلك الكلام لا صبر لى عن القوم ولابد من اللحوق بهم فلم يكن غير قليل حتى لحق بالقوم ونظر الخيل والاسنة تلمع فقصر الامام فى مشيه حتى دخل القوم فى المضيق والسائقة معهم وليس لذلك المضيق منفذ غير هذا الذى دخلوا منه فلما دخلوا بأجمعهم أتى الامام الى فم المضيق وجلس تحت درقته جاثما من وراء صخرة قابضا بيده على سيفه وهو يسمع حديث القوم فى بيعهم وشرائهم وقد غابت الشمس فصلى الامام المغرب فى مكانه وقال اللهم ارزقنى من عندك فطرا حلالا طيبا ولم يزل القوم كذلك الى أن دخل الليل وطلع القمر وامتلأت الأرض بنوره فبينما هو كذلك اذ سمع يعار غنم ورغاء ابل فاذا هو بشويهات وفرسين ومطيتين بغير سرج وفارس معتقل برمحه ولامته فقال الامام يوشك ان هذا قسم هذا الفارس فكمن الامام الى أن خرج الفارس وما معه من فم المضيق فلما قارب الامام فلم يمهله حتى وثب عليه وضربه بذى الفقار فوقع على الأرض قطعتين فأخذ الامام جميع ما معه وعدل به الى ناحية وتركه ورجع الى مكانه فلم يكن الا هنيهات وقد أقبل آخر على مثل الاول وهو ينادى بصاحبه يا أبا المعين قف حتى أجمع سهمى بسهمك ونسير جميعا فلم يرد عليه فما استتم كلامه الا وقد وافاه الامام ولوى شماله الى يمينه وقبض عليه ودق عنقه فى الارض وضم الجواد الى الجواد والماشية الى الماشية وجر الرجل الاول من الطريق الى خارج المضيق وجر صاحبه اليه ورجع الى مكانه فلم يستقر فاذا هو بصهيل خيل ورغاء ابل ويعار غنم وثلاثة فوارس من وراء تلك الاغنام والابل والخيل فتفكر الامام فيما يحتال به عليهم ساعة حتى خرجوا من المضيق فتأسف الامام على خروجهم وخاف ان ينبههم قبل أن يفرغ منهم ﴿قال الراوى﴾ فتقدم الامام الى أحدهم وضربه بالسيف على مراق بطنه فخرج السيف يلمع من ظهره فسقط الى الارض نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فالتفت اليه صاحباه فوثب الامام رضى الله عنه عند

التفاتهما وضرب أحدهما فجندله طريحا يخور في دمه وأراد الثالث فسبقه الى داخل المضيق وهو صارخ مستغيث بأصحابه وهو يقول ادركوني فقد هلك أصحابكم وهلكتم جميعا فاطلبوا لأنفسكم الخلاص فقالوا بأجمعهم ياويلك ما الذي دهاك فقال ياقوم انه بباب المضيق موت نازل وسيف فاصل وهو لكل من خرج منكم قاتل فصاح به المغضب وقال ياويلك وسأله عن حاله فأخبره بما رأى وعاين من أمير المؤمنين فقال له أيها السيد رأيت منه ضجات مزعجات وصولات متداركات لا تكون لبشر قط ولكنه مساوي الفعال مبادر للقتال فصاح به اللعين وقال لعل أن يكون معه جيش كثير فقال يامولاي ما معه غيره وهو يسعى على أقدامه اذا وثب يجاوز الفرس بالوثبة ويخلع الرأس من الرقبة فصاح به المغضب وقال لا أم لك لعله يكون من بعض عمار هذا المكان أومارد من مردة الجان ثم التفت الى رجلين من قومه قد عرفوا بالشدة والقوة والمراس ﴿قال الراوي﴾ فقال لهما المغضب أنظرا الى ما يقول الجبان فنهضا على أقدامهما وركبا خيولهما فعطفا بفرسيهما وسلا سيوفهما الى أن قربا من باب المضيق فصرخا من الطارق لنا في مكاننا في هذا الليل الغاسق من المتعرض لنا في سطوتنا فان كنت من الجن فنحن من مردة الجن وان كنت من الانس فنحن من عتاة الانس فمن أنت ياويلك انطلق قبل أن نرميك بالعطب ونعجلك بالويل والغضب هذا والامام ساكت لم يرد عليهما جوابا وهما على وجل والامام قد لصق بالأرض الى أن وصلا اليه وحاذياه بفرسيهما فوثب اليهما كالأسد وقبض بيده على جواد الأول ورفعه من الأرض وضمه الى صدره ثم حذف به الجواد الثاني فوقعت الصدمة على الرجلين من الفرسين فاندق الفرس الثاني واندق صاحبه وسقط الاول على أم رأسه فانشج شجة عظيمة ووثب هاربا من حيث خرج من المضيق صارخا مستغيثا بقومه فبادروا اليه وقالوا ما وراءك قال ورائي البحر المغرق والموت المغرق فقالوا صف لنا ما رأيت قال رأيت ما لا تقدر القارئ على وصفه فقالوا ما هو لا أم لك فقال هل رأيتم رجلا يحمل فرسا براكبه قالوا لا قال هذا الرجل حمل فرسا براكبه ثم صدم به الآخر فدق الفرس وراكبه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع القوم ذلك ذهلوا وحاروا وقالوا كيف يكون ذلك وكيف يتفق ان رجلا يفعل هذا الفعل فقال هاهو بباب المضيق فمن أراد أن يعلم الأمر بالتحقيق فعليه بباب المضيق فينظر الى ما نظرته

بالتصديق

بالتصديق فما فرغ من قوله حتى وثب اليه المغضب بنفسه وفار من شدة غيظه وصاح عليه وضربه بسيفه فقتله وقال له قبحك اللات والعزى تبا لك ولمن ذكرت أمن الرجال هذا من لا يخاف سطوتى ولا يزول من صولتى ثم قال احتفظوا على أنفسكم حتى أعود اليكم فقال له قومه أيها الملك معك أربعة آلاف فارس من صناديد العرب والسادات من ذوى الرتب وتقدم أنت بنفسك دونهم ونحن نعلم أن فيك الكفاية لأهل الأرض فى الطول والعرض ولكن نخشى عليك أن يكون هذا من عمار الجان أو من الجن الأشرار فنخاف عليك من طوارقهم فقال لهم وحق اللات والعزى لابد لى من الدنو اليه والهجوم عليه فان كان من الانس قتلته وان كان من الجن أبدته ولا يقال انى امتنعت من قتال الجان ثم انه حزم وسطه وجرد سيفه وأخذ حجفته وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة شديد الهمة فتوجه الى الامام رضى الله تعالى عنه وهو يبربر كالأسد وينشد ويقول شعرا

أيها الطارق فى ليل غسق * وفاتكا فينا بسر قد سبق
انى أنا المغضب واسمى قد سبق * أقطع الهامات فى يوم الفرق
أنا لك ليث شربه من الغدق * فى يده سيف صقيل كالشفق
قد قال من ولى وفى القول صدق * من يركب البحر فلا يأمن غرق

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام قول المغضب علم انه كبير القوم ورئيسهم فقال هذا والله بغيتى ومرادى اللهم سهل ساعته قال وأقبل عدو الله منفردا بنفسه حتى وصل الى باب المضيق فنظر الى القتلى وهم يجندلون فتحقق الأمر وارتعدت أوصاله وذهل باله وطاش عقله وقال وحق اللات والعزى لقد صدق صاحبنا فيما قال وانما ظلمناه بقتلنا اياه ثم انه وقف بباب المضيق وهو ذاهل العقل وقد سمعه الامام رضى الله تعالى عنه وهو يقول وحق اللات والعزى ما فعل هذه الفعال أحد من الأمم السابقة ولا قوم عاد وثمود ولا العمالقة ولا يقدر على ذلك الا الغلام الذى يقال له على ابن أبى طالب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام مقالته تقدم اليه وهو على مهل فلما دنا منه ووصل اليه نظره عدو الله فتحير وصار لا يدرى ما يصنع وما قدر أن يتقدم أو يتأخر فبينما هو كذلك اذ وثب اليه الامام وهجم عليه ولوح بحسامه وقال ويل لك ولآبائك وأجدادك أنا المنعوت بهذه الفعال أنا مبدى العجائب أنا مظهر الغرائب

أنا البحر الساكب أنا مفرق الكتائب أنا الليث المحارب أنا فتى بني غالب أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عدو الله مقالة الامام علم أنه هو لا محالة فارتعدت فرائصه وذهبت قوته وأيقن بالهلاك فصرخ بأعلا صوته وقال يا قوم أدركوني قبل ان أهلك فتهلكوا جميعا فلما سمع القوم صراخه أجابوه وأسرعوا اليه فلما نظر الامام سرعة القوم هجم على عدو الله وقد أمسك جوارحه فلم يستطع ان يتحرك فوافاه الامام بضربة هاشمية علوية على صدره فسبحت صدره وذراعيه فسقط عدو الله الى الأرض قطعتين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلم يصل اليه أصحابه الا وهو على الأرض قطعتين يضطرب في باب المضيق وهو يتكلم بكلام لا يفهم حتى خمد حسه وانقطع نفسه فتعجب القوم وقالوا وحق اللات والعزى ما لنا بقتال الجن من طاقة فقال رجل منهم اسكتوا حتى أخاطبه فان كلمني عرفته ايش يكون ان كان انسيا أو جنيا ثم تقدم الى ناحية فم المضيق وقال أيها الشخص المريد والأسد المكيد والليث الشديد أخبرنا بما تريد ولك عندنا الاجابة والاكرام والفضل والانعام والرخاء والرفد والذمام ولك الأمان في كل موطن ومكان فأخبرنا بما تريد وما تطلب تكن من أهل الاحسان والفضل والامتنان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام رضي الله تعالى عنه ذلك أجابهم وقال أريد منكم كلمة النجاح والفوز والصلاح وهي ان تقولوا بأجمعكم معي لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع القوم ذلك قالوا وحق اللات والعزى ما هذا الا جني وقال بعضهم ما هذا الا بشر مثلكم آدمي وما نرى من الرأي الا أن نكون في مكاننا حتى يصبح الصباح فينكشف لنا هذا الأمر فلما اجتمع رأيهم على ذلك تأخروا الى ورائهم في داخل المضيق فلما رأى الامام رضي الله عنه تأخرهم وما قد عزموا عليه تقدم الى عدو الله وحز رأسه ثم قام فذبح كبشا من الغنم التي أخذها أولا وسلخه واضرم نارا وشواه وأكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى وقام بين يدي الله تعالى راكعا وساجدا حتى طلع الفجر فصلى صلاة الصبح ثم تحزم وأخذ سيفه وحجفته ونزل الى فم المضيق فلما طلعت الشمس نظر اليه القوم بأعينهم وهو في فم المضيق يرمق اليهم كالذئب اذا عاين قطيع غنم فقال بعضهم وحق اللات والعزى ما هو جني ولو كان جنيا لغاب عند انتشار الصباح وما هو الا منفرد بنفسه

يريد أن يقتلنا ونحن أربعة آلاف فارس والصواب ان تتقدم اليه عشرة عشرة
﴿قال الراوى﴾ فتقدم للامام عشرة من فرسانهم وشجعانهم وأبطالهم فلما وصلوا
اليه حملوا عليه فقتل منهم سبعة وبقى ثلاثة فولوا منهزمين طالبين قومهم فقال لهم
جنادة بن عامر وكان قد تقدم عليهم بعد المغضب انطلقوا اليه عشرين عشرين فأتوا
اليه وافترقوا عليه العشرون فلم تكن الا ساعة حتى قتل منهم سبعة عشر وهزم الباقين
فجعل الامام كلما قتل رجلا يجره برجله حتى يخرجه من المضيق ليتسع له المكان وقد
تزايد صياح القوم وشاور بعضهم بعضا فأجمعوا على ان يحمل عليه مائة فارس فحملوا
بأجمعهم كحملة رجل واحد ومقدمهم جنادة بن عامر فصاح على الامام الا أخبرنا من
أنت وما الذى تريد وما هذه المطاولة بيننا وبينك فقال لهم اصم أنتم لا تسمعون ياويلكم
أم عمى لا تبصرون ألم أقل لكم انى عبد الله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا
مفرق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا الليث المحارب أنا
الغيث الساكب أنا الحسام القاضب أنا ليث بنى غالب أنا على بن أبى طالب
﴿قال الراوى﴾ فلما سمع القوم بذكره خافوا ورجفت قلوبهم وارتعدت فرائصهم
وقالوا يافتى عجبنا من أن تكون هذه الفعال لغيرك والآن فانت صاحب العجائب
والغرائب فاعلمنا ماتريد منا ونحن معك على ما أنت عليه فقال لهم أريد منكم أن
تقولوا بأجمعكم لا اله الا الله محمد رسول الله وأنا انصرف عنكم راضيا وأكون لكم
فى الدنيا مساعدا وفى الآخرة مستشفعا وان عاداكم معاد ياقال فنظر بعضهم لبعض
وهموا بالاسلام ولكن خشوا جنادة بن عامر المقدم عليهم فقال جنادة ان الذى ذكرته
بعيد ودونه ضرب شديد فلا نكون لك طائعين وانما نحن لك متقدمون ثم تقدم اليه
جنادة وقال لعبده كن معى معينا على كتافه ثم جردا أسيافهما وحملا على الامام رضى
الله تعالى عنه فلما قربا منه رفع الامام درقته وصدم بها صدر جنادة فأدهشته الصدمة ثم
قبض على مراو يله ومراق بطنه ورفعه فى الهواء ولوحه وجلد به الارض فشمل
أضلاعه بعضها ببعض والتفت الى العبد وقد ولى هاربا فأخذ سيفه وقصده وقال الى أين
ياابن السوداء فأزعجه ثم بادره بضربة على أم رأسه فسقط الى الارض قطعتين ﴿قال
الراوى﴾ فلما نظر القوم الى ذلك تأخروا الى ورائهم وخافوا خوفا عظيما وقالوا
لبعضهم نحن نطاوله الى ان يضجر وليس معه ماء ولا زاد فاذا انصرف عنا مضينا الى

حال سبيلنا فسمعهم الامام وعرف ما قد عزموا عليه فقال لهم ويلكم ان كنتم أملتم
مطاولتي حتى أنصرف عنكم فذلك أمل بعيد وعندي أغنام تقوم بي أياما كثيرة ولم
يقطع الله رزقي ما دمت حيا وان فرغت هذه الاغنام يرسل الله الي الطير فأرميه
بالنبال فآكل لحمه وأتنشق بالريح فيغنيني عن الماء وأنا أظهر لكم بيان ذلك فأخذ
نبلة ووضعها في قوسه ورمى بها طيرا طائرا فوقع الى الارض طريحا فأخذه وذبحه
وأزال ريشه وشواه وأكله فلما رأوا منه ذلك تيقنوا أن لا طاقة لهم به فألقوا أسلحتهم
أجمعين واستسلموا الى أمير المؤمنين ونادوا بأجمعهم الامان الامان يا ابن أبي طالب
ابق علينا وأحسن بكرمك الينا فقال لهم الامام ان كنتم صدقتم في قولكم فليكتف
بعضكم بعضا حتى أنظر حقيقة أمركم قال فأقبل القوم يكتف بعضهم بعضا حتى أوثقوا
أنفسهم جميعا ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك تقدم الامام رضي الله عنه وقال لهم اختاروا
لكم واحدة من اثنين اما أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما أن تموتوا فأسلم مع
الامام من القوم ألف رجل وسبعمائة رجل أبوا عن الاسلام وقالوا القتل أحب الينا
فقال الذين أسلموا نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقالوا له يا امام لولا أن
الملك الاله عظيم قدير لما دلك علينا ولا مكنك منا والآن فقد رضيناه الهنا فقال لهم الامام
لا يصح عندي اسلامكم حتى تضعوا السيف في أصحابكم الذين أبوا عن الاسلام
فوضعوا السيف فيهم الى أن قتلوهم عن آخرهم فجمع الامام الاموال على بعضها
وحازها وأقبل عليه القوم الذين أسلموا وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلنا معك نعينك على أعدائك فقال لهم الامام دعوني في شغلي وسيروا الى منازلكم
وادعوا من بقي منكم الى الاسلام فقالوا له السمع والطاعة ولو أمرتنا أن نطلب الملك
الهضام لما يكبر علينا في رضا الله ورسوله ورضاك فقال لهم الامام رضي الله تعالى عنه
أنا لله طالب واليه قاصد وسترون من نصر الله ما يسركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذه الغنائم ما تصنع بها فقال اني سائر بها الى ما شاء الله يفعل
فيها فقالوا له افعل ما تريد فما منا من يتعرض لشيء منها ﴿قال الراوي﴾ فقال لهم الامام
رضي الله تعالى عنه اني أريد منكم خمس رجال يساعدوني على سوقها فما استتم كلامه
حتى برز اليه خمس رجال من شجعانهم وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن غلمانك وفي خدمتك ومهما أمرتنا به امتثلناه وتقدموا الى تلك الغنائم فساقوها

بين يدى الامام رضى الله عنه وهو سائر مسرور بما فتح الله على يديه ولم يزالوا سائرين الى أن دخلوا وادى الظل الذى فيه الرعاة وكان الامام رضى الله عنه لما قتل عدو الله المغضب أخذ رأسه معه فلما أتوا الى وادى الظل تأمل الرعاة فعرفوا الامام رضى الله عنه ونظروا السائقة ومعها الخمس رجال يسوقونها ورأس عدو الله المغضب معه فلما تأملوا ذلك فرحوا فرحا شديدا وكانت الرعاة لما أخذت مواشيهم كبرت بليتهم وعظمت رزيتهم خوفا على أنفسهم من أصحابها وأيقنوا بالقتل والحرق بالنار وقال بعضهم سيحوا بنا فى الارض واهربوا على وجوهكم وقال بعضهم كيف نهرب ونترك أهلنا وأولادنا وأوطاننا وقال بعضهم على رسلكم حتى ننظر أمر صاحبنا ولقد رأينا منه شجاعة عظيمة وعجبا مارأيناه من سواه أما رأيتم كيف قفز وعدى النهر الينا بوثبة واحدة وقال بعضهم ياويلكم تتوهمون الا باطيل من الامانى وتظنون أن رجلا واحدا يصل الى أربعة آلاف فارس شجعان عوابس ما منهم الا كل بطل مداعس ويخلص منهم السائقة ولوهموا أن يحملوه على أطراف الرماح لهان عليهم ذلك ويكفيكم صاحبهم المغضب قاتل الفرسان ومبيد الشجعان ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل القوم على ذلك وهم متقلقون الى أن ذهب النهار وأقبل الليل فلما كان نصف الليل أجمع القوم الرعاة أمرهم أن يسيحوا فى الارض فبينما هم كذلك اذ هتف بهم هاتف وهو ينشد ويقول شعرا

لاح طريق الحق للطالب * وليس من يصدق كالكاذب
قد بعث الله نبي الهدى * خير رسول من بني غالب
يا أيها القوم ألا فاصبروا * لاتفزعوا كالخائف الهارب
وبشروا النفس بإسعادها * وليبلغ الحاضر الغائب
ان الفتى الفازع من عندكم * ذاك على بن أبى طالب
فاستقبلوه قد أتى مسرعا * بكل ماتبغوا من الذاهب
واتبعوه واظهروا حبه * لحبه فرض من الواجب
وصل يارب على أحمد * وعلى على بن أبى طالب

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع القوم ذلك من الهاتف اقشعرت جلودهم وخشعت قلوبهم وكانوا فى رقدة فانتبهوا وقالوا ياعجبنا ان تكون هذه الفعال الا لعلى بن عم النبى صلى الله

عليه وسلم ولقد صدق الهاتف فيما قاله ولقد أحسن ابن أبي طالب الينا اذلم يسفك دماءنا ولم يقتلنا عن آخرنا ولم يرجع وأنتم اذالم تشاهدوه في الحرب فقد شاهدتم أخباره ألم تسمعوا انه مفرق الجيوش وقابض النفوس وجاز الرؤس ونقمة العرب وكاشف الكرب الليث الضارب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الحسام القاضب مفرق المواكب البحر الساكب ليث بني غالب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك حط الرعاة رحالهم وجلسوا تحت القلق وأداموا الارق بقية ليلتهم الى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس على رؤس الجبال فبينما هم كذلك بين الرجاء والامان اذ طلع من بطن الوادى طالع فتأملوه فاذا هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب والغنائم بين يديه والخمس رجال يسوقونها معه وقد خلصها من أيدى أعدائهم فلما رأى القوم ذلك بهتوا ودهشوا وما قدروا ان يخاطبوه في أمر السائقة وقال بعضهم السائقة له لانه ما خلصها من المغضب وقومه الابعد قتال شديد وصاروا يتشاورون في هذا ومثله الى أن قرب منهم الامام رضي الله عنه فلما وصل اليهم قام له رجل من رجالهم يقال له جنبل بن وكيع وقال أنا أسأله لكم لان اللسان يقصر عن وصف هذا الانسان الجليل المقدار العظيم الافتخار وقد قابلنا في بدء أمره بالكرم والتفضل ولولا انه أراد نا ما كان نزل عندنا ولو كرهنا لقتلنا عن آخرنا وأخذ سلبنا وجميع مواشينا ولكن لابد أن أخاطبه وأجاوبه بمجاوبة القاصد للمقصود فاذا خاطبني لا يخفى على ما عنده فقالوا له افعل ما بدالك وما تريد ﴿قال الراوى﴾ فتقدم جنبل بن وكيع الى الامام رضي الله عنه ورحب به وقال له يافتى الفتيان وأشجع الشجعان ويا أكرم الكرماء ويا أفضل الفضلاء ويافارس الفرسان ويا ابن الطيبين الحسان لقد شرفت بك قبائلك وعزت بك عشائرك فلك العز والافتخار ولك الشجاعة في سائر الاقطار ان الذى بين يديك من الغنيمة هولك وأنت أحق به من غيرك لاننا ياهو ناتحت الرجاء لكرمك متطاولون ولاحسانك منتظرون فان مننت فلك ما أحسنت وان فعلت غير ذلك فيحق لك ما فعلت ان أهلكت أوعذبت لاننا يامولانا لم نعم بشئ من واجبك ولم تكن لنا معرفة بك ولا بصاحبك حتى عرفنا باسمك هاتف بالامس وزجرنا زجرا شديدا وأخبرنا بك وباسمك وأعلمنا بأنك البطل الصبور والاسد الجسور والوحش الكسور والشجاع المذكور زوج

البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الحسام القاضب والبحر الساكب مفرق المواكب الاسد الطالب والصنديد المحارب المذكور فى المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ثم ان جنبل بن وكيع أنشد وجعل يقول شعرا

أنت الذى بفعالك يضرب المثل * ومن قتالك يخشى السهل والجبل
أنت المبيد أسودا مع فوارسها * فى يوم بدر وقد غرت بهم هبل
أنت المنكس رأس القوم من فزع * بذى الفقار ونار الحرب تشتعل
من سالمك ففى عيش وفى رغد * ومن يعاديك مقصى دونه الامل
لا شك أنك للآجال قاطعها * وحد سيفك محوق به الاجل
فان عفوت فأهل العفو أنت وان * أهلكت أهلكت ياضرغام يابطل
الحق لاح لنا لما حللت بنا * وفى يديك رجاء الخوف والامل
الحلم شانك فيما أنت طالبه * وليس من طبعك الاحماق والعجل

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام كلام جنبل بن وكيع تبسم الامام ضاحكا من قوله لانه كان فصيح اللسان وقال له ياويحك من دلك على اسمى وعرفك بشانى فأعلمه جنبل بقول الهاتف وما كان من أمره فعند ذلك نظر الامام اليهم فرأى أحوالهم قد مالت الى الاصفرار وتغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم وخفقت قلوبهم من شدة ما أصابهم من الخوف والفزع من هيبة الامام رضى الله تعالى عنه فلما رأى الامام كرم الله وجهه منهم ذلك قال لهم أبشروا ياقوم بما يسركم فنحن باب السلامة ولنا الشفاعة فى الناس يوم القيامة دونكم وساقتكم وليأخذ كل منكم ما كان يرعاه لسيده وارجعوا على مكانكم على جرى عادتكم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ردت ألوانهم الى الاحمرار واستبشرت أرواحهم بالسلامة وطاشت عقولهم من الفرح والسرور ونهض كل واحد منهم وأخذ ما كان يرعاه لسيده ثم أقبلوا نحو الامام كرم الله وجهه وقالوا ياسيدنا ألا تستعين بنا على أمورك وتستنهضنا فى حوائجك لنجازيك على بعض احسانك وانا كنا لا ندرك مداركك ولا نبلغ مبالغك فعرفنا يامولانا الى أين تريد والى من تكيد فقال لهم الامام ياقوم انى أريد صاحبكم الملك الهضام بن الجحاف وصنمه المنيع الذى فتن به العباد فنظر القوم عند ذلك بعضهم لبعض وقالوا يافتى من كانت هذه الفعال فعاله

مايبعد عليه مايطلبه ولكن صاحبنا الهضام فى جمع عظيم وعسكر جسيم ألوف لاتعد وعسكر لاتحصد وحصون مانعه وسيوف قاطعه فدبر ذلك بحسن رأيك وجميل صنعك وها نحن معك وبين يديك فيما تريد ان استعنت بنا أعناك وبذلنا أنفسنا فى رضاك لما أوليتنا من الاحسان والتكريم والجميل القديم الذى بدأتنا به ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام على رضى الله عنه ضاحكا من قولهم وقال انى لاأستعين الا بالله وبالمؤمنين قالوا له يامولانا نفديك بالآباء والامهات اخبرنا ماهى كلمة الايمان قال هى كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهى ان تقولوا معى باجمعكم لااله الا الله محمد رسول الله قال جنبل بن وكيع اما أنا فأقولها غير متأخر عنها لما قد ظهر لى من الآيات والبراهين لولا أن لك الها واحدا عظيما وهو على كل شيء قدير ماوصلت الى ماوصلت ولا فعلت مافعلت وانا يامولانا أشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله فلما نظر أصحابه الى اسلامه أسلموا جميعا وحسن اسلامهم وكانوا واحدا وأربعين رجلا رعاة ففرح الامام رضى الله عنه بهم وباسلامهم وقال لهم ياقوم لايصح اسلامكم الا بكشف قناع الحق وركوب محجة الصدق وبذل السيف فى أصحابكم واخوانكم وقراباتكم فقالوا والله ياسيدنا لو أمرتنا ان نقتل آباءنا وأولادنا فى رضا الله ورسوله ورضاك لفعلنا ذلك ﴿قال الراوى﴾ فشكرهم الامام على ذلك ودعا لهم وقال ياقوم هل عند أهل الحصن علم بأخذنا سائقتكم قالوا نعم وقد سبق الخبر من حصن الى حصن حتى انتهى الى الملك الهضام فأرسل لنا هجانين وأوعدنا بالعذاب وبعده القتال وقد اغتاظ غيظا عظيما ومع ذلك فهو من بقية التبابعة ومن نسل العمالقة وان الملك المنتقم من جماعته وان له جثة عظيمة لم تحمله الا الخيل العتاق وقد جعله فى أول حصن من الحصون لان الملك الهضام يخاف من مكره وقوة بأسه فلذلك أبعده وجعله فى أول حصونه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام منهم ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لهم اذا رجعتم سائقتكم هذه الى حصنكم ووصلتم الى صاحبكم فلا تكشفوا له عن خبرى ولا عن اسمى ولا عن شيء فعسى أن يخرج الى وان يقضى الله ماهو قاض فقال جنبل ياسيدى ان خرج خرج معه قومه وأصحابه وجميع عشائره وهم فرسان فى القتال وأبطال فى النزال ونخاف أن يحول بينك وبينه حائل فتلومنا على ذلك فقال لهم الامام ان الله هو الفعال لما يريد فاذا أراد شيأ فانما يقول له

كن فيكون ثم أقام القوم بقية يومهم الى أن دخل المساء فرجعوا بالساتقة الى حصنهم ﴿قال الراوى﴾ حدثنا أشياخنا واسلافنا بهذا الحديث وهو أن الرعاة لما توجهوا بالساتقة الى الحصن وكان أهلهم قد قطعوا الرجاء من مواشيهم فلما رأوا الرعاة قد أتوا بالساتقة الى حصنهم تباشروا ووقع الصياح فى جميع جهات الحصن بأن الساتقة رجعت لقاء القوم ولم يعلموا ما كان السبب فى ذلك فلما سمع القوم والمنتقم بذلك الخبر وكان المنتقم بهذا الوقت متكئا فاستوى جالسا وقال ياويلكم ماهذا الامر العجيب ومن رد الساتقة بعد أخذها وملكها فى يد الاعداء كيف يكون هذا الامر العجيب فقالوا واله انه بلغنا عن الرعاة انه لما غار عليهم المغضب وأخذ المال وساقه ومضى به كان عندهم رجل غريب عابر سبيل فمازال فى أثر القوم حتى دخلوا الى المضيق فسد عليهم باب المضيق ومازال يقتل منهم واحدا بعد واحد حتى خرج اليه المغضب بنفسه فقتله وحز رأسه وجاء بها معه وأتى بالمال العظيم وقتل منهم خلقا كثيرا وأتى بساتقتنا سالمة ودفعها الى الرعاة بأجمعها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المنتقم ذلك الكلام قهقه بالضحك حتى كاد أن يقع على قفاه وقال كذبوا وحق اللات والعزى وحق الاله المنيع ولا أظن الا انهم هموا بأخذ الساتقة لانفسهم فسد عليهم الطريق الاله المنيع فلم يجدوا لهم منفذا ينفذون منه فرجعوا الينا بهذه الحيلة ثم أمر باحضار الرعاة فأحضروهم بين يديه وقال لهم ياشر جيل وأخبث قبيل أردتم أخذ الساتقة لانفسكم وضربتم علينا الحيلة وحق المنيع ان لم تخبرونى وتصدقونى والا قتلتكم عن آخركم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك نظر بعضهم الى بعض وتطاولوا الى جنبل بن وكيع لانه كان سريع الجواب فصيح اللسان فقال اعلم أيها السيد العظيم أن من قطع أنامله سرى الالم فى جسده جميعه ومن حاد عن طريق الحق وقع فى المضيق وما كنا نخرج من بلادنا ونترك أولادنا والهنا المنيع الذى يحفظنا واذا سألناه أعطانا وأكرمنا ونترك ماصفا من العيش ونتعرض للمنيع فيرمينا فى المهالك والدواهى ويحرقنا بناره وليعلم الهنا المنيع حقيقة أمرنا والخافى من سرنا فلا تكذبنا أيها السيد فى قولنا فان الذى طرقنا هو من عطفات المغضب الذى كان يطرقكم فى كل عام فلا بقيتم ترون له غبرة أبدا مادام الجديدان وبقى الزمان فقد قتل وقتل معه خلق كثير من قومه فقال ياويلكم ومن فعل بهم هذه الفعال ومن ذا الذى قدر عليهم قال فعل بهم ذلك رجل

غريب من العرب كان قد نزل بنا فى ذلك اليوم وأنا أصفه لك حتى كأنك تراه هو غلام
بطين يصطاد الظبى على رجليه وتجلس الوحوش حواليه بالبشرة وحسن منظره
ومنطقه بالصواب كأنه البرق اذا اسعى ويقلع الشجرة الراسخة الازلية بيديه من شدة
قوته ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المنتقم وصف جنبل بن وكيع عظم ذلك عليه لما
وصفه من شجاعة الامام رضى الله تعالى عنه ثم قال المنتقم وحق المنيع لقد أرعبت
قلبى بوصفك لهذا الغلام وان كان كما ذكرت فما أظن الا انه من جند المنيع أرسله
الى المنتصب قال جنبل هذا الرجل لا يركن الى المنيع ولا لجنده وكانت هذه الكلمة
من جنبل خطأ عظيما فلما سمع المنتقم ذلك فار من شدة الغضب فلما رآه جنبل وقد
أحاط غيظه قال له أيها السيد العظيم ان هذا الرجل يخالطه جنون وهيمان وما هرب
منا القوم الا من جنبته فلما سمع المنتقم هذا الكلام سكن غيظه وما زال به حتى قال
له ويحك يا جنبل وأين يكون ذلك الغلام قال ها هو قريب من بلدنا ولم يرد شيأ من
طعامنا وهو تحت الانتظار اليكم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك المنتقم صرخ فى
قومه وعشيرته فاجتمع اليه القوم وحضروا بين يديه فقال يا قوم ان هذا الرجل الذى
ردسا تحتكم وقتل عدوكم قد انتهى من خبره ما لم أسمع بمثله فامضوا بنا اليه لننظر
ما هو عليه ونجازيه على فعله الجميل وعلى ابتدائه الينا بالكرم والتفضيل فقالوا
السمع والطاعة أيها السيد نحن لكلامك مطيعون ولامرك مسرعون ثم تواعدوا
بالخروج اليه فى غداة غد وكانت تلك الليلة التى قدم فيها الرعاة من عند أمير المؤمنين
فلما برق ضياء الفجر وفتح باب الحصن خرجت الرجال وبرزت الابطال فلما تكامل
القوم خرج خلفهم المنتقم وهو مشتهر بلبس الاحمر والاصفر متوشح ببردة يمانية
فركب جوادا من عتاق الخيل الجودة المزينة وقد لبس أفخر ما عنده من لامة حربه
وخرج من حصنه بجميع قومه ولم يترك فى الحصن غير الصبيان والنساء ومن
لا يقدر على الحرب من الشيوخ وسار المنتقم امام قومه وهو يرتجز وينشد هذه الابيات

ان الشجاعة لم تزل محبوبة * ما لم تكن فى ابله أو جاهل
ليس الهجوم على الرجال بغمرة * يدعى شجاعا مهلكا كالغافل
بطل شجاع نازل بغنائنا * أو فى العداة بنائل أو نازل
سيروا بنا نلق الغلام بجمعنا * لنراه حقا مثل قول القائل

ان كان مغضب قد دهى بحسامه * ورمى فوارسه بسهم قاتل
وحوى الغنيمة مفردا وأتى بها * فشعاله افعال قرم نازل

﴿قال الراوى﴾ فعندما نظر جنبل الى ما عزم عليه القوم قال لقومه يا قوم انى أريد أن أسبق قبل القوم الى الامام رضى الله تعالى عنه فاخبره بذلك وليكن شرحى مع شرحكم حتى أعود اليكم فانى أخشى على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدهموه بغتة فيقع الاثم بنا من الله تبارك وتعالى ويغضب علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القوم يا جنبل انما أنت سيدنا ومحمد تناسر الى أمير المؤمنين واعلمه بذلك وعد الينا مسرعا فلولا خوفنا من سؤالنا وسؤالك واتهامنا بأننا تواصينا لكشفنا القناع ولبسطنا الباع ولكن لا نستطيع الا أن نكون فى حالنا الى أن يفعل الله ما يشاء ويختار وسيأتى الفرج من عند الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ ثم سار جنبل وقد حاد عن الطريق وأخفى أمره وسار فى بعض الشعاب الى أن وصل الى الامام فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له الامام ما وراءك يا جنبل فقال سيدى حفظك الله وأنعم عليك انظر الى امامك فقد أتاك المنتقم بجميع قومه حتى العبيد ولم يترك فى الحصن سوى النساء والاطفال والشيوخ الذين لا يقدرون على الحروب فقال الامام انه غنيمتى ورب الكعبة ولكنه قد عظم عليك ما رأيت من الجيوش وقد كانت سدت الطرق وأظلم لها الافق يا جنبل والذى بعث ابن عمى رسولا وبالحق بشيرا ونذيرا لو خرج الى ملككم بجميع جيوشه لكنت ألقاه بمفردى وحدى وو كان معه مائة ألف سابق فقال جنبل يا سيدى ان الهضام اذا ركب يركب معه خمسمائة ألف عنان سوابق فى النزال من قومه خاصة غير ما يتبعهم من الرقيق والغلمان والعبيد فكيف تلقاه ومعه هذا الجمع كله فقال له الامام رضى الله عنه والذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا انه اذا برز الى الهضام أتلقاه وحدى ولو يكون معه جميع من فى الارض من الطول والعرض فان ثقتى بربى جل وعز فقل ما عندك وأوجز ﴿قال الراوى﴾ فقال له جنبل يا سيدى ان المنتقم لم يترك فى الحصن رجلا يرجى ولا قبيلا يخشى الا خرج بهم اليك والمنتقم بعد بمثلهم فانظر ماذا ترى وما تأمرنى به وأصحابى فانا لكلامك سامعون ولامرك طائعون وفى خدمتك مجتهدون وفى رضاء الله ورسوله وأنت راضون فلما سمع الامام ذلك منه جازاه خيرا ودعا له وقال له

يا جنبل لو علمت أن لكم قوة على القتال أو منعة فى النزال أو صبرا على الاهوال لأمرتكم بأمر يكون فيه مسرتكم وتعتق به من الرق رقابكم وتمحى به سيآتكم وترفع درجاتكم وتضاعف حسناتكم قال جنبل أأمرتنا بما شئت أنا وأصحابي فلو أمرتنا أن نجرد أسيافنا ونقاتل هذه العسكر ونقتل من لقيناه من أصحابنا واخواننا وأولادنا وأهلنا وأقاربنا ونضرب يمينا وشمالا ولو قتلنا عن آخرنا أطعناك فيما تأمرنا به وبادرنا الى رضاك ورضاء الله ورسوله ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك جازاه خيرا ثم قال له بل الذى آمركم به أيسر مما ذكرت وأقرب مما اليه أشرت فقال جنبل ما الذى تأمرنا به قال الامام رضى الله عنه يا جنبل خذ أصحابك الذين أسلموا معك وادخلوا الحصن واغلقوا الابواب وأوثقوه من داخله ولا تدعوا أحدا يدخل عليكم وأنكروا أمركم واخفوا حالكم واتركونى أنا وهذا الجيش وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ينصر الله من يشاء وهو على كل شئ قدير فلما سمع جنبل ذلك من الامام انجم عن الخطاب ولم يرد الجواب فقال يا سيدى نخاف من القوم أن يعطفوا الينا ونخاف أن يسمع بذلك الملك المضام فيأتينا بجيوشه فقال له الامام يا جنبل ان لك نفسا وأجلا مقسوما ووقتا محتوما فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واعلم يا جنبل أنك اذا تحصنت فى لجج البحار وهمت على وجهك فى القفار ثم أتاك الاجل لفرغت الحيل وانقطع الامل ثم تلا قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع جنبل قول الامام رضى الله تعالى عنه قال ان كان الامر كما ذكر فوالله لامتثلن لما أمرتنى به ولآمرن أصحابى بذلك ولاحدثهم بما ذكرت فان أجابوا والا مضيت وحدى وقفلت الحصن وأوثقته وأوثقت جميع من فيه وطلعت على أعلا السور وأقاتل قتالا شديدا ولو قتلت فى رضاك ورضا الله ورسوله ويبلغك الله مأمولك ويعطيك سؤلك فلما سمع الامام ذلك فرح بقوله وقال جزاك الله خيرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال حبا وكرامة لله ولك يا ابن عم رسول الله ثم انه ودع الامام وقبل يديه وقال له يا سيدى ان حدث على حادث فاقرأ محمدا منى السلام ﴿قال الراوى﴾ ثم خلاه وانصرف من حيث جاء وقصد الى أصحابه فأخذهم ومضى الى

الحصن فسأله أصحابه عن خبر الامام فقال لهم ياقوم انه رجل شجاع لا يخاف من صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير ثم انه أخبرهم بما كان بينه وبين الامام من دخولهم الحصن وغلقهم ايناقه فلما سمع القوم بذلك حار وادهشوا وقالوا لا سبيل لنا ولا قدرة لنا على ذلك فقال ياقوم أيكم أفرس المغضب وقومه أم صاحبكم المنتقم فقالوا له المغضب أفرس فقال أيهم أكثر جمعا فقالوا المغضب أكثر جمعا فقال جنبل رجل يلقى المغضب ومعه أربعة آلاف فارس وكلهم ليوث عوابس أيفكر في صاحبكم المنتقم ومعه ألف فارس وقد أخبرني وقال لي انه اذا خرج الى الملك الهضام بجميع من تحت يده من الفرسان لابرز اليه وحدي وألتقاه بمفردي ولو كان معه جميع من في الارض من الطول والعرض ﴿قال الراوي﴾ ثم قال جنبل ان كنتم آمنتم بالله ورسوله واتبعتم وليه فأطيعوه واسمعوا قوله وبادروا الى أمره ولا تبالوا من الموت اذا نزل بكم في رضا خالقكم وان نصركم الله ووصلكم الى ذلك ملكتم أموال ساداتكم وسكنتم مساكنهم وعتقت رقابكم من الرق كما قال لي الامام رضي الله عنه فلما سمعوا ذلك تباشروا بما بشرهم به جنبل عن قول الامام من الخلود في جنات النعيم هانت عليهم أرواحهم في مرضاة ربهم وقالوا يا جنبل ما الذي تريد أن نصنع فقال جنبل أدخلوا الحصن على بركة الله ورسوله واغلقوا ابابه وأوثقوه وتحصنوا فيه ولو دهمكم الملك الهضام بجيوشه وعساكره ما وصل اليكم لانه حصن منيع كثير الطعام والماء فان طال بكم الحصار لم تبالوا منه وان حدث في هذا الغلام حادث فان ابن عمه محمدا صلى الله عليه وسلم لا يتركهم وهو الذي يأتيهم بجميع جيشه ويطالبهم بدمه وان حاصروكم فهو الذي يخلصكم ويأخذ منهم ثار ابن عمه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا مقالة جنبل وثبوا اليه وقالوا له أنت علينا مشير فسر بنا الى ما تحب وتختار لا نتاركك الحياة وان الله تعالى على كل شيء قدير ان أماتنا فراضون وان أحيانا فراضون ثم ان جنبلا أخذهم وتقدم بهم الى باب الحصن وأنشد وجعل يقول

الموت حق ليس فيه من مفر * حتما على كل الانام والبشر

قد حصحص الحق وقد بان الخبر * أبعدنا الله جميعا عن سقر

بفارس الميمون من نسل مضر * ذاك على المرتضى ابن الخير

صهر النبي المصطفى خير البشر * له اسمعوا افعدا تفوزوا بالنظر

ثم اضربوا بالسيف ضربا مفتخر * حقا فان الله يجزى من شكر
فهو الشفيع للعصاة من سقر * يوم تكون الناس فى الحشر زمر
فهو النبى الهاشمى المفتخر * صلوا عليه يا جميع من حضر

(قال الراوى) فلما وصلوا الى باب الحصن وجدوا عليه جمعا كثيرا من النساء ينظرون أزواجهن وأولادهن وملكهم المنتقم فلما وصل جنبل وأصحابه اليهن جعلوا يفسحوهن عن الباب لداخل الحصن فاستحت النساء من ذلك وقالت يا ويلكم من عبيد ما أقل أدبكم وما الذى نزل بكم حتى تفعلوا ذلك فقال لهم يا ويلكم ألم تعلموا أن هذا الغلام الذى نزل بكن ودهمكن فى أزواجكن وأولادكن هو العذاب الواقع والسم الناقع البطل الصبور والاسد الجسور والوحش الكسور والشجاع المذكور وزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الكتائب ومظهر العجائب وليث بنى غالب المذكور عند المطامع والمواهب هازم الجيوش ومغرق المواكب الاسد الطالب القرم الغالب الصنديد المحارب المذكور فى المشارق والمغارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد أتى اليكم بجيش وقد أكمنوا فى الشعاب وقد نزل الى سيدكم المنتقم بجيشه وقد أمرنا بحفظ الحصن وما فيه والحماية عنه فمن كان عندها سلاح فلتأتنا به واجمعوا لنا الجنادل والاحجار (قال الراوى) فلما سمع النساء ذلك بادرن الى أماكنهن وأتين بجميع الاسلحة التى هى مدخرة عندهن ولم تترك واحدة منهن عندها شيأ الا أتت به فلما احتوى جنبل هو وأصحابه على السلاح أمر النساء والصبيان بأن يجمعوا لهم الاحجار والجنادل وأن يضعوها حول السور وبقى النساء والصبيان والشيوخ فى أسفل الحصن ثم أقبل جنبل على أصحابه وقال يا قوم انى أخاف أن يضرب الشيوخ علينا الحيلة ويمكروا بنا فقال أصحابه وما الذى ترى من الرأى قال الرأى عندى أن تمضوا اليهم وتقتلوهم فلا حاجة لنا بهم (قال الراوى) فمضى العبيد وقتلوا الشيوخ عن آخرهم قال فلما رأت النساء ذلك تصارخن فقال جنبل لاصحابه أوثقوهن كتافا واطرحوهن فى بعض زوايا الحصن ففعلوا ما أمرهم ورجعوا الى جنبل وقد ملكوا الحصن بما فيه وأمنوا على ذلك ولم يبق فى الحصن من يغلت عليهم فاطمأنوا وطابت خواطرهم ووقفوا على أعلا السور وأشهروا سيوفهم ونصبوا

الاعلام وفرقهم جنبل فى جوانب الحصن وأمرهم بحفظه وقال لهم ياقوم انكم كشفتم الغطاء وفعلتم فعلا لا ينساه رب السماء ولا محمد المصطفى ولا أميركم على المرتضى فقالوا نرجو من الله الجزاء فوقف القوم ينظرون ما يكون من أمر الامام على رضى الله عنه فهذا ما كان من أمر جنبل وقومه ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من خبر عدو الله المنتقم فانه لما سار بقومه حتى أشرف على أمير المؤمنين رضى الله عنه فلم يكبر عليه عظم كثرتهم بل انه رضى الله تعالى عنه أظهر لهم ميله الى الحرب وكان على شاطئ النهر مما يلى حصنهم وديارهم فوثب قبل وصولهم اليه وثبة فعبر بها الى الجانب الآخر وأقبل الى الجسر وتأمله فاذا هو من الخشب مركب على أعمدة فضرب بيده على ما يليه من الأخشاب فقلعها من موضعها وأزالها من مكانها وكان عليه كثير من التراب فانهال جميع ذلك فى النهر وذهب الماء وانقطع الجسر وعاد الامام مكانه وصار متكئا على جحفته غير مكترث ولم يزل الامام رضى الله عنه جالسا مكانه اذ أشرف عليه القوم وما زالوا سائرين الى ان وصلوا اليه فنظروا الى النهر فرأوه وقد قطعه الامام وحده فعظم عليهم ذلك وتعجبوا منه وقالوا وحق زجرات المنيع ما يفعل هذا رجل واحد ثم أنشد المنتقم يقول شعرا

يا أيها الرجل الجميل فعاله * نعم المبارك قد فعلت صنيعا
لك عندنا مال وأحمال جزا * انى لامرك فى الامور مطيعا

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعه الامام رضى الله تعالى عنه فار بالغضب وتميز بالغيظ وعلم انه قائد الجيش فاستوى قائما وبسط له لسانا طلقا كريما وقال أما قولك المروع من الاعداء فانى أعرف ان مولاى ينصرنى عليكم ويوصلنى بقوته اليكم وأما قولك قد أحسنا اليكم فان الاحسان لا يكون الا لصاحب الاحسان وهو الذى يعلم ما يكون وما قد كان وأما نرجو حكم للقانى بواجب الاحسان والاكرام فجملة ما هو من الاكرام كلمة خفيفة على اللسان لا مكرمة الطعام ولا الشراب وأما سيدكم الاعظم فهو الذى يعلم بحالى وما أنا عليه من أفعالى عليه توكلت وعليه اعتمادى ومنه أرجو العناية فيما أملت فقال المنتقم يا غلام ان فى كلامك تخليطا وفى خطابك تفريطا فالملك الذى أعظمت ذكره ورفعت قدره وذكرت انه يبلغك مرادك وينصرك على أعدائك أين هو وأين يكون مكانه فقال له الامام هو لا تحققه الخواطر ولا

تشاهده النواظر وهو فى كل الاماكن حاضر فقال المنتقم يا غلام انك ذكرت انك الى الحنا قاصد وطالب وفى لقائه راغب وما أظن الا أن بك هيمان يعارضك فى كل حين وزمان قال الامام أعوذ برب البيت ذى الاركان من أن يداخلنى جنى أو يعارضنى شيطان وأما تعصينى فى هذا البر الذى أنا فيه فلا مر لو سألتك عنه لشكرتنى عليه وأجبتنى فقل لى ما الذى أضمرته من الفعال ليكون ذلك لى على بال فقال المنتقم يا غلام أضمرت لك من التحف والاكرام بقتلك وقتل تلك اللئام فهم أعداء الناس وأعداء الملك الصضام والاله المنيع ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك فار بالغضب ووثب وثبة الاسد وتجرد من اطماره ثم جرد سيفه وأخذ جحفته وعدو الله باهت لا يدرى ماهو عازم عليه ثم تقدم الامام الى شاطئ النهر وثبة واحدة واجتمع وانفرد من الارض فعدى النهر بوثبته وهجم على عدو الله وقال له أنت عدوى وأنا عدوك وأنت طلبى وأنا طلبك يا ويلك أفق من رقدتك وانتبه من غفلتك أنا العذاب الواقع أنا السم الناقع أنا البطل الصبور أنا الاسد الزؤر والوحش الجسور والشجاع المذكور والبطل المشهور وزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب أنا البحر الساكب المذكور عند المطالع والمواهب هازم الجيوش العقارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﴿قال الراوى﴾ فمال اليه الفرسان من كل جانب ومكان ولما سمع المنتقم مقالته وعلم انه على بن أبى طالب ارتعدت فرائصه وصرخ بصوت قوى وقال لقومه يا ويلكم أدركونى من قبل أن تفقدونى من بينكم فهذا الغلام الذى خرجت بكم اليه وقدمت بكم عليه فهو على بن أبى طالب فمالت الفرسان ووثب اليه الامام رضى الله عنه وضربه ضربة بسيفه عرضا فارمى عدو الله بنفسه الى الارض ونادى يا ابن أبى طالب ليس العجلة من شأنك فرد الامام السيف عنه وقال يا عدو الله وعدو نفسك قل ما أنت قائله فعند ذلك حمل عليه القوم حملة واحدة قوية وهموا بكثرتهم ودهموه بجمعهم ثم قام عدو الله وحمل على الامام وقد قوى قلبه وشد عزمه بانجاد قومه له وقال يا ابن أبى طالب هذا ما جنوته لنفسك وانك لم ترد سما تقتنا كرامامنك اليناب أردت الخديعة والدخول الى حصننا والذى أملته بعيد والوصول اليه صعب شديد يا ابن أبى طالب يا عدو المنيع وعدو الآلهة العظام فما بقى

محمد بن عمك ينظر الى طلعتك ويتمتع بغرتك فان الحياة عادت حراما عليك بعد هذا اليوم فقال الامام رضي الله عنه كذبت ياملعون ولا أزول عنكم حتى أذيقكم كأس الموت والحمام وأقطع آثاركم بحد الحسام فأنا الاسد الضرغام والبطل المقدام ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بني غالب علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع المنتقم ذلك فار من الغيظ وقال لقومه احملوا عليه بكثرتكم واهجموا عليه بكليتكم ثم صرخ جديعة بن كثير وكان غلاما كثير الجسارة وفارسا مشهورا فحمل عليه الامام فلم يمهله الامام حتى ضربه عرضا فرمى رأسه مع رقبته مع قطعة من صدره فوقع الى النهر فعند ذلك كبر الامام رضي الله عنه وقال ياعدو الله هكذا يفعل زوج البتول ابن عم الرسول فلما فعل بجديعة ذلك ونظروه هالهم ذلك وأدهشهم وامتلأ عدو الله غيظا وقال لقومه ياويلكم احملوا عليه بجمعكم وكلوا أكلا وازجروه زجرا ولو أن كل واحد منكم ردمه بكف تراب لردمتموه وهذا عار عليكم أن يكون مثل هذا الغلام يغوص في وسطكم ويدهم جمعكم ويقتل أبطالكم ولا تقدروا عليه ولا تأتوا فيه بشئ فاحملوا عليه حملة واحدة بأجمعكم وأنا في أولكم ثم حمل عدو الله على الامام وحمل قومه في أثره وهو كالبعير الهائج وهو ينادي أنا الاسد الضرغام أنا البطل القمقام ثم حمل هو وقومه على الامام حملة منكرة والامام قد التجأ الى النهر وجعله من ورائه وعاد كل من وصل اليه من القوم ان ضربه طولا أفناه وان ضربه عرضا أفناه وتارة يأخذ بمجامع أطواق الفارس وحزام سراويله ويضرب به الآخر فيقتلهما جميعا وكلما اقتل رجلا جره برجله ورماه في النهر فلم يكن غير قليل حتى جندل نحوا من خمسين رجلا ورماهم في النهر ﴿قال الراوي﴾ فلما نظر القوم ذلك حاروا ودهشوا من فعاله وهابوا أن يتقدموا اليه وتأخروا الى ورائهم وخمدت فورتهم فلما نظر المنتقم الى ذلك قال ياويلكم وحق المنيع لئن بلغ الملك الهضام ذلك عنكم لرماكم في نار المنيع ماهذا الجزع والخوف من فارس واحد وان كان مشهورا في الاقطار عظيم الذكر والافتخار فأنتم أسد البر فارموا ابن أبي طالب في المهالك وضيقوا عليه المهالك والمسالك وتقربوا الى ملككم والى الحكم بأخذ رأسه اليه ووضعها بين يديه فتستوجبوا من الملك الاكرام وتتنعمون في الجنات مع الحور الحسان ثم صرخ المنتقم بأعلا صوته وحمل على الامام وحملت معه أصحابه وتراجعوا الحرب واشتد

الكرب وحمى الوطيس وصرخ بينهم اللعين ابليس وتلهبت الجواهر وبلغت القلوب الحناجر وكثر العلق واحمر الحدق وألجمهم الغرق وثبتت الشجعان وفر الجبان وهم ينادون الى أين يا ابن أبي طالب لنذيقنك اليوم المعاطب وظنوا انهم قادرون على الامام *(قال الراوى)* فصرخ بهم صرخة الغيظ المشهورة فى القبائل ثم حمل فيهم وصاح الى أين يا أولاد اللئام وحق رب الكعبة لا أزول عنكم حتى أبدد شملكم وأفرق جمعكم وأخرب دياركم ثم حمل عليهم رضى الله عنه ووضع درقته فى صدر القوم فاقلب بعضهم الى بعض ثم عطف بسيفه على من تكردس اليه فصار كل من ضربه قطع رأسه وكان عدو الله المنتقم يريد الفرار فتأخر القوم معه وبعدوا عن المعركة وعاد الامام الى مكانه وهو ينفض الدم عن ذراعيه وصدره ثم تقدم الى النهر وغسل يديه ووجهه وسيفه وهو غير مكترث بالقوم فزادهم ذلك غيظا وحنقا هذا وعدو الله يعض أنامله من شدة ما أصابه من الامام فلما فرغ الامام من غسل الدم وقف على قدميه ثم التفت الى القوم ونادى برفيع صوته معاشر الاراذل الانذال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز اليوم كسلان ولا عاجز أنا البطل النزال أنا الغيث الهطال ابرزوا الى واحد الواحد وان شئتم عشرة لواحد وان شئتم بجمعكم لواحد فوالذى أنا عبده وابن عمى محمد رسوله لا رجعت عنكم بمشيئة ربى حتى أهدم حصنكم وأبيد رجالكم وأقتل أبطالكم وأشتت جمعكم واستأسر نساءكم وأعجل دماركم ودمار ملككم المضام وصنمه المهين وأحرقه فى النار التى صنعتموها بأيديكم أنا الذى دماركم على يدى أما تعرفونى أنا المعروف فى جميع الاقطار أنا قاطع الاعمار أنا معين المختار أنا سيف الملك الجبار أنا ابن عم محمد المصطفى المختار أنا النجم الثاقب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأنشد يقول شعرا

أنا الخطاف والجزار ادعى * أمير المؤمنين فهل معانى
أنا قرم الهياج الهاشمى * هدمت لخيبر بدأ الزمان
أفيض على الارامل بالعطايا * وأكرم جيرتى فى كل آن
وانى يوم معركتى ضروب * بنصل السيف هامة كل شانى
وهل نار الحروب سوى على * فدونكم ترونى بالعيان

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا ذلك نظر بعضهم الى بعض والمنتقم مطرق لكلام الامام رضى الله تعالى عنه كاطراق الحصان لصلصلة اللجام فعند ذلك أقبل اليه قومه وقالوا له أيها السيد ما الذى تأمرنا به قال لهم هل تتبعونى وقلوبكم مملوءة من الحزن والوجل وأنفسكم قد لزمها الخبل شقيتم من قوم تدعون بالشعار وقد جاءكم العار وهل عار أعظم من هذا رجل واحد منفرد بنفسه يقتل رجالكم ويفنى أبطالكم وبعد ذلك يقسم أموالكم ويستحيى نساءكم وهو يطلبكم وقد التجمتم عن الخطاب وانقطعتم عن رد الجواب فما أتم المنتقم كلامه حتى برز الى الامام من القوم غلام رشيق وبيده سيف عتيق وهو على ضمار من الخيل العتاق فتقدم الى المنتقم وقال أيها السيد وحق المنيع لآتينك برأسه سريع فقال له المنتقم ابرز اليه واهجم بقوتك عليه فلك كل المكارم فأنت الكاشف للكروب العظائم فان أتيتنى برأسه لنقربنك المنزلة العليا عند الملك الصنام والاله المنيع ذى القدر الرفيع واحذر يا أبا الهراش من فورته ولا تركن لخديعته ﴿قال الراوى﴾ فلما خرج الغلام من بين القوم قال الامام رضى الله عنه ظهرت لى شجاعته وبنت لى براعته فأحببت أن يكون مثله لله ورسوله فناديته يا غلام أرى ان سيدك قد ملك المهالك وأوقعك فى ضيق المسالك فارجع فانى لك ناصح وما أرسلك الا ليغضبك ويقطع عمرك ويرميك فاترك ما لا يعنيك وقل معى قولا عدلا مخلصا بالرضا لا اله الا الله محمد رسول الله تكن لنا مواخيا وفى القيامة من النار ناجيا فلما سمع الغلام كلام الامام رضى الله عنه تبسم ضاحكا وقال له انا ما انزعج الا من نار المنيع الاله الرفيع فأنت قلت ما قصدت وفى خطابك ما قصرت فادن منى فأنا فالق الهامات ومفرق الجماعات فقال الامام رضى الله عنه وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب أنذرت وأعذرت واذا أنت عن النصح أبيت وأسرفت فى غيك وتماديت فاقدم على قدمك الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوى﴾ ثم زحف عليه الامام وزحف الآخر على الامام وظن أبو الهراش أنه ظافر بالامام لانه راكب والامام ماش وجعل يجول ويصول فلما نظر الامام اليه قاربه وضرب قوائم فرسه وهو فى جريه فرسخ السيف فى صدره مع رجليه فوقع أبو الهراش على أم رأسه من فوق فرسه فلما وقع على الأرض فى ميدان الحرب أخذ الحذر على نفسه ففار من وقته وهم ان يولى هاربا فعطف عليه

الامام وضربه بذى الفقار عرضا على صدره فخرج السيف من ظهره فسقط أبو الهراش قطعتين الى الأرض وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر القوم اليه بهتوا ودهشوا وعادوا لا يدرون ما يصنعون فنظر اليهم المنتقم وقال يا ويلكم وحق المنيع لو برزتم اليه رجلا رجلا لأفناكم عن آخركم ولو كنتم أضعاف ما أنتم عليه من العدد ادهموه بجمعكم واتركوه هشيما واجعلوه رميا قال فبرز له اثنان غيره من شجعان القوم وفرسانهم فلما رآهما القوم ترجلوا وبادروا معهما مسرعين الى نحو الامام فلما نظرهم الامام وعلم ما هم عليه عازمون تأهب فلم يخاطبوه دون أن تفرقوا عليه ثلاث فرق فرقة عن يمينه وفرقة عن يساره وفرقة امامه فلما وصل اليه القوم وثب على يمينه فقتل من استقبله ووثب على شماله فقتل من أتاه ووثب على من أمامه فخطفه خطف البازو رفعه فى الهواء وحز رأسه فولى الباقون هاربين وللنجاة طالبين ولم يصدقوا بسلامة أنفسهم فقال لهم المنتقم ما وراءكم قالوا له يا مولانا وراءنا أمر لا يكشفه غيرك ولا يكون له أحد سواك فقال ما فعل بأصحابكم فقالوا انهم مأسورون وينتظرونك حتى تمضى اليهم وتخلصهم من يده فانه الموت القاصل والبلاء النازل ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك علم المنتقم انهم يستهزئون به فقال لهم ويلكم تستهزئون بى فقالوا لا وحق المنيع ما استهزأنا بك ولكنك جعلت قومك جزرا فقدمتهم لجزارهم وتأخرت وأنت سميت بين العرب بالمنتقم وما تراك الا عن البراز ملتجم فقد كنت أنذرت الملك يأتيك بمحمد وابن عمه على والا سرت اليهم الى يثرب فها هو قد قرب اليك ولعله انما أتاك به ليكون لك الفخر بين العرب وعلو القدر فما الذى يمنعك أن تمضى اليه وتهجم عليه بقوتك وكان ذلك الكلام من رجل من القوم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع المنتقم منه ذلك الكلام هاجت همته وقلت حيلته وخشى أن يقول له الملك الهضام مثل ذلك فما أحب دون أن وثب بصفيحة عريضة كانت معه فضرب به على كتفه فقطع كتفه وأضلاعه وخرجت الضربة من تحت ابطه فتجندل طريحا انه عدو الله قلع أطماره وبقى فى سراويله ثم أخذ لامة حربه وتوجه نحو الامام قال الامام وقد كنت تأملته حين ضرب صاحبه فرأيت ضربته عظيمة فعلمت انه ما يضرب مثل ذلك الا كل فارس ذكى وساعد قوى فخرج عدو الله الى الامام كأنه برج مشيد أو قطعة من حديد أو جبل من الصخر الشديد ثم أقبل يهدر كالبعير

الهائج وهو يضرب بسيفه على جحفته فيسمع لها صوت كالرعد فلما قرب من الامام وله جسم كالبعير نادى برفيع صوته يا ابن أبي طالب ان البغي مصرعة الرجال وسهام الابطال ومن زها بنفسه وعجب بشجاعته أورده ذلك موارد العطب ومن سل سيفه ظلما قتل به رغما ومن ترك الناس تركوه ومن قصد الناس قصدوه وأحسن الناس عواقب من كان عند الشر رجوعا وما حملني على الابطاء عنك وما مددت يدي اليك بسوء الا ما بدا أتانا من جميلك وصنعك وما أوصلته الينا من حسن كرمك أن قتلت أعداءنا وردت الينا سائقتنا وا أجدا كرامالك أعظم من اطلاق سبيلك حتى ترجع الى ابن عمك سالما وتروح اليه غانما وأرسلك الى حيث تأمن من الطلب فاقبل قول النصيحة ودع مكابدة المكاره ثم بعد ذلك أنشد المنتقم وجعل يقول شعرا

من خالف المرء المشير بنفسه * كان الخلاف الى الدمار سبيلا
من سل سيف البغي يوشك أنه * يرمى به بين الرجال قتيلا
يا ابن المعظم من سلالة هاشم * لا تلق نفسك في الفلاة جديلا
لا تأمنن من نكبة بين العدا * تسعى اليك وقد أتيت رسولا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام من المنتقم ذلك الكلام قال له يا ويلك أما علمت ان مدحك لنفسك عار عليك وزيادة في قدر غيرك أما بعد فوحق الذي يعلم ما في السموات والارض القادر على ان يفعل بكم ما يشاء لئن ضربتك بذي الفقار لأكونن منك الآثار ولتهوين الى النار وبئس القرار يا نسل اللئام الفجار فدع عنك التطاول والافتخار فأنا الاسد الزآر والفارس الكرار وسيف الملك الجبار وابن عم محمد المصطفى المختار أنا المذكور في جميع الاقطار أنا ممزق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدي الغرائب أنا ليث بني غالب أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام حمل على عدو الله وحمل الآخر كذلك وتقاربا وتحاربا وتداعسا وتعاركا وشهد القوم منهم مشهدا عظيما ما روى الرواة مثله قال الامام فوجدت عدو الله صبورا على الضرب جسورا على الطلب ثم ان الامام جمع نفسه وقد كثر بينهم العراك وانغلق واحمر الحدق فلاح للامام من عدو الله التقصير وقد أشرف على الهلاك فنادى المنتقم يا ابن أبي طالب ارفق قليلا حتى أخاطبك بكلام لك

فيه المصلحة فتأخر عنه الامام وقد طمع فى اسلامه وقال فى نفسه والله شهوة أن يكون مثل هذا الأسد الاروع عن الاسلام يدفع ثم تأخر عنه وقال له قل ماتشاء فقال يا ابن أبي طالب أنا قدر حتيك الحسن فعالك ورأيت ان أعفو عنك وأطلق لك السبيل لانى قد علمت انك قد أشرفت على الهلاك وهمك الارتباك فأنا أبعث لك بفرس ومطية وأزودك الماء والزاد وأهب لك من الاموال مايكفيك وترجع الى ابن عمك سالما غانما وأنا أشهد لك بين القبائل والعربان بالشجاعة والبراعة ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام رضى الله عنه لما سمع كلام عدو الله وقال له ياعدو الله قلت الخطاب وطلبت الراحة من العذاب والعقاب فاعلم ياعدو الله ان مطيتك وفرسك ومالك ومال قومك وجميع ماتحكم عليه يدك صائر الى أحله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريب ثم حمل الامام مع كلامه وقال له ياويلك أشير لنفسك وأهلك وأولادك وجميع قومك ان يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم حمل وطلب المجاز الوعد فيه فنظر عدو الله الى الامام وقد عزم على قتله وصمم بعد أن ارتعدت فرائصه وصار يرتعد كالسعفة فى الريح البارد فنادى وقال يا ابن أبي طالب الصدق أوفى سبيل فبالله أبقنى فان لى فى القوم مالا وأهلا وأولادا وعيالا فان ملت اليك يقطعوا بيني وبين أهلى وأولادى وجميع مالى فخل سبيلى حتى أخاطب قومى فان أجابوا الى ما أريد كان الرأى الحسن وان خالفونى دبرت أمرى وخالفتهم وفارقتهم ﴿قال الراوى﴾ فقال الامام افعل مابدالك وأنت بين الجنة والنار فامض الى أيهما شئت وطمع الامام فى اسلامه فخلى سبيله فرجع المنتقم الى قومه وقد تضعضعت أركانه وخمدت نيرانه فقالوا له أيها السيد الكريم مافعلت بهذا الغلام فقال المنتقم وسطوة المنيع لقد نازلت الابطال وخضت الاهوال وبارزت الاقران فما رأيت غلاما أصبر من هذا على القتال ولا أجسر منه على النزال ولا أثبت منه فى الحرب ولا أقوى منه فى الضرب كأنما خلق من الجبال لا تروعه الاهوال وانى حاولته وخدعته بخديعتى حتى أطلق سبيلى فما الرأى فى أمره وما تفعلون فقالوا نحن معك فالذى ترضاه لنفسك رضيناه لنا والذى تأمرنا به فعلناه فقال لهم ياقوم ان هذا الغلام يريد منا ان نرفض عبادة المنيع الاله الرفيع ونعبد الهه ونشهد لابن عمه بالنبوة ونكون معيرة العرب فى المحافل وجميع القبائل ويرمينا المنيع ببوائقه ويعيقنا بعوائقه

قالوا

قالوا وما ترى جوابنا الا أننا نمهله بقية يومنا هذا الى أن يسبل الظلام فنسير
حصننا ونتحصن فيه من داخله ونوثق أقفاله فلا يستطيع الوصول الينا ونرسل
رسولا الى الملك الهضام فيأتينا بجنوده وعساكره وأهل كل حصن يعدوننا بالنصر
على عدونا قالوا جميعا أفلح رأيك أيها السيد هذا هو الرأى السديد فاتفق رأيهم على
ذلك ثم قالوا ادبر هذا الامر بعقلك فانه لا يصلح الا المبارزة كسرى وقيصر ﴿قال
الراوى﴾ فعند ذلك أرسل المنتقم الى الامام رضى الله عنه وقال له يافتى بلغت منالك
وما أملته من هوالك ان قومى راضون بقولك مطيعون لامرك وقد انشرحت لقولك
الصدور وانقادت لديك الامور الا أن قومنا فى الحصن لم يحضروا هذه المشورة
وهم كبراؤنا وقد أرسلنا اليهم ليحضروا فيكونوا معنا داخلين تحت يدك ولطاعتك
مذعنين ولاجابتك مطيعين ولامرك ممتثلين وهذا النهار قد ولى والليل قد أقبل
ونريد أن تمهلنا الى غد أو بعد غد فان شئت أن تقوم معنا ومن رجالنا فتصيب من طعامنا
فذلك مرادنا ومسرتنا وان أبيت فلا اعتراض عليك فكن فى منازلك فعند الصباح
حاول الرواح ﴿قال الراوى﴾ فقام الامام من مكانه بعد أن علم ما عندهم وما
أضمروا عليه ثم وثب الامام بعد تعبه وما كابده فعبر النهر بوثبته ثم اغتسل وتطهر
ولبس ثيابه وكان ذلك عند اصفرار الشمس والامام رضى الله عنه كان صائما اذ نادى
المنتقم يافتى هل لك فى الطعام وتنال منا من الاكرام فقال له الامام طعامكم على
حرام حتى يفصل الله بينى وبينكم من الزمام وتجيبوا بجمعكم الى الاسلام وتقولوا
لا اله الا الله الملك العلام القدوس السلام وتقروا بالرسالة لخير الانام ثم أخذ
الامام قوسه وجعل فيه نبلة ورمق بطرفه الى السماء واذا هو بطائر فى الجو فرماه
وأخذه ونظف ريشه ثم غسله وأضرم النار وشواه فازداد القوم بذلك عجبا وداخلهم
الهلع والجزع مما عاينوا ولم يزل جالسا الى ان غربت الشمس فقام وصلى المغرب فلما
فرغ من صلاته قدم ما كان شواه لافطاره فأكل حتى شبع وأخرج ما كان معه من
الماء فشرب وحمد الله تعالى على ما هو فيه فلما اختلط الظلام نظر الامام الى ناحية
القوم واذا هو برجل خارج من جيش المنتقم مسرعا الى جهة الحصن فظن أنه رسول
فلصق بطنه وتأمل فاذا هو بآخر قد خرج من ورائهم وآخر فى أثره وهم ينسلون واحدا
بعد واحد هربا الى الحصن ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى ذلك الامام علم أنهم عزموا

على الحروب الى الحصن فأخذ سيفه وحجفته وجعل يزحف على بطنه كالحية على وجه الارض الى أن وصل الى جانب النهر وجمع نفسه ووثب فعدى النهر ولم يعدل عليهم بل عدل عنهم وأسرع الى جهة الحصن يريد الوصول اليه قبل أن يصل اليه أحد منهم فما زال الامام يسرع فى سيره فلم يكن الا أقل من ساعة حتى وصل الى الحصن ولم يصل اليه أحد قبله فنظر الى أعلاه فرأى العبيد على أعلا السور وقد رفضوا الرقاد وداموا على السهر بكليتهم وقد خلعوا العذار فى مرضاة الملك الجبار فلما نظروه أسرع منهم جماعة وهموا أن يرموه بالاحجار فنادى الامام لا ترموا بالاحجار وافتحوا الى الباب شكر الله سعيكم وأمنكم من عدوكم فعرف القوم صوته ففتحوا له الباب وفرحوا به فرحا شديدا وكانوا قد أيسوا منه وقالوا يا سيدنا أقلقتنا بابطائك وكثر خوفنا عليك ونوينا على القتال الى أن نقتل عن آخرنا فى مرضاة ربنا فجزاهم الامام خيرا ثم قالوا انما كان من خبرك حتى أبطأت علينا فقال ما يكون الا الخير والسلامة وفى هذه الليلة يظهر لكم ان شاء الله تعالى تمام السرامتع (قال الراوى) ثم قال لهم الامام أخرجوا بأجمعكم خارج الباب ولا تمنعوا أحدا من الدخول وأنا أبلغكم منهم المأمول فقال جنبل بن وكيع يا سيدى وما الذى عزمت عليه قال أن أضرب رقابهم واقطع أوداجهم وألحق أولهم بآخرهم فذهل القوم من كلام الامام رضى الله عنه وخرجوا بأجمعهم الى خارج الحصن فلم تكن الا ساعة واذا بالقوم مقبلين وفى أوائلهم ذؤيب بن ياسر الباهلى فقال له جنبل ما وراءك يا ذؤيب فقال له لا تسألنى عن الموت القاصل والبلاء النازل ثم هم ودخل الحصن هذا والامام يسمع كلامه فقال له صدقت يا عدو الله أنا الموت القاصل وأنا البلاء النازل فلا مفر منى اليوم ثم ضربه ضربة قسمه نصفين ثم سكت وأخفى حسه وهو كالاسد اذا عاين فريسته فبينما هو كذلك اذ دخل آخر فقاربه الامام وضربه فأزال رأسه عن جسده وسحبه برجله وأزاله عن الطريق فدخل آخر فى أثره فبادره الامام وضربه عرضا فقطع ذراعيه مع صدره فسقط أربع قطع وما زالوا داخلين والامام رضى الله عنه يقتلهم واحدا بعد واحد وكل من قتله جره برجله وأبعده عن الطريق (قال الراوى) فبينما هو كذلك اذ دخل آخر فقاربه الامام وضربه فأزال رأسه عن جثته وسحبه برجله وأزاله عن الطريق واذا بضجة عظيمة عالية فتأملهم الامام واذا هو بعدو الله

المنتقم راكبا على بعير وحوله غلمانه وشجعانه وفرسانه وقد أحاطوا به من كل جانب فلما وصلوا الى باب الحصن أناخوا البعير ثم حملوا عدو الله وانزلوه فتقدم الى الباب يريد الدخول فوقف والتفت الى أصحابه وقال لهم يا ويلكم الزموا باب حصنكم الى أن تتكامل أصحابكم وادخلوا الحصن واغلقوا بابه وتحصنوا فيه فتأمنوا من عدوكم ثم ان عدو الله تركهم على الباب ودخل الى الحصن ومعه مائة رجل من جماهير قومه فرفع جنبل صوته يسمع الامام وقال يا مولاى بلغك الاله مأمولك وأعطاك سؤلك لقد أبردت بفعالك قلبي وسررت خاطري فعند ذلك فهم الامام اشارة جنبل وكان للحصن بابان من داخل بعضهما فوقف الامام رضي الله عنه عند الباب الثاني وتجرد من اطماره حتى بقي في سراويله وأخذ سيفه وحجفته ثم أقبل الى عدو الله المنتقم وحواليه السيوف مسلولة وهو في وسط القوم كعلو الفارس على الراجل فلما وصلوا الى الامام وثب عليهم وصاح فيهم صيحته المعروفة الهاشمية وقال الى أين يا لئام الى أين يا عدو الله أين المفر من ابن عم خير البشر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع القوم ذلك ولوا هاربين يمينا وشمالا وصار عدو الله وحده واقفا باهتا لا يدرى ما يصنع فنادى يا ابن أبي طالب احسن الى وابق بكرمك على فقال له الامام أتخدعني يا عدو الله وأنا جرثومة الخداع والله ان لم تقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمي بالرسالة لاقتلنك شر قتلة فقال له يا ابن أبي طالب بحق ابن عمك محمد الا ما أبقيت على فعند ذلك أخذ الامام عمامته بعد ان ألقاه على الارض وكبه على وجهه وأوثق كتافه وجمع يديه الى رجليه وتركه لا يستطيع أن يتحرك وعمد الى القوم وكان رضي الله عنه قد أغلق الباب وأوقفه من ورائهم بعد ان دخلوا عن آخرهم فتصارخوا بأعلا أصواتهم وتحير وافنادوا يا ابن أبي طالب بحق ابن عمك محمد الا ما أحسنت الينا وأبقيت بكرمك علينا فعند ذلك تجرد الامام عنهم السيف وقال لهم وحق الذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا ان لم تقروا لله بالوحدانية ولابن عمي بالرسالة لامحونكم بسيفي هذا عن آخركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله ماذا نقول فقال لهم قولوا نشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا بأجمعهم نشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله فقال لهم الامام رضي الله عنه ما يحقق عندى اسلامكم حتى تعمدوا معي الى قومكم فتقاتلوهم وتقاتلوا ملككم الذميم وشيطانه الرجيم وأنا ناظر اليكم حتى أعلم حقيقة أمركم وحقيقة اسلامكم

وأولادهم وداع من لا يعود وركب الامام رضي الله عنه نجيب المنتقم واجنب الى جانبه
فرسا آخر من عتاق الخيل كان مدخرا عند عدو الله المنتقم وخرج معه القوم محدقين
به وهو كالاسد وخرج أهل الحصن يودعونه ويدعون له بالنصر والسلامة الى أن
توارت عنهم جدران الحصن فأمرهم الامام بالرجوع وقال لهم استودعتكم الله فهو
خير حافظا وهو أرحم الراحمين فسار الامام ومن معه طالبين حصن رامق ووادى
الحديق وصاحبه الامير عليه الخطاف بن هندى الحميرى الملقب بمروع الوحوش من
الوادى ﴿قال الراوى﴾ حدثنا صاحب الحديث قال حدثنا أشياخنا واسلافنا هذا
الحديث وهو ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما فتح الله على يديه حصن الوجيه
وقتل صاحبه المنتقم وأخلاه من الكفر وصار أهله مسلمين وأخذ من القوم ثلاثمائة
فارس وهم شجعان عوابس فساروا وقد أخفى الله أمرهم وما جرى لهم فلم يعلم
أحد من أهل الحصون بذلك والاودية والقوم فى أمن مطمئنون من حول حصونهم
﴿قال الراوى﴾ وأما الملك الهضام فقد اشتد كفره وطغيانه وتجبره وقد شاع فى العرب
ذكره وعظم خطره والاموال اليه من العرب تحمل والانعام اليه تنقل وقد
تزايد أمره وكان يركب فى كل سنة ثلاث مرات الى صنمه فاذا دخل عليه خر له
ساجدا من دون الله عز وجل فلا يرفع رأسه حتى يهتف الشيطان بصنمه ويأمره
بالقيام فيرفع رأسه ويقيم عنده يومه ويخرج عند غروب الشمس ويأتى الى منزله
فيمكث أربعة أشهر ويركب ويأتى الى جنته التى أعدها لمن أطاعه وأطاع صنمه فاذا
سار اليها تقدم الموكلون بها فيعلقون ستورها ويفتحون مقاصيرها ويفرشون فراشها
ويجرون أنهارها ويدعون أطيارها على أغصان أشجارها منها ما هو نبات
ومنها ما هو مصنوع من ذهب وفضة وجواهر ويواقيت مركبة فى الاغصان على شبه
الاوراق والاثمار فاذا غردت أطيارها بطيب ألحانها تتزين الوصائف التى فيها وهم
يسمون بالحور والحسان فيقفن على أبواب المقاصير وبأيديهن مباخر عنبر ونوافش
المسك الاذفر وغلمان الارائك وغلمان آخرون واقفون على أبواب المقاصير وبأيديهم
الفاكهة فى أطباق الذهب فاذا دخلوا بعدو الله الهضام الى جنته غنت الحور وجرت
الانهار وغردت الطيور فوق غصون الاشجار ونثروا عليه وعلى من معه المسك
والطيب فلا يزال كذلك يخرج من مقصورة الى مقصورة ومن خيمة الى خيمة ومن

مجلس الى مجلس ومن قصر الى قصر فاذا عزم على الانصراف تحمل من ذلك النثار
ومن تلك الثمار ويخرج من جنته ويأتى الى صنمه فيضع ذلك بين يديه فيضعون
الستر عليه بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ثم يطلبونه فلا يجدون من ذلك شيأ فيزدادون
بذلك كفرا ويظنون انه أكله ثم يرجع الملك المضام لعنه الله الى دار مملكته فيقيم فيها
أربعة أشهر ثم يركب الى ناره التى أعدها لمن خالفه وخالف صنمه وقد لبس لها الملابس
المطلية بالدهان لئلا تصل اليه حرارتها فاذا وصل اليها جلس على دكة تنصب له مشرفة
على أعلا النار ومن علم الموكلون بها بحيث يزيدون فى اضرامها وارتفاع لهيبها فاذا
نظر اليها وعاين حرها ورأى شواظها وشرارها يأمر بنحر الجزر بين يدى الصنم ويضمخ
بدمها ﴿قال الراوى﴾ فبينما عدو الله فى تزايد كفره اذ ورد عليه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع جميل بن كثير العابدى فاستأذن فى الدخول على الملك فقيل
له اصبر حتى نخبر الملك بقدومك ثم ان الحاجب أخبر الوزير بقدوم ذلك القاصد فاخبر
الملك بذلك فقال أيها الملك انه أتاك اليوم قاصد يذكر انه من عند محمد صاحب يثرب
وابن عمه على بن أبى طالب واستأذن فى الدخول عليك والوصول اليك فأوقفه
الحاجب عند الباب وأخبرنى بخبره وها أنا أخبرتك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك
المضام بذلك عظم عليه وقال أوقد ذكرنى محمد مع من ذكر وعرض لى مثل
ماعرض لغيرى أيظن انى كغيرى من العرب وان الهى كسائر الآلهة ثم أمر ببساط
مجلسه فبسط وستوره علقت وبعث الى أكابر قومه فأقامهم من حوله بالسلاح
والنشاب وبأيديهم العمد والحراب والدرق والسيوف ولبس الملك تاجه الملمع
باليواقيت والجواهر واظهر نعمته وأقام ترجمانه بين يديه لاجل مايبلغ الكلام
الى القاصد ثم أمر باحضار قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فتبادرت
غلمانه وحجابه الى جميل بن كثير فأتوا به أسرع من طرفة عين وقالوا له اجمع عقلك
وبين فضلك وانظر لمن تخاطب واعلم من تكلم ﴿قال الراوى﴾ ثم دخلوا به من
باب الى باب ومن ستر الى ستر وكلما دخل من مكان وجده أعظم من الذى قبله الى
أن وقف بين يديه فلما نظر جميل الى مملكته وسلطانه وحجابه وغلمانه وتاجه الذى
على رأسه ويواقيته والقوم محدقون به التجم عن الكلام وتبلد عن السلام فغضب
الملك لذلك وعرف الغضب فى وجهه فاضطرب القوم لذلك وماج بعضهم فى بعض

ورفعوا العمد والسيوف وتوقوا خطاب الملك لكي يبادرهم بسره فنظر الترجمان الى ذلك وكان صاحب عقل وأدب وفضل فقال للملك لك طول البقاء والنصر على العداء ولك الانعام والهيبة والاعظام اعلم أيها الملك أن هيبة المملكة ومرتبة السلطنة تلجم الناظر عن الكلام وعن مقالته فى النظام حتى تدهشه عن السلام وترتعد منه الفرائص والاقدام وأنت ملك الملوك وسيد كل غنى وصعلوك الا وانه نظر الى مثالك فنظر فيه أثر التقصير فجد عليه بنعمائك واحرزه من سطوة بلائك ﴿قال الراوى﴾ فذهب عن الملك ما كان قام به ثم قال الترجمان لجميل ان الملك يقول لك ويلك ثم ويلك من أنت ومن أين أقبلت والى من قصدت ورسول من أنت انطق ببيان وليكن لقولك برهان والا رميت بك فى قعر النيران ونهره الترجمان وقال له عجل عما أنت قائل فقال جميل بن كثير أنا رسول صاحب يثرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وقد حملنى هذا الكتاب وأرسلنى اليك أطلب الجواب ولا أطلب شرا ولا ضراب وقد أزعجنى ما رأيت من هيبة الملك فتبسم الملك المضام ضاحكا وقال هلم الى بكتابك فتقدم اليه جميل وناوله الكتاب ففكه وقراه وفهم مضمونه ومعناه فقهقه حتى كاد أن يقع على قفاه وقال أيهددنى محمد بابن أبى طالب ويظن انه لى غالب ويطلب منى الدخول الى ملته والميل الى جنته ولا يعلم أن جميع العرب يأتون الى خوفا من سطوتى وجزعا من هيبتى وهيبة الهى أأخفر ذمة الآلهة وأنا ملك الارض والهى اله كل من فى الارض وبيده مفاتيح الجنة والنار أما وحق المسيح لقد طلب منى محمد ما لا يقدر عليه ولا يصل اليه ﴿قال الراوى﴾ ثم التفت المضام الى جميل وقال يا ويلك صف لى هذا الغلام المذكور فى الارض فقال جميل أيها الملك ان الكفر أقبح بالعبد الدنى فكيف بالسيد فان أحببت أن أصف لك فلى عليك شرطان أحدهما ان وصفته لك فلا يكبر على الملك فيقتلنى بغير ذنب وأنت أغنى الناس عن ذلك والثانى أخاف أن أصف لك شأنه فى العظم فيبلغ الملك غيره فأكون عبدا كذابا وأنا الآن أسألك أيها الملك أن لا تسألنى عن هذا السؤال فانى لا اقدر على عليه فقال الملك ان قلت ما فيه على الحق فلا خوف عليك ان كنت صادقا فقال جميل أيها الملك انه غلام موصوف بالشجاعة معروف بالبراعة أخف من البرق اذا لمع وأسرع من الفهد اذا وثب حسن اليقين زائد التمكين أنزع نضر

نقمة على الظالمين ورحمة على المؤمنين حاجب المرافق العالية وقاطع البيض المرهفات وفاصل المشكلات كريم اذا ظفر محسن اذا اقتدر ثم أنشد وجعل يقول شعرا

هو الامام هو المذكور فى البشر * هو الضروب بحد الصارم البتر
هو المسود عتاة الارض كلهم * له الايادى على الاعداء بالظفر
هو الكريم هو الكرار تعرفه * كل البرية من باد ومن حضر
هو الموحد للرحمن خالقه * هو المرتل للآيات والسور
له مناقب لا يحصى لها عدد * جلت عن الوصف فى الادراك للبشر

(قال الراوى) فلما فرغ جميل من شعره تبسم الهضام ضاحكا وقال وحق زجرات المنيع لقد وصفت صاحبك وأحسنت فى وصفه فدع عنك هذا الكلام واقصر عن وصف هذا الغلام واعمل فى خلاص نفسك قبل حلول الى رمسك وقل لى على أى شئ اتبعت محمدا وآمنت به فقال جميل على أن ينقذنى من النار ويدخلنى الجنة التى هى دار القرار فقال الهضام متى يكون هذا الامر فقال جميل اذا قامت القيامة وقامت الخلائق من التراب الى الاجتماع فى دار الحساب فقال الهضام أوقد أخبركم صاحبكم محمد أنكم تموتون وتصيرون رفاتا ويختلط اللحم هذا باللحم والعظم هذا بالعظم وتمضى عليكم الدهور والاعوام ثم تعودون بأجساد وأرواح ثم يكون بعد ذلك حساب وعقاب وجنة ونار فقال له نعم قال له والى أين هذه النار وهذه الجنة قال شئ لا يفنى قال أشئ لا يفنى ولا ينقضى فعجل يا ويلك بالعاجل ودع الآجل فوسطوة المنيع لا قام من فى القبور ولا عاينوا بعدها ضياء ولا نور (قال الراوى) ثم التفت اللعين الى بعض أولاده وكان اسمه ناقدا وقال له قم يا بنى واكشف له عن الجنة والنار وخيره ما بين الدارين فان اختار المقام فى دار النعيم والعيش السليم فدعه يأكل من فواكهها وثمارها ويتمتع بحورها وولدانها ويسكن فى أعلا قصورها وان أبى ذلك فانزلوا به الدمار وكبوه على أنفه فى النار حتى يعلم أن محمدا وابن عمه لم يدفعوا عنه شيأ فقد وصف ابن عمه وزاد فى وصفه فأخذ الملك ناقد بيد جميل وذهب به الى الجنة التى صنعها الهضام وسبق الى الموكلين بها من أعلمهم بقدوم الملك ومعه جميل ففتحت المقاصير وزينت الولدان وعلقت الستور وركبت الاطيار على الاشجار

وأرسلت قنوات العسل واللبن في الانهار وفرشت أرض المجالس بأنواع الحرير ونثر في جوانبها المسك الاذفر والخالص من العنبر والكافور فاستمرت روائح الطيب مع روائح الازهار وروائح الخمور وما يجري من الطيور المحشوة بالمسك المسحوق والعنبر المعتوق فاذا هبت الريح نفخت في الاطيار فيخرج الطيب من أفواهها ومن أجنحتها وغنت الحور بغرائب الالحان وترنمت الغلمان بطيب الاشعار ﴿قال الراوي﴾ ثم أتى ناقد بجميل وأدخله فلما توسطها ونظر الى تلك الاشجار والانهار والحور والولدان ونظر الى قنوات العسل واللبن وخمرة الخمور وحسن فرش القاصير طار عند ذلك عقله وذهب رشده ووقف بين يدي الغلمان وتصايحت به الحور من سواحل الانهار وبأيديهن الكؤوس مملوءة تناديه بتلك الاصوات فلما نظر جميل الى ذلك افتتن وأحب تلك الجنة وسكانها وما ظهر له من نعيمها وعلم ابن الملك ما عنده من الضلال فقال له ما قولك في هذه الدار قال جميل نعم الدار ولو أن سكانها يبوؤن بغضب الجبار ﴿قال الراوي﴾ ثم قال له ناقد اتبعني حتى أكشف لك عن دار هي أحسن من هذه ثم أخرجه وعمد به الى النار وقد كان أرسل الى العبيد الموكلين بها الذين سموهم الزبانية فأمرهم باضرامها وقوتها فلما أن قرب منها ناقد وجميل قربه وأطلعه في درج عال مبني من الرخام الملون حتى انتهى الى أعلا الدرج فقال ناقد لجميل أتختار أي الدارين أردت فلما أشرف جميل على النار ونظر الى قعرها وكثرة زفيرها وشواظها وكثرة دخانها وجمرها وشررها تغير لونه وقال أنزلوني من هذا المكان فلا صبر لي على هذا فلما سمع ناقد ذلك قال له ويلك يا جميل فلو ألقيت فيها وصرت في قعرها وتقلبت على جمرها فقال جميل ابعدوني عنها وامضوا بي الى الجنة فعطف به ناقد الى الجنة فلما دخل فيها جميل وتوسطها واستنشق ريحها وتصايحت به حورها وولدانها افتتن جميل واحتوى الشيطان على قلبه فسلب الله تبارك وتعالى منه الايمان ومال الى ملتهم ورفض دين الاسلام وكفر بالملك العلام وصار يتمايل على الجواري اللاتي سموهن الحور العين فتصايحت به الحور الحسان تنظر الى واحدة منهن لم ير أحسن منها ولا أجمل فأشار اليها فعدلت الى مقصورتها وجلست على تلك النمارق والفرش ﴿قال الراوي﴾ فعدل من ورائها جميل لعنة الله عليه الى تلك الآلات والستور والآنية من الذهب والفضة فقال للجارية لمن هذه قالت لك وأنا لك وجميع

هذا لك الا أنك لا تستحق هذا حتى تمضي من وقتك وساعتك الى الاله المنيع فهو المنا
الاعظم فتخر له ساجدا وتقر له بالعبودية فقال لها حبا وكرامة أنا أسجد له مائة سجدة
ثم خرج جميل وناقد بن الملتمس لانه كان أوصى الحور العين أن يخاطبوه ويقولون له
ذلك فلما خرج جميل قال له ناقد الى أين تريد قال الى الاله المنيع والرب الرفيع
أسجد له وأقر له بالعبودية فقال له ناقد أفلحت يا هذا ونجحت ثم أقبل ناقد راجعا الى
الصنم فما زال كذلك حتى قرب من الابواب وما زالوا كذلك حتى دخلوا فيها وهمت
الناس المتنعمون في الجنة أن يدخلوا معهم فمنعهم الحاجب من الدخول فتصايحوا
بناقد وقالوا له دعنا ندخل الى ربنا المنيع والمنا السميع فننظر الى معجزاته ودلائله
وآياته (قال الراوي) فأذن لهم ناقد بالدخول وهو أمامهم قابض على يد جميل
لعنه الله فما زال يدخل من باب الى باب الى أن دخل الى البيت الذي فيه الصنم فنظر
القناديل يوقدون بأطيب الادهان ونظر الصنم معلقا في الهواء لا يرفعه عمد من تحته
ولا علاقة من فوقه فحار جميل واندهش وأعطاه ناقد خاتما من الحديد الصيني كبيرا
فأخذه جميل بيده وتقدم الى الصنم فلما شم الصنم رائحة المغناطيس جذبه بالقوة
المركبة من الحديد فلما نظر جميل الى ذلك حار فعلم ناقد منه ذلك فقال له يا ويلك اسجد
فان الاله قد قربك اليه واحتالك منه فعند ذلك سجد جميل بن كثير لعنه الله وسجد معه
جميع القوم فأقبل الشيطان اللعين الموكل بالصنم فدخل جوفه وجعل يقول شعرا

حطوا أوزاركم أني المكرمو * والعفو والصفح من خلقي ومن شيمي
وقد غفرت لكم جمعا بأسركم * مع الرسول الذي قد فاز بالنعم
وفي ذرى جنة يحظى بها رغدا * على الارائك والغلمان والخدم
مننت بالصفح عما كان منك ولا * أريك بأسي ولا أرميك بالنقم

(قال الراوي) فصاح به الخدم من كل جانب ومكان يقولون يا جميل ابشر بالخير
الجزيل فقد جاد عليك المنيع بالكرم والتفضيل وقد خرجت من ذنوبك كيوم
ولدتك أمك فرفع رأسه ورفع الناس رؤسهم فلما فرغ تمسح القوم كلهم به تبركا وهنوه
على ذلك وقبلوا يديه وكذلك ناقد ولم يزالوا من حوله محدقين الى أن أوصلوه الى الجنة
التي يزعمونها فلما دخلها استقبلته صاحبته الطاغية بكأس من خمر وقالت له خذ
هذا فهو تمام الفرح وزوال العسر ولم يبق بعد يومنا هذا تعب ولا نصب فتناول

الكاس من يدها وتجرعه وأبعده الله تعالى عن بابه وطرده عن نبيه ونام مع صاحبته وكفر بالله العظيم وسب رسوله الكريم فأمهله الله وأمهل الملك وقومه استدراجا من الله لهم ثم ان ناقدا أتى الى أبيه وأخبره بذلك ﴿قال الراوى﴾ ففرح المضام بذلك فرحا شديدا وقال وحق المنيع لو وصل الينا على بن أبى طالب لفعلنا معه مثل هذا وكان يسير الى ما سار اليه صاحبه وينسى ابن عمه وأهله وأقاربه وهل كان يرى هذا النعيم والعيش السليم ويتباعد عنه * ومازال الملك فى كفره وطغيانه واعجابه بصنمه وزادلة فى التساخير والقربان وكثرة الادهان قال فلم يمض الا يومان أو ثلاثة بعد أمر جميل والقوم فى لهوهم وسمر ورهم والسدنة من حول الصنم وقد هجع القوم فى بعض الليالى وهم بين نائم ويقظان وقعود وقيام اذ صرخ الصنم صرخة عظيمة دوى منها المكان فوثب لها كل نائم ويقظان فازدحم الناس على الابواب وقام الملك من على سريره وأولاده حواليه فقال الملك لولده الاصغر وكان اسمه غنام أنظر يابنى المنيع ولاشك أنه وقع به أمر فانظر ماهذا الخبر فمضى غنام ورجع وهو طائش العقل فقال ياأبت انه صراخ المنيع ولاشك انه وقع أمر فركب الملك من وقته وركب أولاده من حواليه وأحدق به حجابه وأهل مملكته واجتمع الناس اليه ودار وابه من كل جانب فعند تكامل القوم سار بهم الملك حتى دخل بهم على الصنم بعد سكونه فلما دخل عليه الملك صاح واضطرب ونطق الشيطان من جوفه ينشد ويقول شعرا

قد حل فى ساحتكم ليث بطل * ورام الشجعان كلا بالجبل
هذا على عن قريب قد وصل * فادهموه بالسيوف والنبل
ثم اقطعوا منه بعزمكم الامل * فهو لكم وفى يديكم قد حصل
فهو بوادى الظل فيه قد نزل * وهو على ليس فى قولى زلل

﴿قال الراوى﴾ وكانت هتفة الصنم قبل أن يصل الامام الى حصن الوجيه حين قتل المغضب وخلص الساقة وردها وتعوق بعد ذلك حتى فتح الحصن فلما سمع الملك من صنمه هذا الكلام قال ياالهى وياسيدى لاوقفنه بين يديك ذليلا حقيرا وتحكم فيه بما تشاء وتختار ثم ان الملك التفت الى ولده ناقد وكان أكبر أولاده فقال له ياناقد اسعد لا الملك فانك لعدوه قاصد وله قائد وعن قريب تأتى به حقيرا ذليلا لنخر ناقد

ساجد الصنم فسمع عند ذلك ضحكا واستبشارا وفرحا وسرورا من الصنم ثم قال يا ناقد ارفع رأسك وأسرع بالاستعجال واجمع الابطال واسرع فى الارتحال حتى تذيق حيدرة النكال وتأتى به فى القيد والاغلال منكسا فى أسوء حال حتى يجىء فى حضرتى فى الحال فأذيقه العذاب والنكال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك ناقد قام مسرعا وعطف مع أبيه الى منزله فقال الملك يا بنى اعلم انك وافر العقل تام الفضل وان الملك لا يحذر الا من أمر عظيم وهذا الغلام المذكور على بن أبى طالب وانه قد شاعت بين العرب أخباره وقد ظهر انه فارس صنديد وبطل شديد وقرم عنيد الاوان الملك وعدك بالنصر عليه وأخبرك انه وحيد فريد فامض اليه وخذ من تختاره من قومك وعشيرتك وأوصيك اذا لقيته فحذره من نارى وشوقه الى جنتى فان ركن اليك فجد بالعفو عليه وابسط جناح الاحسان اليه وان أبى فاغتنم انفراده فانك آمن من ناصر ينصره أو معين يعينه ولاشك انك تجد عند حصننا الاقصى وهو حصن الوجيه نازلا مع الرعيان لان الملك أخبر أنه قد نزل هناك وحده ولكن كن على حذر منه وانتخب من قومك من ترضاه ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قام ناقد على قدميه وجعل يخترق الصفوف ويتصفح وجوه الرجال وينتخب الابطال الى أن اختار من صناديد القوم ألف رجل فوارس فلما برق ضياء الفجر خرج ناقد وقومه وقد تزينوا بزينتهم المدخرة عندهم ولبسوا على رؤسهم التيجان المرصعة باليواقيت والجواهر الثمينة وقد توشحوا بالبرد اليمانية وركبوا الخيول العربية وناقد ابن الملك المضام أكثر من زينته وله ذوائب تبلغ الى مؤخر سرجه وهو متقلد بسيفين عن يمينه وعن شماله وبيده رمح خطى فلما تكامل أصحابه وعزموا على المسير ركب أبوه معه يشيعه ويوصيه ويحرضه على الامام رضى الله عنه الى أن بعد عن الحصن فرجع الملك الى حصنه وسار ناقد وهو يجد السير ويظن انه يلقى الامام وحده منفردا فى طريقه فيقبض عليه ويأخذه أسيرا من غير حرب ولا قتال وجعل كلما أتى حصنا من حصون أبيه خرجوا اليه فيكتم أمره عنهم خفية أن يسبق الخبر الى الامام فلم يزل سائرا الى ان وصل الى وادى الحدائق وحصن رامق فخرج اليه أهل الحصن وسألوه عن سبب خروجه فقال لهم هل طرقكم طارق أو أتاكم خبر من مدينة يثرب فقالوا له وحق أبيك ما رأينا الا رسولا مر بنا من مدة أيام يزعم

انه من عند محمد بن عبد الله رسولا بكتاب لابيك فقال لهم ناقد وصل الينا بكتابه ودعوناه الى ديننا فأجاب وركن اليه وجدلا لمنا وتلذذ بحضنتنا ففرح القوم بذلك وقالوا والله وهل جده زملك الى مدينة يثرب التى فيها اعداؤنا وأمرتفيها بأمر فقال لا ولكنى سائر الى حصن الوجيه وأعود راجعا فبات عندهم الى الصباح ثم ارتحل وجد فى السير ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو سائر اذ لاح له غبرة عظيمة فتأملها وقال لقومه ما تكون هذه الغبرة العظيمة فقالوا والله لعل ان تكون غبرة مال أو ظباء شاردة أو زوابع عاقدة فقال لهم ناقد لو كانت كما تقولون لكانت منفرجة وهذه عقدة منعقدة فتأملوها جميعا فقال بعضهم وحق المنيع ان هو الا جيش وقال بعضهم غير ذلك فتحير القوم من ذلك ووقفوا جميعا فبينما القوم واقفون متحيرون اذا انكشف الغبار ولاحت لهم الاسنة ولمعانها وهى تبرق كالبرق وكواكبها زاهرة فذهل القوم من ذلك ولم يعلموا انه جيش الامام على رضى الله عنه وكان الامام قد نظر من بعيد فقال لقومه يا قوم ألا ترون ما أرى فقالوا يا ابن عم رسول الله ما ترى قال انى أرى جيشا كثيرا فتأمل القوم فنظروا جيش ابن الملك فقال الامام يا معاشر المسلمين لا شك ان أصحاب الحصون قد بلغهم خبرنا وقد خرجوا الينا واستقروا علينا فهل منكم من يسرع اليهم ويأتينا بخبرهم ويعرف من هم وما قصدهم لنكون على علم ﴿قال الراوى﴾ فتقدم اليه جنبل بن وكيع وقال له يا مولاى انى لكلامك سامع ولامرك طائع أومرنى بما تشاء وتختار فانى وحق ابن عمك محمد لا أخالف لك أمرا فجزاه الامام على ذلك خيرا وقال له أنت لها يا جنبل فاسرع اليهم فان كانوا من أعدائنا فلا بأس أن تخدعهم بخديعتك وتكون لنا فى الخداع حسنة واذكر لهم أنكم ظفرتم بى وأمسكتمونى وأسرتمونى وانكم سائرون بى الى الملك الهضام لتأخذوا منه الجزاء والاكرام ثم قال له الامام بادر وفقك الله الى مسيرك واعانك فى أمورك فلما سمع جنبل بن وكيع ذلك ركض جواده ركضا وجد سريعا الى أن قرب من جيش ابن الملك الهضام فوجدهم قد جردوا السيوف وأوتروا القسى وعزموا على القتال والحرب فنظر جنبل اليهم والى حميتهم واذا هو بناقد ابن الملك وكان أعرف الناس به وكان جنبل صاحب خديعة كثير المكر والحيل فلما عرفه وتحققه وعرف انه ناقد ابن الملك ترجل جنبل عن جواده وأقبل يسعى على قدميه ﴿قال الراوى﴾ فلما قرب من ناقد خر ساجدا لله تبارك

وتعالى فلما نظر اليه ناقد عرفه وظن انه ساجد اليه فقال له يا جنبل ارفع رأسك فقال
يا مولاى عبدك وابن أمتك فقال ناقد اركب جوادك فركب جواده فقال له ناقد يا ابن
وكيع ما وراءك وما الذى بلغك من خبر هذا الغلام الكثير الانتقام على بن أبى
طالب فقال له جنبل اسمع يا مولاى بينما نحن فى سرحنا وغنمنا على جرى عادتنا ونحن
فى الظلل مجتمعون جلوسا نرتع ونلعب اذ حضر الينا غلام من أعلا الوادى وهو يهوى
كالبرق يهرول فى مشيه ويوسع فى خطواته وهو يهمهم ويدمدم ويهدر كالاسد
الغاشم أو كالجمل الهائج ثم اجتمع ووثب وثبة تعدى بها النهر يثب كالارنب ويخطو
كالاسد يقصر الليث عن وثبته فى عظم خلقته وكبر جثته كبير الساعدين بعيد ما بين
المنكبين فحققناه وقربنا منه وتصايح أهل الحصن ونزل اليه سيدنا المنتقم فنازله
فى ميدان الحرب فلم يزل به ومعه حتى عثر برجله فى حجر فوقع على وجهه فترامت عليه
الرجال والابطال فأخذوه بالاقتدار أسيرا وملكوه وصار فى أيديهم حقيرا ذليلا ثم
كتفناه وحملناه بعد ان جندل منا جماعة كثيرة من الرجال والشجعان والابطال
فأجمعنا على قتله فمنعنا عن ذلك سيدنا المنتقم وأمرنا بحمله الى الملك المكرم والصنديد
المعظم ليحكم فيه بما يشاه ويختار ويمضى فيه ما أمره المنيع الاله الرفيع فلم
نجسر ان نسير به الا فى عدة من الابطال والرجال الفوارس خيفة منه أن يحل وثاقه
ويحل بنا الويل والنكال وهذا يا مولاى جملة أمرنا وغاية خبرنا (قال الراوى)
فلما سمع ناقد ذلك من مقالة جنبل تهلل وجهه فرحا وسرورا ثم قال وحق المنيع لقد
فزتم بهذا الغلام واستوجبتم على فعلكم الاكرام وما خرجت من مكانى الا لهذا
الغلام الكثير الانتقام فحصل لكم بلا املام ونخرتم به على جميع الانام وفزتم
بالعز والاعظام عند أبى الملك الهمام وعند المنيع ذى العز والاكرام لكن
يا جنبل أرعبنى وصفك لهذا الغلام وافزعتنى بذكره فعد الى قومك وأمرهم أن
يسرعوا الينا ويقدموا بهذا الغلام علينا فعاد جنبل راجعا وقال يا أبا الحسن
قد أتيتك بطير سمين وهو ابن الملك فى ألف فارس قال فسار الامام على مهل حتى وصل
الى عسكر ناقد فقال ناقد وجبت لك البشارة يا جنبل فأين هذا الغلام المسمى بعلى فلم
يتم كلامه حتى تقدم الامام الى ناقد وأسفر عن لثامه وقال ها أنا معدن المواهب أنا
المشهور فى المناقب أنا على بن أبى طالب (قال الراوى) فلما سمع ناقد كلامه فتح

بجواده بالسوط وصرخ فى قومه وقال يا قوم ان جنبلا قد خدعكم وما يجبسد كم من القوم الا القتال الشديد والضرب الاكيد فأقرنوا المواكب وصفوا الصفوف وتفرت الرجال للحملة فقال الامام لاصحابه احملوا بارك الله فيكم وعليكم وبقى الامام ينتظر لعل أن يقع نظره على ناقد فيقبضه قال فحملت الرجال على الرجال واختلط الجمعان ووقع السيف بينهم قال فبينما الامام ينتظر ناقدا فاذا هو قد حمل وهو حسن الوجه صغير السن فلما انظره الامام أشفق عليه أن لا يقتله وكان لا يرحم كافرا قط غيره فبينما الامام مع ناقد وقد حملا على بعضهما بعضا واذا بصياح عال واذا هو صاحب حصن الرامق يسمى الخطاف وكان قد أرسل اليه أصحاب ناقد وقالوا له الحق ناقدا ابن الملك فانه مع على فى أشد القتال فلما أشرف عدو الله الخطاف على ناقد قال يا مولاى ما يكون للملوك قتال ارجع ودعنى مع هذا الغلام وأنا أكفيك شره ثم تقدم الخطاف الى الامام وهو ينشد ويقول شعرا

مالى أرى القوم فى كرب وفى حرج * قد سربلوا جمعهم بالويل والفكر
وكلهم جزعوا من خوف سيف على * نسل الكرام المسمى من ذوى مضر
القوم قوم اله يعرفون به * من الحديد ومن جزع ومن ضجر
لأتركن عليا تحت ذلته * حتى أطوف به فى البدو والحضر
لابد من بعد ذا نار المنيع بها * يصلى وبرمحى بها فى شدة الشرر

(قال الراوى) ثم حمل عدو الله وجعل يخوض المعمعة بسيفه وقاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فبينما هو يكر على المسلمين واذا بصوت الامام رضى الله عنه وهو يقول أنا ابن الابرار من نسل هاشم المختار أنا الضارب بذى الفقار أنا ماحق الاشرار أنا ولى الابرار فلما سمع عدو الله صوت الامام ونهراته وزجراته وحملاته وجولاته فى الحرب وهو يخطف الفارس من سرجه ويضرب به الثانى فيقتل الاثنين فهابه القوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرؤس تتناثر الى وقت العصر فافترقوا وقد ملئت عرصات الوادى بالقتلى وتراجع الفريقان فى أماكنهم ورجع الامام الى عسكره وهو كأنه غمس فى دم وهو يترنم ويقول شعرا

حومة الحرب بغيتى ومرادى * وطريقى الى فنا الاوغاد
يا ابنة الطهر لو رأيت حروبى * وشهودى وشدتى وجلادى

وورود الحسام فى منهل النقع لأشفى من اللئام فؤادى
هل سبيل الى حياض المنايا * هل حروب أسعى لها بجوادى

﴿قال الراوى﴾ فاستبشر أصحابه وفرحوا به وهنوه بالسلامة فرجعت الطائفة الاخرى الى موضعها خاسرة فافتقدوا ما قتل منهم فاذا هو أربعمائة فارس وافتقد الامام أصحابه فاذا قتل منهم رجلان فلما أصبح الله بالصباح تراجع الفريقان الى مقام الحرب والطعان واصطفت الصفوف للمبارزة ثم قال الامام ان القوم أكثر منا عددا وأقرب مناديا واوانى أخاف من نجدة تنجدهم فيكبر علينا الامر ويكثر علينا الشر وانى أرى من الرأى أننا نبادرهم قبل أن يبادرونا ونفجعهم قبل أن يفجعونا وذلك أهيب لنا فى قلوبهم وأرعب فى نفوسهم ثم قال لأصحابه قفوا مكانكم حتى أسير بين الصفين وأطلب البراز فعسى أن يخرج عدو الله الخطاف فآخذه بلا تعب فقالوا ياسيدنا ان فى القوم أسدين وسبعين علقمين لا ينكران أحدهما ناقد ابن الملك والآخر الخطاف فاحذرهما وقد عرفتهما بالامس وأنت أخبر الناس قال الامام حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿قال الراوى﴾ ثم خرج الامام منفردا بنفسه وأخذ نحوه غير حليته فلما تمثل بين الصفين قال الخطاف لناقد من هذا الذى تعرض للقتال وطلب البراز والنزال قال ناقد أوما تعرفه قال لا قال هذا خائض الغمرات وفالق الهامات ورامى قومنا بالشتات هذا على بن أبى طالب فقال الخطاف انى أراك يا ناقد كثير الوصف له لعلك كثير الارتعاد منه قال نعم يحق للمريض أن يفزع من الموت وراكب البحر أن يفزع من الغرق فبينما هما كذلك اذ زحف الامام عليهما حتى قاربهما ثم نادى هل من مبارز هل من مناجز هل من باغض فى الحياة هل من راغب فى الموت هل من دانى لاعرفه مكانى فلم يبرز اليه أحد فحمل على الميمنة فقلبها على الميسرة وقتل ماشاء الله تعالى ورجع الى مكانه ونادى هل من مبارز هل من رواح الى قابض الارواح هل من فارس جحاح يخرج الى القفار الفساح فلم يجبه أحد فحمل على الميسرة قلبها على الميمنة وقتل ماشاء الله ورجع صوب القلب ونادى هل من مبارز أين من زعم انه كفء كريم فلم يتم كلامه حتى انقض عليه ناقد وهو على جواد أشقر كريم المخبر محجل اذا طلب لحق وبيده رمح طويل معتدل الانابيب يتلهب كالنار حتى صار بين يدى الامام ونادى يا غلام الرفق بالمرء يوصله الى مناه ويدرك به

هواه لاوقاية لمجهول ولا مروأة لمأمول ولا رأيت فارساقبلك ملك ماملكت من الشجاعة والبراعة والحسن والكمال فاكشف لنا عما تريد فلعل ان تكون الاجابة عندنا والانعام والآن قد كشفت عنانك وأظهرت أوعادك ولعمري قد كنت متطاولا لرؤيتك ومشتاقا لقامتك للكفاء الواقع منك ولما خصصت به من المقدرة على الابطال وحسن فعالك فى النزال وما وصف لى شيء الا ولاح لى اضعافه فقل ما أنت طالبه وما مرادك (قال الراوى) فأعجب الامام كلامه فقال له مرادى أن تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا قلت ذلك وأقررت لله بالوحدانية فلك ما لنا وعليك ما علينا وأما صنمكم الذميم فسوف يظهر فيه العبر وأكسره أمامكم كسر الحجر وترجعون الى عبادة الرحمن فتكونوا شركاء لنا فى الدين واخواننا فى الاسلام فقال له ناقد يا ابن أبى طالب دونك حسام خاطر وموت باتر وشر غير فاتر فقال له الامام دونك والقتال قال فوقف ناقد يتكلم فى نفسه ويقول فى كلامه والامام يسمع فى موضعه وحق المنيع وزجراته لو تركنا حياته لغشينا فى منازلنا وطرقنا فى مراقدنا ولعمرى انى أجد فى كلامه حلاوة ولمنطقه مرارة انى أرغب وأخشى وأريد وأخاف وأنا محبوس تحت المشيئة يفعل ربى الاعظم ما يشاء فقال الامام أحسن بك أن تتقرب الى الحق ولا تخليه ويصلك من رضى الله ما رضى لنفسه ما ترك من النصح شيأ الا وخصك به واعلم ان نار كم تخمد وجنتكم تفنى وصنمكم يعطب قال ناقد ومن يفعل هذا فقال له الذى يهدى الى الحق والى صراط مستقيم يا ناقد أطلق لسانك بالوحدانية لله تعالى واشهد بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم يمح عنك ما سبق قال ناقد ما أنا بالذى يفعل ذلك ويبقى له العار والشنار وأنشد وجعل يقول

النار أسهل من عار يداركنى * بين القبائل فى سهل وفى جبل
يا من بنصح يهددنى ويزجرنى * أقصر فعالك فى لومى وفى عذلى
أخشى الشنار وأخشى العار يدركنى * من أن يقال صبا من خيفة الوجل
أقبل على الحرب وادنو من مصادمتى * فلست فى الحرب زواغا عن الاجل

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلامه تفكر فيه ساعة طويلة على ما ظهر من كلامه فدمعت عيناه تأسفا عليه ولم يسمح بقتله فقال ناقد يا ابن أبى طالب خذ لنفسك واحذر من خصمك وخذ فى الجد وخل عنك الهزل فعلم الامام أن لا بد له من لقائه

فتقار با

فتقاربا والتطما وعظم بينهما الجدال والفريقان ينتظران ما يفعل بهما كل ذلك والامام يظفر به ويعفو عنه ويؤمل اسلامه وهو يصرخ بالامام ويحمل عليه والامام يحمل ضربه وطعنه فلا زالا على ذلك الحال حتى مضى النهار وأقبل الليل فخاف الامام أن يدركه الليل ولم ينل منه ما أمله فحمل عليه وكان قد ظهر له من ناقد التقصير فطمع فيه وجعل يدبر الحيلة عليه من أين يأخذه فتصارخت الابطال وتزاعقت الشجعان واذا بالمشركين يصرخون ويقولون خرج الخطاف واندهل العسكران والخطاف ينادي لا تعجل يا غلام علينا فتعجل عليك وابق علينا نبق عليك (قال الراوي) فوثب الامام رضي الله عنه على ناقد وقبض عليه فتعلق به ناقد وتعاركا طويلا فادركهما الخطاف فتعلق بهما وماجت بهم الخيل وثار الغبار وأخفاهم عن الابصار وسمعنا صراخ الخطاف وقد همد وسمعنا هدرات الامام وزجراته ثم خمد الصوت فلم يسمع لهم حس هذا والغبار متزايد وقال طال على الناس المطال وقلقوا اقلقا شديدا ولم يبق أحد من الفريقين الا وأيس من الامام رضي الله عنه فقال جنبل نحن فرطنا في الامام اذ رأينا مع هذين الاثنين ولم نخرج اليه ولم نساعده ولم نجده ونفديه بأنفسنا وأي عذر لنا عند الله تعالى فاجمعوا أمركم واحملوا بأجمعكم فعسى ان نخلص سيدنا وأميرنا وانه قد وقع بين بحرين دامغين ولا خلاص له من بينهما الا أن يشاء الله وقد رام كل فريق أن يحمل ويخلص صاحبه وقد زاد القلق واشتد الارق وازور الحدق وغربت الشمس وزال الضياء وازهرت النجوم واذا بصرخة عالية وهو صوت كالرعد القاصف واذا بالامام قد خرج من المعركة وهو يقول فتح ونصر وخذل من كفر من اللئام وعبدة الاصنام هذا وناقد في يده كالحمام في مخالب الباز ونظروا واذا بفارس هارب من تحت العجاج فتأملوه فاذا هو الخطاف وأما ناقد فصار مثل العصفور في يد الباشق فسلمه الامام لاصحابه وقال يا معاشر الناس ان القوم قد خمدت جمرتهم فاحملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم فقالوا يا أميرنا الليل قد أقبل والنهار قد أدبر فقال لهم الامام أضرموا النيران وأقلوا الرقاد وأقيموا الحرس فانها ليلة كثيرة الاهوال والله أعلم بالمآل (قال الراوي) ففعلوا ذلك وأقبلوا على السهر والرصد ولم يرم أحد منهم سلاحه ولم يضع جنبه على الارض وهم جلوس قابضون على أسلحتهم وتولى الامام رضي الله عنه حرس المسلمين الى أن أصبح الله بالصباح

وأما المشركون فهربوا مع الخطاف الى الحصن فقال عسكر ناقد يا خطاف تمضي الى حصنك وتخلي ابن سيدنا في الاسر أما وحق المنيع ما نسلمه لعلي الا أن قتلنا عن آخرنا ولاي شيء أنت خرجت معنا قد رميت سيدنا ورجعت وأنت سالم فقال الخطاف يا ويلكم لقد قاتلت ومانعت عن نفسي وسعيت في خلاصه فما استطعت ولولا اني لعلي كففته لما خلصت من يديه فقالوا له امض الى حصنك ونحن اذا أصبح الصباح سعينا في خلاصه وأما الامام رضي الله عنه فانه لما طلع الفجر أذن وصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم أقبل يحرض الناس على القتال ويقول يا معاشر الناس اعلموا انكم في غمرة ساهون وكنتم تعبدون الاوثان فأنقذكم الله وأسعدكم بفعلكم وهذا عدوكم بازائكم فاصبروا وصابروا يوصلكم الى النجاة ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام دعا بناقد وقال له يا ناقد لقد تقدم فيك القضاء وقيدك لنا رب السماء وأنت في أمل فهل لك ان نبقي عليك فتقبل ان تسكن برسلك قال يا ابن أبي طالب أيجيئني منك تاج بعدما كان بيني وبينك من الوحشة والبغضاء والعداوة قال يا ناقد اذا كان قلبي مبغضا على كافر ثم أسلم وأقر بالوحدانية لله تعالى ولمحمد رسوله بالرسالة بدلت البغضاء بالمحبة وانقلبت الوحشة بالمودة فاذا أقررت بهما يطيب عيشك وتفوز بخيري الدنيا والآخرة قال يا ابن أبي طالب ومن يخلصني من المنيع قال له ان طول الله عمري لتنظرن صنمك المنيع بأمر هائل شنيع وتراه في النار التي وصفتها ملقى حريقا صريع فقال يا ابن أبي طالب لا شك فيك ولا فيما أظهرته وفعلته فقد وهبت نفسي لك في هذا اليوم ولا أبالي بما يلحقني من المنيع ولا من أبي وذوي حسبي وأنا أقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد أفلح من آمن بربكم وخاب من كذبكم وها أنا قاتل بين يديك في القوم لله ورسوله ولك ولا أبلغك الا الرضا ﴿قال الراوي﴾ فسر الامام سرورا عظيما وقال له ألبس لامة حربك واركب جوادك حتى تخرج الى قومك ثم أمر المسلمين بالركوب فركبوا خيولهم وفعلوا ما أمرهم به الامام فلما تقاربوا من المشركين قال الامام لناقد يا ناقد ابرز بين الصفين وادع قومك الى الاسلام فلعل الله يهديهم كما هداك فخرج ناقد وهو راكب على جواده ولابس لامة حربه فلما نظر اليه قومه فرحوا به فرحا شديدا ولم يبق أحد منهم الا عرفه وقد ظنوا ان الامام أطلقه فلما قرب منه ناداهم بأعلا صوته يا بني باهلة قد ظهر الحق وانكشف

الغطاء وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا هذا باب الايمان وصاحب محمد عليه السلام صاحب النور والبرهان هذا على بن أبي طالب ساقى الاعداء سم البلاء بسيف الله ياقوم اعدلوا عن الضلالات واعتذروا الى رب البريات يغفر لكم مامضى وماهو آت يامعاشر قومى وعشيرتى ليبلغ عنى كبيركم وصغيركم أنى قائل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله لا أحول عنها ولا أزول وما أنتم أشد منى باسا ولا أقوى مراسا وهذا باب قد فتح الله طريقه ولاح لكم تحقيقه فكونوا مثلى تفوزوا بالشهادة وتكونوا من أهل السعادة ﴿قال الراوى﴾ فما كان غير ساعة حتى ظهر من القوم كردوس عظيم نحو من ألف فارس ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا عند ناقد واذا هم أصحابه الذين هم خرجوا معه من عند أبيه وهم يقولون ياسيداه لنا أسوة بك والذى تختاره أنت نرضاه ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وهذا تصديق ايماننا ثم عطفوا على قومهم أصحاب الخطاف ووضعوا فيهم السيف وحملت المسلمون معهم والامام فى أوائلهم وناقد الى جانبه فلم تكن الا ساعة حتى ولت المشركون ولم يزل السيف والطعن واقعا فيهم وكان الخطاف على ساقة العسكر فقاتل قتالا عظيما فلما ولت أصحابه ولى طالب الحصن فدخل الحصن هو وأصحابه ثم ان الامام جمع الغنائم وكثرت المسلمون واشتدوا بناقد وعزمه وقومه وصار المسلمون نحوا من ألف وخمسمائة فارس وكلهم أبطال عوابس فتبعوا أصحاب الخطاف ولم يزالوا معهم الى باب الحصن فدخلوا الحصن وأغلقوا بابه ونزلت المسلمون عليه بقية يومهم وقد امتلأت الحصون بذكر الامام وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الخطاف لما دخل الحصن قال له أصحابه ياسيداه ما دهاك وما الذى دهاك وبشر ما دهاك فكان لا يقدر ان يرد جوابا من شدة الخوف فقال لهم اغلقوا الباب وحصنوا أنفسكم قال ففعلوا ما أمرهم به وأقبلوا اليه وهو جالس فلما سكن روعه سألوه ما الذى دهاك قال ياقوم قد ذهب زمانكم وملكت منكم نساؤكم وأوديتكم وحصونكم وما ملكت أيديكم وصرتم تحت الاذلال والسيف الماحق بالزوال فقالوا له أيها السيد بين لنا ما وراء كلامك فقد أرعبت قلوبنا من خطابك فقال ياقوم قد جاءتكم المحمديون وهم ليوث أبطال يقدمهم الليث المغوار والاسد الرئبال الطالب لما يريد المبين

عليه كل صعب شديد الذي كأنه صاعقة من السماء قد نزلت فأحرقت الارض جميعها وأخذت قلوب الرجال مفلق الهام وهاشم العظام اذا نظره الليث اندهش واذا عاينه الضرغام ارتعش كأنه قابض الارواح وقد احتوى على ناقد ابن الملك وأتباعه وقد اختطفه من سرجه كأنه عصفور فانظروا الا نفسكم فان عليا لاحق لكم ثم أنشد وجعل يقول

دنا الموت منكم فاستعدوا النزله * فعما قليل مقبل غير راحل
فما حل في أرض وأفلح أهلها * ولا سعدت سكانها في المنازل
هو الموت يغشى الناس في كل بلدة * اذا جا قوما ليس عنهم بزائل
فما خشيتي من موتتي بحسامه * ولكنني أخشى تقتل حلائلي
فلا تشغلوا أرواحكم بنسائكم * فعما قليل نازل غير راحل

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع قومه ذلك ضجوا بالبكاء ضجيجا شديدا وتصارخوا بالويل والعويل وكذلك النساء والولدان فبينما هم كذلك في صراخهم اذ ظهر لهم ابليس اللعين في صورة شيخ كبير قد أفناه الزمان منحن تكاد جبهته تصل الى الأرض وعليه جبة صوف في شكل الرهبان وبيده عكاز ووسطه مشدود بخيط من صوف وفي رجليه نعلان من خوص النخل فلما نظره القوم تنافروا يمينا وشمالا فصرخ بهم ما تنافركم عني وأنا رسول المنيع أرسلني اليكم حتى أرى ما بكم من الجزع وشدة القلق والفزع لأسكن قلوبكم وأبرز لقتال عدوكم فأزيل عنكم الشدة وابطلوا البكاء والحزن من الأعداء واذا أشرف عليكم هذا الغلام أنا أتولى قتاله دونكم ولا أريد منكم نصيرا ولا معينا واذا رأيتموني قد وصلت اليه واحتويت عليه وقد ظهر المنيع بجنوده ونيرانه ودخانه فمن أراد أن يسبق الى خيل القوم وسلاحهم فليبادر لما شاء من ذلك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع القوم منه ذلك خروا للصنم سجدا ثم رفعوا رؤسهم وقد زاد فرحهم وزال حزنهم واشتدت قلوبهم فعند ذلك قال له مروع الوحوش أيها الشيخ الكبير انى لأظنك من جند المنيع الهنا فقال له ابليس أجل وأنا رسول بينه وبين عباده لأني أسبق الناس الى عبادته وخدمته مفتخرا بذلك الكرامة فكونوا في أمان كنتم حتى تروا ما يسركم من قتل عدوكم فقالوا له يا أيها الرسول انا نراك أضناك الكبر واننا لا نوقن ان لك طاقة على الحرب والنزال وشدة

القتال فكيف تطيق هذا الغلام الذى جالنا الارغام وأنت قد أخذك الكبر والهرم حتى لا تستطيع النهوض الا بالجهد فقال لهم ابليس لعنه الله كيف تشكون فى المنيع وتقولون انه لا يقدر على شيء فقالوا له انا لا نشك فى ذلك أبدا ونعرف أن المنيع له عزم عظيم ولكن نريد أن نرى شيأ من برهانك لنكون على علم وتطمئن به قلوبنا وتنشرح بذلك صدورنا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع منهم ذلك قال لهم ان المنيع لو أراد هلاك هذا الغلام قبل وصوله اليكم لفعل ذلك ولكن يريد أن يستدرجه الى أن يوقعه فى أيديكم حتى تذيقوه العذاب والهوان وتنشرح بذلك صدور الرجال وتنالوا عنده المرتبة العالية والفخر الزائد العميم والعيش السليم فى دار النعيم وبعد ذلك يهلكه فانه ذو عزم شديد وأنا أريكم بيان ذلك وبرهان المنيع الاله الرفيع وشدة قدرته ثم بسط يديه وأومأ بهما الى الحصن فتخيل لهم انه قد رفع الحصن فوق أصبعه واشتاله فى الهواء وقد تزعزع وارتج فذهل القوم لذلك وصرخ الرجال والنساء ثم عاد فوضع يده فرأى القوم الحصن كما كان فى مكانه فخر القوم سجدا للمنيع فقال لهم ابليس يا قوم ارفعوا رؤسكم فقد أمنتم مما تحذرون وأنا ناصركم على عدوكم فلا تخافوا ولا تحزنوا ثم غاب عن أعينهم فلم يروه ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال لهم مروع الوحوش أبشروا يا قوم فقد جاءكم الفرج وابتهجت المهج فاظهروا لعدوكم واحضروا أهبتكم وأيقظوا قلوبكم وأفيقوا من رقدتكم وبينوا شدتكم وقوتكم فلما سمع القوم ذلك لبسوا اسلاحهم وآلة حربهم وتفرقوا فى جوانب الحصن وضربوا على سوره سرادقا من جلود الفيل ونصبوا الرايات والاعلام وعزموا على الحرب والقتال وقد أصلحوا شأنهم فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم الامام رضى الله عنه وأصحابه معه على مهل وقد رفضوا الطيش والعجل وعليهم الهيبة والوقار فانحدر الامام على رضى الله عنه الى الوادى وأشرف على حصن رامق وقد أزهرت الحدائق والشمس قد اصفرت لغروبها ودنا مغيبها فكبر الامام وكبرت أصحابه معه ثم نزل وأمر أصحابه بالنزول فنزلوا من حول الحصن وانسدل الظلام وأضرموا النيران وتحارس الفريقان والامام رضى الله عنه متول حرس قومه بنفسه يحوم عليهم كحومة الليث على أشباله وهو عليهم كالاب الشفيق والام الرؤفة بولدها ﴿قال الراوى﴾ فقال عدو الله الخطاف مروع الوحوش لاصحابه انى لم أر رسول المنيع صنع

في ابن أبي طالب شيأ وها هو نازل بإزائنا بالسلامة فقال له قومه أيها السيد لا تستبطل قول رسول المنيع فكأنك وقد وقع بهم الامر الشنيع فقال لهم احفظوا حصنكم وانزلوا من داخله لئلا ينقبوه عليكم ويدهموكم فابتدر جماعة من القوم الى ذلك وعدو الله الحطاق يدور على سور الحصن لينظر ما وعده به رسول المنيع وهو قلقان شاخص الى جهة الامام رضي الله عنه لا يعلم بغير ذلك فبينما الامام مع أصحابه اذ لاح ضم برق نار واضرام شرار وقد بان من ناحية الشرق ولاح البرق فحقق اليه الامام وقال لعنت نار مارد وشيطان راصد أتراه أن يتعرض لي ولأصحابي وهو أعرف الناس بي لما لي معهم من الوقائع وقد أوصلني الله اليه وأظهرني عليه ولولا الأجل المحتوم والوقت المعلوم وما وعده الله سبحانه وتعالى لكان قبل اليوم هالك والنار سالك ولكن الله بالغ أمره ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام رضي الله عنه أيقظ أصحابه وجماعته وأمرهم بالجلوس ورفض المنام فوثب الراقد وقام القاعد فنظروا الى تلك النار وهي اليهم قاصدة وشرارها متوقد ودخانها عاقد ولهيبها متزايد فقال حنبل بن وكيع يا أمير المؤمنين ما هذه النار فقال الامام يا قوم سكنوا روعكم وطمنوا قلوبكم فانها نار الشيطان ولا سبيل له على أهل القرآن وجنود الرحمن فبينما الامام يخاطب قومه اذ تزايد لهيبها واشتد شواظها وكثر شرارها وعلا وهيجها وارتفع لسانها الى عنان السماء وهي تنتشر من الارض قطعا قطعا ثم تتلاحق بعضها ببعض وترتفع وسمع لها قعقعة عظيمة وصلصلة فلما نظر الامام الى ذلك أخذ رمحه وخط به خطا حول أصحابه وناداهم اجتمعوا ولا تتفرقوا واذكروا ربكم واصبروا فأنا لها ولأخمادها وأنا المسلط دونكم عليها ﴿قال الراوي﴾ ثم جعل الامام رضي الله عنه يقرأ القرآن ويتلوا آيات الله العظام وأسماءه الكرام عند الرسم الذي خطه برمحه وهو دائر به حول أصحابه ولم يبق أحد امن خارج الرسم غيره ثم قال معاشر الناس اني ضربت عليكم حصنا حصينا وسرادقا منيعا فلا يخرج منكم أحد ومن خرج فلا يلومن الا نفسه واتركوني أنا لهم والله المعين والناصر عليهم انه على كل شيء قدير فقال ناقد ابن الملك يا أبا الحسن كيف يجوز لنا أن نسلمك الى هذا المارد الشديد المعاند الا أننا نقاتل بين يديك تقربا الى الله تعالى فالتفت الامام رضي الله عنه متبسما غير مكترث بما ظهر له وقال يا ناقد أنت قدمك

الله لمبارزة الرجال والابطال فليس لك طاقة على قتال الجان فقال ناقد لا والله يا أبا الحسن لا نزع الله ما أعطاك وأتم عليك نعماه أولاك (قال الراوى) فبينما الامام يخاطب ناقدا وهو يخاطبه اذ وصلت النيران اليه ثم امتدت ودارت حول أصحابه وصارت كالسرادق المنصوب عليهم وهى دائرة بهم من كل مكان وتراعقت الجن باعلا أصواتهم وصار لهم نباح كنباح الكلاب وعووا كعوى الذئاب وزئير كزئير السباع وجلبوا وزهجوا بأصوات كريهة عالية فظيعة لم يسمع السامعون بأفظع منها ففزع كل من كان مع الامام وخافوا وأيقنوا بالهلاك وأيسوا من أنفسهم ومال الامام رضى الله عنه اليها ومال بعضهم الى بعض والتصقوا وأمسكوا عن الكلام هذا والنيران قد خمدت باذن الله تعالى فبينما هم كذلك اذ سمع مروع الوحوش الخطاف أصواتا وضجات وهو من داخل الحصن حتى نظر الى النيران وهى محيطة بالامام وقومه (قال الراوى) فنادى الخطاف قومه وقال لهم كيف رأيتم نصرة الاله المنيع لعدخاب من عاداه وخالف أمره ورضاه فدونكم والغنيمة الشاملة والمسرة الكاملة الحقوا بالقوم فعسى أن تحصلوا شيأ من سلاحهم وخيلهم قبل أن تأتى اليهم النار فتحرقهم وتحرق أسلحتهم وعسى أن تدركوا ابن أبى طالب قبل ان تلتهبه فتأتوا به وتحملوه أسيرا ذليلا حقيرا الى الملك الهضام والاله المنيع فيحكم فيه بما يشاء ويختار وتكون لكم الخلع والاكرام والمراتب العظام على أسركم لهذا الغلام ومن معه من هذه العصابة الطاغية (قال الراوى) فقال له رجل يقال له جندب بن عميرة الحميرى وكان رجلا مكينا شجاعا رزينا له بصيرة وعقل ورأى سديد يا مروع الوحوش الزم مكانك فهو أصلح لك وقاتل ابن أبى طالب وأنت فى حصنك فهو أيسر لك واعلم أن ناره أعظم من هذه النار وسيف محمد يطفىء هذه النيران وأنا أعرف ما لا يعرفه غيرى أنا محترق النيران وخائض سحب الدخان ومناضل المردة والجان فى كل مكان فكن مكانك فان غلب ونكب فهى المسرة التامة والفرحة الشاملة وان سلم وغلب كنت أنت محصنا بحصنك فلا يصل اليك ولا يقدر عليك (قال الراوى) فلما سمع الخطاف ذلك الكلام نهره وزجره وقال له اسكت لا أم لك لقد صرت شيخا كبيرا لا عقل لك ولا سكن معك سوى الخوف من ابن أبى طالب حتى صار معتلقا به قلبك وظهر من بين عينيك يا ويلك أيغلب ابن أبى طالب الهنا المنيع وجنده أو يكذب

رسوله فيما قال لنا وبعدنا بالمحال وانى لاعلم أن لا يأتيهم الصباح الا وهم ماديا و يلك اما رأيت رسول المنيع كيف رفع الحصن على يديه حتى كدنا أن نخر على وجوهنا ولولا تضرعنا اليه ولو أراد أن يقلب عليهم هذا الجبل لقلبه عليهم ولو أراد أن يخسف بهم الارض لخسفها بهم قال له جندب أما أنا فقد نصحتك وحذرتك وما قلت لك ذلك الا شفقة عليك وعلى من معك والمنيع يعلم ذلك مني وان كان المنيع قدم علينا وجادلنا بأموالهم فهو غير بخيل بما يعطينا ونحن فى حصننا وأنت الآن مالك أمرنا وأما أنا فلا أفارق مكانى لازما الموضع الى أن أنظر ما يكون فقال له مروع الوحوش الخطاف كن مع النساء وعليك بالحرس ثم تركه ونزل مغضبا وقال لقومه دونكم وأعدائكم فانحدر القوم مسرعين فلما خرجوا من الحصن أمر جندب بغلق الباب خلفهم وايثاقه بالاقفال وقال لمن بقى معه فى الحصن أنظروا لانفسكم واحفظوا حصنكم فما أظنكم عدتم تنظرون قومكم بعد هذا اليوم أبدا فهذا ما كان من عدو الله الخطاف وقومه

❊(قال الراوى)❊ وأما ما كان من أمر الامام رضى الله عنه فانه لما احتاطت به النيران وأحدقت به من كل جانب ومكان نادى برفيع صوته يامعاشر الجان بأى شئ تتعرضون وعلى أصحابى تهجمون والى خطا نكم ونيرانكم تقصدون وانا عذابكم النازل وحسامكم الواصل وسهمكم القاتل أنا أبو الزلازل أنا ابن عم الرسول الفاضل أنا ممزق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا الليث الغالب أنا الغيث الواكب أنا البحر الساكب أنا النجم الثاقب أنا المذكور عند المطامع والمواهب أنا هازم الجيوش أنا المعروف فى المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ❊(قال الراوى)❊ فاحترقت تلك النيران بحرق نيرانهم وأذهب دخانهم وأهلك أشخاصهم وقتل مردتهم فولوا ناكصين وانهزموا على أعقابهم راجعين الى أن وصلوا الى الرسم الذى رسمه أمير المؤمنين فلما وصلوا اليه تراجعوا عن أصحاب الامام ولم يستطيعوا اليهم وصولا وصار الرسم حصنا بين الجان وبين أصحاب الامام ولم يجدوا سبيلا على ما طرقهم فخرج منهم ناس هاربين والى الامام طالبين فجازوا عن الرسم حتى كادوا أن يهلكوا و يحترقوا وكانوا سبعة أنفار ومنهم جنبل بن وكيع وناقد ابن الملك من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دارت بهم النار وقبيل الجان نادوا برفيع أصواتهم ياسيداه ياعلياه يامحمداه

يار باه فلما سمع الامام أصواتهم أسرع اليهم وهجم عليهم فتنافر الجن عنهم يمينا وشمالا عند وصول الامام فخلص الامام قومه وقال لهم ما حملكم على ذلك وخالفتم أمرى فقال جنبل ياسيدى ضعف اليقين وصولة الجان فما هذا وقت سلام وكن مخلصا لنا ولنفسك من هذه الاهوال فتبسم الامام ضاحكا من قولهم وهو غير مكترث بما قد نزل بهم وقال لناقد خذ عمامتك ولا تطأها برجلك وشدها على رأسك فقال له ناقد لله درك يا أبا الحسن لم يشغلك ما أنت فيه عن عمامتى ثم ضمهم الامام الى مكانهم وجعل يحوم من حولهم ﴿قال الراوى﴾ فبينما الامام كذلك اذ سمع صوت مروع الوحوش وقومه ولهم جلبة بالصراخ وعطعطة بالصياح وهم ينادون الى أين يا ابن أبى طالب من عذاب المنيع الواسب لقد غرك الذى أرسلك الى المنيع أنا مروع الوحوش أنا الخطاف أنا اليوم سأخطفك وأخطف روحك الساعة من جسدك ثم هجم هو وأصحابه على الامام وهم ينادون أيها الرسول الذى بيننا وبين الهنا المنيع الهب لنا هذا الرجل بنارك واحرقه بشرارك واهلكه بدمارك ثم تقدم الى الامام وهو يظن انه ظافر به وقال لا يسبقنى أحد الى ابن أبى طالب فانى أطلب باسره أعلا المراتب فقال له الامام ها أنا موقوف عليك ومردود اليك فدونك فافعل بى ما أردت فظن عدو الله ان أمير المؤمنين قد أسلم اليه نفسه فقصد نحو الامام وهو يقول شعرا

شكرا لمن أيدنا بنصره * لاملأن رمى أرضه بشكره
اذ خلد القوم بذل أسره * هذا على قد أتى بشره
وقومنا قد فزعوا من سحره * لاذيقه اليوم عذاب أسره

﴿قال الراوى﴾ فما استتم اللعين كلامه حتى أتاه صائح من النار وهو ينادى يا عبد المنيع توقف حتى أريك ما أوعدتك من أسر هذا الرجل فوقف الخطاف وأمر أصحابه فوقفوا وقد فرحوا بما سمعوا وسمع ذلك أصحاب الامام رضى الله عنه فخافوا وداخلهم الفزع والجزع فهاجوا وماجوا فناداهم جنبل وقال يا قوم اثبتوا رحمكم الله واستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فبينما هم كذلك اذ سمعوا من النار صوتا عاليا عظيما هائلا له دوى كالرعد القاصف وهو يقول شعرا

دونك يا خطاف من عدوكا * فالزمه بالنيران لا يهوى بكا
فالنصر قد أتاك من وليكا * وهو المنيع قد أتى لنصركا

(قال الراوي) فلما سمع قوم الامام ذلك ازداد اضطرابهم وكثر قلقهم وسمع الخطاف ذلك فصاح بعلو صوته لا يتسدار كني أحد ولا يشاركني في ابن أبي طالب فسمع الامام وقومه ذلك من الخطاف وكان جوهري الصوت وكان اذا خرج الى الصيد والقنص ولاحت له طريدة من الوحوش يصرخ عليها فتقف مكانها وتبطل حركاتها الى أن يصل اليها فيأخذها فبذلك سمى مروع الوحوش فلما سمع الامام وأصحابه ذلك ارتجفت قلوبهم وتعاظمت كروبهم وفاضت عبراتهم وتقدم مروع الوحوش الى الامام وهو يظن أنه في قبضته فنظر اليه وهو كأنه سابق تريح عقيم أو صرصر هشيم وهو يجول من حول أصحابه كالاسد والجن تتحايد عنه يمينا وشمالا فلما نظر مروع الوحوش الى الامام رضي الله تعالى عنه وهو على هذه الحالة اندهش وارتعش وانكسرت حميته وخمدت جمرته وندم على خروجه من حصنه وقال اني لارى ابن أبي طالب بالجند المنيع غالب ثم هم أن يرجع فتداركه الامام ونهره وقال يا ويلك أيغلبني غالب وأنا الحسام القاضب والقرم الطالب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب أنا البحر الساكب أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم حمل الامام عقب كلامه على مروع الوحوش وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر يا لدين محمد خير البشر وأنشد وجعل يقول شعرا

أنا علي عابد الجبار * وأنا ابن عم المصطفى المختار
ونقمة الله على الاشرار * أفنيهمو بالصارم البتار
أبليهمو بالويل والدمار * وبعدها يا معشر الحضار
صلوا على طه النبي المختار * محمد المخصوص بالانوار

(قال الراوي) فعند ذلك نظر مروع الوحوش الى الامام فرآه وهو كأنه الاسد الضرغام اذا عاين فريسته فعلم أنه لا طاقة له به فأيقن بالهلاك فولى هاربا والنجاة طالبا والتجأ الى نصرة أصحابه فخافوا من الامام وهابوه ولا جسر أحد منهم أن يتقدم اليه فالتفت الخطاف الى ناحية النيران يطلب معينا ومنجدا له فكشف الله عن بصره فرأى ابليس اللعين هو وقومه وجنوده هاربين فناداه يا رسول المنيع أين الذي وعدتنا به من النصر على ابن أبي طالب ومالي أراه لكم غالبا ولي طالبا فناداه اللعين اني بريء منك فلما سمع مروع الوحوش ذلك ألقى سلاحه من يده وقال يا ابن أبي

طالب

طالب أبق على أسيرك وأحسن الى بكرملك فتقدم الامام رضى الله عنه الى مروع الوحوش وأوثقه كتافا بعمامته وأخذه أسيرا وقاده حقيرا فلما أن أخذ مروع الوحوش ولى أصحابه هاربين والى حصنهم طالبين وهم لا يصدقون بالنجاة فسلم الامام مروع الوحوش الى جنبل وناقد فأخذ يحدثهم بما تم له معه اذ سمع صراخ بقية قومه وقد مالت النيران اليهم وهم ينادون الينا يا ابن عم رسول الله قبل أن نهلك فقال الامام لناقد وجنبل اقبضوا على الاسير ولا ترحلوا عن أماكنكم حتى أنطلق الى أصحابكم ﴿قال الراوى﴾ ثم سار الامام نحو النيران وهو يقول يا شرجيل اسكنوا البرارى واستوطنوا خلاء القفار لئلا ترموا بالدمار من عند رب قادر قهار أنا على المرتضى الكرار وابن عم المصطفى المختار أنا على ولى الجبار مبيدكم الحدو الشفار ومجالكم بالويل والدمار فما استتم الامام رضى الله عنه كلامه حتى ولى الجن هاربين ووصل الامام الى أصحابه فاستبشروا بقدومه فاقبلوا يسألونه عن حاله وما كان فى ليلته وهو يحدثهم فبينما هم فى الحديث اذ سمع صراخ جنبل وناقد وهم ينادون يا أبا الحسن أدركنا قبل أن تتركنا فقال الامام يا هامن ليلة ما أكثر عجائبها وغرائبها يا قوم اثبتوا مكانكم حتى أعود اليكم ثم تركهم وأسرع الى جنبل وناقد فوجدهم قد مالت عليهم النيران وصعب الدخان فقال هذا أمر يطول فرمق بطرفه الى السماء وتكلم بكلام لم يفهمه أحد فما استتم دعاءه حتى نزل من السماء سحابة من نار فأحرقت تلك القبيلة بأسرها وتركتهم رمادا وخمدت نيرانهم وذهب دخانهم ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل الامام رضى الله عنه الى ناقد وجنبل وجدهم يبكيان فقال لهم الامام ما هذا البكاء وقت الفرج فقال له ناقد يا سيدى لما عمتنا الاهوال وأحاطت بنا النيران واشتغلنا عن مروع الوحوش بأنفسنا حل الخطاف وثاقه وفر هاربا الى حال سبيله فلما سمع الامام ذلك صعب عليه وكبر لديه ثم قال لا بأس عليكم طيبوا خواطركم فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا لاريتكم فيه ما يسركم وأنا أعلم ان لا ملجأ للعدو الله غير حصنه فيا قوم ان الله سبحانه وتعالى قد كشف عنكم ما كنتم فيه فامضوا الى أصحابكم واخوانكم ولا تزولوا عن أماكنكم الى الصباح فانى متبع أثر القوم وصاحبهم الخطاف فان أصبح الصباح ولم آت لكم فاقصدوا أنتم الى الحصن فانكم تجدونى فيه ان شاء الله تعالى وقد مثلت بهم ﴿قال الراوى﴾ فسار الامام رضى الله عنه بعد أن

ودع قومه وهو يسير في خطوته ويهرول في مشيته الى أن وصل الى الحصن فرأى القوم على أعلا الحصن وقد أوقدوا نيرانهم فرآهم الامام في ضوء النار وهم لا يرونه وقد وصل القوم المنهزمون الى الحصن وهم تحت الذلة والمذلة لفقد عدو الله مروع الوحوش فبينما هم كذلك اذ تقدم الامام الى قريب من الباب والمنهزمون ينادون لجندب بن عميرة الباهلي ويقولون افتح لنا الباب فقال لهم جندب ما كان من أمركم فقالوا والله أيها السيد لا تسألنا عن شيء حتى تفتح لنا الباب فأمر جندب من معه أن يفتحوا لهم الباب فلما فتح تقدم الامام واختلط بالقوم وصار من جملتهم ودخل القوم يكرشون بعضهم بعضا وهم لا يصدقون بنجاة أنفسهم فدخل وانحرف الى بعض زوايا الحصن وجلس وهو قابض على سيفه فلما تكامل القوم في الحصن أغلقوا بابه وأوثقوه بالاقفال والسلاسل والاغلال ووقفوا في الازقة حيث أمنوا على أنفسهم من المهالك فأقبل عليهم الذين كانوا في الحصن وقالوا ياويلكم ما الذي نزل بكم فأخبروهم بالذي جرى لهم مع الامام رضي الله عنه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع القوم ذلك ذهبت أفراحهم وكثرت أحزانهم وقال بعضهم لبعض ان انسانا وحده يغلب المنيع وجيشه ان أمره عجيب فقال جندب بن عميرة ياويلكم أما سمعتموني وأنا أنصح صاحبنا مروع الوحوش فأبى النصح فيا قوم وحق المنيع ان كانت يد ابن أبي طالب علقت بصاحبنا الخطاف فهو مخلص روحه من جسده والذي أشير به عليكم في هذا الوقت أن تحفظوا حصنكم فلعل الملك يأتيكم وينصركم أو ينصرف عنكم وانه قاصد ملككم فان قدرتم أن تهادوه وتخلصوا صاحبكم من يده فهو الصواب فقال له القوم ياجندب وحق المنيع ما فينا أحد يقدر على خطابه ولا يستطيع رد جوابه فقال جندب ياقوم اذا أتاكم الى حصنكم فاسألوه وأنتم في الحصن الامان فانه يؤمنكم ولا يخونكم وهو كريم والكريم من شأنه اذا قدر عفا فلعله يعفو عنكم ويطلق لكم صاحبكم فقال بعضهم وحق المنيع لو عينوا له جميع ما ملكت أيديهم من مال وغيره ما أطلق لكم الخطاف حتى يخرج روحه من جسده فانه لا يقبل مالا ولا متاعا ولا يسلم من سيفه الا من دخل في دينه هذا كله والامام رضي الله عنه ينظر بعينه ويسمع باذنه وهو معهم في الحصن كأنه الذئب اذا دخل في الغنم فعلم الامام ان عدو الله الخطاف لم يأت الى الحصن ﴿قال

الراوي﴾

الراوي ﴾ فوثب الامام رضي الله عنه فاغثا في وسطهم وزعق بهم وقال ها أنا قد جئتكم ووصلت اليكم ها أنا مزق الكتائب ها أنا مظهر العجائب ها أنا مبدي الغرائب ها أنا ليث بني غالب ها أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع القوم ذلك من الامام رضي الله عنه انقطعوا عن الكلام وقعد بعضهم عن القيام وبطل الخطاب ولم يستطع أحد منهم رد الجواب وخرست ألسنتهم وارتعدت فرائصهم واصفرت ألوانهم فنظر بعضهم الى بعض فأشاروا بالجملة عليه فقال لهم وحق الذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا ان تحرك منكم احد لازيلن رأسه عن جثته بهذا السيف فوالله ما جسر منهم أحد أن يتحرك من مكانه فقال له جندب الحميري يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت أم من الارض خرجت أم من الباب دخلت فقال لهم بل من الباب دخلت ومعكم وصلت ولكم قصدت وعلى الله توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل فلا يخلو أمركم من كلمتين اما أن تقولوا نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واما أن تقولوا الا وتموتون جميعا ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع القوم مقالته نظر بعضهم الى بعض وتطاولوا اليه بالاعناق وأحدقوا نحوه بالاحداق فقال جندب يا ابن أبي طالب اني قد تحققت أن من سالمكم سلم ومن خالفكم ندم وقد أشرت بذلك على قومي فأبوا وأما أنا فقد انقادت جوارحي اليك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله آمنا بالله ورسوله وانك يا أبا الحسن سيف الله ونقمته على أعدائه وأنت وليه في أرضه وسمائه فهنيئا لكم ولمن تبعكم وآمن بكم وصدقكم والويل ثم الويل لمن خالفكم وكذبكم فهو المغرور الخاسر ثم التفت الى قومه وقال يا قوم ما يقعدكم عن رشدكم فنادى القوم عن لسان واحد قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع الامام رضي الله تعالى عنه منهم ذلك شكرهم وجازاهم خيرا وفرح باسلامهم فرحا شديدا ومد يده اليهم وصافحهم مصافحة الاسلام وقال لهم يا قوم لا يتم اسلامكم ولا يكمل ايمانكم حتى تقاتلوا أبناءكم واخوانكم وعشيرتكم فان قتالهم صار فرضا عليكم فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله انا نقاتل معك وبين يديك حتى نرضيك ونرضي الله ورسوله فما منا من أحد الا وله في القوم خليل وحبيب ونسيب وقريب فنحن نقاتلهم فمن أطاعك ودخل في ديننا تركناه وأبقيناه ومن خالف قتلناه ودهيناه ﴿قال الراوي﴾ فجازاهم الامام رضي الله عنه على ذلك خيرا وقال

الحمد لله الذى جعلكم من أهل الايمان وحقن دماءكم وصان نساءكم وأجار من اليتم أبناءكم وحلل لكم مالكم ومتاعكم فعند ذلك خر واسجد اشكرا لله تعالى الذى جعلهم من أهل الايمان واختارهم لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم التفت الامام الى القوم وقال لهم ياقوم ان عدو الله الخطاف قد خفى أمره فهل عندكم منه خبر فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين الا أنه حينما كان يأتى الى ههنا وأينما يجمع فالينا منتها فقال الامام رضى الله عنه انى قلق على أصحابى لانهم منتظرون لقائى وانى أبطأت عليهم فيغمهم ابطائى عنهم ويزيدهم هما وأنا أرجو من الله سبحانه وتعالى ان نأتى قريبا وأما أنتم فاعرضوا على نسائكم وأولادكم الاسلام فقال جندب الباهلى أيها السيد الأجل اننا نخشى ان يخالفونا الى ما ندعوهم اليه فنبسط اليهم أيدينا بالسوء لان الرجل وقت غيظه يغيب رشده فان رأيت أيها السيد العظيم ان تأتى بهم اليك وبأولادهم فاذا نظروا الى غرتك اسمحوا منك ومن طلعتك البهية فلا يخالفوا قولك ﴿قال الراوى﴾ فقال لهم الامام رضى الله عنه ألا فأتونى بهم فانى أرجو من الله سبحانه وتعالى ان لا يرجعوا الى أما كنهم الا مسلمين مؤمنين يقرون لله بالوحدانية ولابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويفعل الله ما يشاء ويختار فعند ذلك مضى كل واحد منهم الى منزله وأحضر أهله وأولاده فلما نظر الامام اليهم استفتح بالقرآن وقرأ بحسن لفظ ونغمة فلما سمع النساء ذلك رقت قلوبهم وذرفت أعينهم وقالوا ما هذا الكلام فقال لهم رجالهم هذا كلام من خالق السموات والارض أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا زوج ابنته فاطمة وهو ابن عمه على بن أبى طالب يدعونا الى الاسلام فقال لهم الامام رضى الله عنه يابنات العرب انى أدعوكم الى الذى خلقكم وأنشأكم فقولوا معى بأجمعكم لا اله الا الله محمد رسول الله فعندها قالت النساء نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسر الامام بذلك سرورا عظيما ثم أقبل على القوم وقال هل بقى فى الحصن أحد من النساء فقالوا يا أبا الحسن بقى فى الحصن الرغدا بنت الخطاف وهى فى منزلها ونحن نخشى سطوتها لانها أشد من أبيها وهى من بقية الجبابرة ونسل العمالقة من بنات حمير وقد اعتادت ركوب الخيل وخوض الفرسان فى الليل ولقاء الرجال وقتال الابطال جسورة على القتال بحذر مكانها الفرسان وتتقى أصواتها وصولتها الشجعان ولو علمت انك معنا فى

الحصن لحفنا على أنفسنا وعليك منها ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك تبسم الامام رضى الله تعالى عنه ضاحكا وقال انى لا أفزع ممن تهابه الأبطال فكيف بذوات الحجال امضوا اليها وأتونى بها لامضى أمرى معها فقالوا أيها الامير ما النساء الا النساء فقال الامام رضى الله عنه بل يمضى اليها جميع النساء وهم يقولون بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا سألتهن عن ذلك يخبرنها بخبرى وما جرى لهم معى فطلعت النساء من وقتهم وساعتهم الى دار الحطاف وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله فأشرفت عليهم الرغداء من منظرتها وليس عندها خبر باسلامهم فقالت لهم يا ويلكم ما هذا الكلام الذى لم أسمعه أبدا منذ ملكت عقلى ثم نزلت لهم فقالوا لها يا رغداء ان كنت نائمة فاستيقظى فان الحصن قد ملك فقالت ومن ملكه فقالوا لها على بن أبى طالب فقالت وأين ابن أبى طالب فقالوا لها ها هو فى الحصن فقالت وأين أبى الحطاف فقالوا أسروا انفلت من يده بعد الاسر فلا يدرى أين سار وقد أسلم كل من فى الحصن من الرجال والنساء وهو يدعوك اليه لتدخلى فى دينه فاخرجى اليه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت الرغداء ذلك فارت بالغضب ثم كتمت غيظها وأخفت سرها وقالت أين يكون الغلام الذى ذكرتموه فقالوا لها ها هو فى أقصى الحصن يبايع الرجال فقالت لهم على رسلكم حتى أسير معكم ثم دخلت منزلها وأخذت خنجرها فشدته فى وسطها من تحت أثوابها وأضمرت الشر لامير المؤمنين وقالت فى نفسها ان وصلت اليه لم أبق عليه فأقبل النساء على أمير المؤمنين وهى معهم وقد تأخرت عن النساء لتنظر كيف يبايعهن ويكون ذلك أمكن لها من الامام ثم ان الامام رضى الله عنه لما هم أن يأخذ البيعة على الرجال والنساء فاذا هو بباب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الامام انظروا من الطارق فأشرف بعضهم من أعلا الحصن ونظر الى من يكون من خارج الباب فاذا هو الحطاف وهو يقول افتحوا يا ويلكم قبل أن يدنو من صاحبكم الذهاب فقالوا له من أنت قال أنا الحطاف ﴿قال الراوى﴾ فأقبل القوم على الامام وأخبروه بقدوم صاحبهم فقال افتحوا له الباب وأدخلوه ولا تمدوا اليه يدا بسوء ولا تكشفوا له عن مكانى ولا تخبروه بشانى فبادروا اليه مسرعين وفتحوا له الباب فوجدوه على آخر رمق نفسه من تعسعسه فى الظلام بين الدكادك والآجام فلما نظروه قالوا له ما الذى دهاك أيها السيد وما نزل بك فلم يجبهم ولم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا

دون أن دخل بسرها وقال يا ويلكم اغلقوا الباب وأوثقوه بالسلاسل والاقفال وكونوا من وراء بابكم واحتفظوا حصنكم فقد نزل بكم الرجل الميشوم والقضاء المحتوم مفرق المواكب ومظهر العجائب على بن أبي طالب وحق المنيع لقد نازلت الفرسان وبارزت الشجعان وكنت ظننت أني وحيد في الشجاعة والقوة والبراعة فلم تثبت عنده شجاعتي وتاهت عنده براعتي ولقد رأيت جند المنيع وما ظهر معهم من النيران وكثرة الدخان فما كترث بقتالهم ولا بكثرة نيرانهم ودخانهم ورأيتهم وقد ولوا هاربين منهزمين ولقد ملكني وقبض علي وكنت في يده وكان قد صار ما كان على وأخذني وسلمني لجنبل بن وكيع وناقد ابن الملك فدعوت الاله المنيع الرفيع فارسل لهم شاغلا فاشغلهم عني ولو كان ابن أبي طالب حاضرا ما استطعت الهروب ولكن أشغلهم عني جند المنيع بالنيران وكثرة الدخان فوليت هاربا والنجاة طالبا (قال الراوي) فلما سمع القوم ذلك تعجبوا منه بعد ما كانوا يعرفون منه ومن شجاعته فقالوا له أيها السيد وأين تركت ابن أبي طالب قال تركته وقد شغله عني وعنكم جند المنيع فازدادوا عجبا ثم قال يا قوم لا تكثروا على مهلا على حتى أدخل ويرد على عقلي فدخل الحصن وهو ذاهل العقل ذاهب اللب ويرتجف كالسعفة في الريح البارد فانتظر القوم ما يكون منه مع الامام رضي الله عنه ثم التفت بعض القوم الى الرغد ابنت الخطاف وقالوا لها يا رغد الان اباك يكاد أن يبدو منه شر الى على بن أبي طالب فيكون وباله عليك واعلمي يا رغد ان هذا الرجل لا يطاق مر المذاق ولقد سمعت ما صنع بأبيك وكيف هزم جند المنيع ولم يكبر عليه وكيف هجم علينا وملك حصوننا فقالت الرغد وما عسى أن أصنع في هذا فاذا الاله المنيع وجنده ونيرانهم ودخانهم عجز واعنه وعجز عنه الابطال من الرجال فالنساء أعجز وأعجز (قال الراوي) ثم تركتهم وتقدمت الى قرب الامام وهي قابضة على خنجرها وأسبلت عليه ثيابها وأضمرت أنها تحول بين الامام وبين أبيها وأن لا تدع الامام أن يصل الى أبيها وهي واقفة ترعد من شدة الغيظ فبينما هي كذلك اذ أقبل أبوها والقوم في أثره حتى أتوا به الى المكان الذي فيه الامام رضي الله عنه والمصابيح تزهو حوله وهو يحدثهم بحديث الامام رضي الله عنه وغرائبه اذ نظر فرأى الامام جاثما كجثوم الاسد الضرغام فحقق الخطاف نظره فرأى الامام فعرفه فجعل كلما ينظر

اليه يراه ويسمع عينيه ويعيد النظر اليه فحققه فلما عرفه توقف عن المسير ووقعت الدهشة به وعاد يرتعد كالسعفة ثم التفت الى القوم وقال من هذا الرجل الذي هو جالس فقالوا له أيها السيد انه من معارفك وهو مشتاق الى لقائك فعند ذلك وثب اليه الامام من مكانه وثبة الاسد اذا عاين فريسته وقال له أنا من لا تنكرني اذا عرفتك باسمي أنا غريمك وطالبك وانى مشتاق الى لقائك أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب أنا الليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الخطاف كلام الامام رضي الله تعالى عنه خرس لسانه وبطلت حركته وعاد باهتا واقفا كالنخلة السحوق أو قطعة جلود ليس فيه حركة فهم الامام بسيفه وقال له ما يجيك من سيفي هذا الا قول لا اله الا الله محمد رسول الله فعند ذلك تقدمت الرغدا ابنته الى الامام وأرادت أن تمنعه عن أبيها فنظر اليها أبوها طمعا أن تحميه من الامام لما يعلم من شدتها وشجاعتها وقوتها فنظر اليها الامام وصرخ عليها صرخته المعروفة فأرعشها وأدهشها بصرخته فارتعدت واضطربت ومالت وكادت أن تسقط الى الارض فوقع الخنجر من يدها فاستغاثت بالامام وقالت انى أعوذ برضاك من سخطك يا أبا الحسن انى امرأة ضعيفة العقل وأخذني ما يأخذ الاولاد على الوالدهم من الشفقة وانى سمعت عن ركن أليكم يقول انكم شفعاء الى رب السماء والارض والمنقذون لمن نزل به الويل والبلاء مهلا فلا تعجل بالنقمة علي فالجود منكم مبتداه والكرم عندكم منتهاه فالمرء الكريم ان قدر عفا ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام كلامها تبسم ضاحكا وزال عنه الغيظ وقال الامر كذلك انا عفونا عنك وجدنا بنفسك عليك فقالت الرغدا يا ابن عم رسول الله أنتم أهل الجود والكرم والعفو والامتنان وحياتك ان حياتك عندي صارت قسما عظيم القدر كنت اليك بكلي وحننت عليك بجوارحي ونزل حبك في قلبي فامدد يدك فانى قائلة أشهد أن لا اله الا الله وان ابن عمك محمدا رسول الله وأنت ولي الله وسيفه ونقمته على أعدائه فانسر الامام لذلك سرورا عظيما زائدا وأما الخطاف فانه حين أسلمت ابنته الرغدا وعاين ذلك منها التفت اليها وقال لها لا نجوت من البنات ولا بلغت المسرات فقال له الامام رضي الله عنه يا عدو الله وعدو نفسه انظر لنفسك وخل ابنتك وتوطأ في مجلسك فاسلمت أعجل اليك ولا أترك لله حجة وأوضحها اليك وان قومك وأهل حصنك قد آمنوا

بالله وصدقوا برسوله صلى الله عليه وسلم فالحق كلمتك بكلامتهم يكن لك الذي لنا وعليك ما علينا ﴿قال الراوي﴾ فالتفت الخطاف الى قومه وقال لهم ما تكون كلمتكم فقالوا له انا قلنا جميعا رجالا ونساء كبارا وصغارا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال له الامام أقصر المطاولة فانه لا ينجيك من سيفي الا أن تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال الخطاف يا ابن أبي طالب اني أرى أن تريحني من النظر اليك فاني أكره ذلك فقال له الامام ولم ذلك يا ملعون يا عدو الله وعدو نفسه قال لاني لا أشهد لك ولا لابن عمك الا بالسحر والكهانة والمكر والخيانة وقد كرهتك وكرهت النظر اليك فهربت حتى لا أنظر اليك كان التميع جمع بيني وبينك فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا والتفت الى النساء وقال لهم انصرفوا الى بيوتكم فقالوا جميعا له سمعا وطاعة لك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله قد من علينا بطلعتك وأسعدنا برؤيتك وأنقذنا الله بقدومك علينا من الكفر والضلال الى الطريق الحميد والسبيل الرشيد فجزاهم الامام على ذلك خيرا وشكرهم وأمرهم بالانصراف الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وعلي ولي الله فانصرفت معهم الزغدا وهي أفرحهم بالاسلام وقد جلت محبتها لابيها بغضا ونادته عند انصرافها اما يكون لك اسوة يا أبت بقومك وعشيرتك أما ظهر لك من الحق آثاره ومن الدين أنواره ﴿قال الراوي﴾ فلما انصرف النساء قال الامام لمن حوله من القوم اني خاطبت صاحبكم بما سمعتموه من الخطاب ورد الجواب وسألته أن يقر لله بالواحدانية ولابن عمي محمد بالرسالة فأبى ذلك وأردت أن أضرب عنقه ولا ملامة علي فخاطبوه أنتم عسى أن يسل الخطاب كم وها أنا معرض عنكم ثم ان الامام أعرض بوجهه وصار القوم يخاطبونه فلا يزداد الا كفرا فلما كثر عليه القول من القوم لم يطق صبرا دون أن حمل على من كان حوله وعلم عدو الله انه مقتول فاخترط سيفه من غمده ووثب على القوم فتصايح الناس بالامام فوثب الامام وثبة من مكانه فوصل بها اليه وبادره بضربة فوقعت على أم رأسه فشقته نصفين وسقط عدو الله الى الارض قطعتين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى القوم ضربة الامام لعدو الله خافوا منه وتنافروا وداخلهم الفزع والجزع فرأى الامام منهم ذلك فقال لهم يا قوم مهلا عليكم وطيبوا أنفسا وقروا أعينا واطمئنوا قلبا فان عندنا الغلاظة والشدة لاعدائنا

وعندنا الرحمة واللطافة لاوليائنا قال فعند ذلك اطمأنت الناس وأمنوا ورجعوا اليه فقال معاشر المسلمين قد قرب الصباح وانى تركت أصحابى فى عسكرهم وهم قلقون لغيبتى عنهم وانى أريد أن أمضى اليهم ابشرهم بما من الله به علينا من فتح هذا الحصن وقتل عدو الله الخطاف وأسير بهم اليكم فعند ذلك قال القوم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث من تختاره منا اليهم يؤمنهم ويبشرهم ويطيب خواطرهم ويأمرهم بالمسير وأنت عندنا فيأتون فرحين مسرورين بما من الله علينا وعليهم بالاسلام وكمال الايمان ولا تزال أنت عندنا تطمئن قلوبنا فان ذكرك قد شاع فى جميع الاودية والحصون حتى وصل الى عدو الله الهضام بن الجحاف فلا نأمن عسكره أن تأتينا وتدهمنا من غير علم منا ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال الامام رضى الله عنه ياقوم حبا وكرامة والله ان هذا الرأى لسديد ثم انه دعا رجلا من القوم يقال له جابر بن عقيم الباهلى ليبعثه فقال له لبيك والله يا أمير المؤمنين والله انى لأمضى فى حاجتك وأبادر الى مرادك فشكره الامام وجازاه خيرا ودعا له ثم قال له يا جابر خذ خاتمى معك وانطلق الى أصحابى وأقرئهم السلام وبشرهم بما من الله علينا به من الفتح والنصر وطيب قلوبهم وخواطرهم وأمرهم بالمسير معك الينا فى مكاننا هذا ثم قال له اسرع بما أمرتك به بارك الله فيك فخرج جابر بن عقيم الى ما أمره الامام مبادرا فما زال سائرا الى أن وصل الى أصحاب الامام رضى الله عنه فلما وصل اليهم وجدهم فى قلق شديد على الامام رضى الله عنه فبينما هم كذلك اذ ناداهم جابر بن عقيم فقالوا من أنت قال لهم جابر بن عقيم الباهلى أرسلنى اليكم أمير المؤمنين ثم أظهر لهم الخاتم فعرفوه فقالوا له يا جابر أين تركت الامام قال لهم فى الحصن والقوم حوله بعد أن ملكه وأسلمت الرغدا بنت الخطاف وجميع النساء وهم مجتمعون كلهم على الاسلام بعد الاجتماع على الكفر بالملك العلام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أصحاب الامام ذلك كبروا تكبيرة الفرح وفرحوا واطمأنوا واستبشروا وطابت خواطرهم فأمرهم بالمسير فساروا نحو الامام فرحين مستبشرين ولم يزالوا سائرين الى أن أقبلوا الى الحصن فنزل اليهم جميع من فى الحصن فاستقبلهم الامام وسلم عليهم وسلم عليهم القوم وعانقوا بعضهم بعضا وفرحوا باسلامهم وكمال الايمان لهم وهنا بعضهم بعضا على ذلك ونزل الامام خارج الحصن فى فضاء من الارض ونحرت النحائر وأكثروا الولائم وأقام

الامام بقية يومه فلما اختلط الظلام دعا الامام بجابر بن عقيم وأمره على مائة رجل وأمرهم بحفظ ما فيه من الغنائم وأمر القوم كلهم بالمسير معه فقالوا سمعا وطاعة يا ابن عم رسول الله ثم أخذوا في اصلاح شأنهم وجهزوا سلاحهم وتقلدوا بسيوفهم وتنكبوا بحجفهم واعتقلوا برماحهم وأتوا الى الامام فهم الامام بالمسير واذا بالرغدا بنت الخطاف أتت وقالت أيها الامير العظيم وابن عم البشير النذير اني أحببت ان أسير معك فلعلي أن أمحو ما سلف من ذنوبي واني قد خاصمت العرب ومارست الخطوب وخضت المعامع وشاهدت الوقائع فاذن لي بالمسير معك بحياة محمد ابن عمك على قلبك ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قال لها الامام حبا وكرامة يا رغدا اني لا أمنعك من ذلك فاذا عزمت فالخيرة لله فجهزت الرغدا رضي الله عنها ولبست آلة حربها وخرجت الى الامام ثم سار الامام رضي الله عنه وأمر القوم بالمسير فساروا وقد أكثر الله أصحابه وأعظم أجره وتوجه تلقاء الحصون فاذا بجندب بن هبيرة قد أتى الى الامام رضي الله عنه وقال له أيها الامير انك سائر الى حصن الصخر وهو حصن منيع وفيه رجل شديد جبار عنيد يقال له كنعان بن عابد وان الملك الهضام يخافه ويحذر شره حتى أنه زوجه ابنته خوفا من شره وسطوته ولا تأمن أن يكون بلغه خبرك فيقبل اليك ويكمن لك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام رضي الله عنه ذلك قال جزاك الله خيرا على نصحك وشفقتك وستعاين عجائب الله ونصره وما يسر به قلبك وقلوب أصحابك وما يجري لي معهم في طريقنا فسيروا بنا رحمكم الله فان الله ساقنا اليهم وسينصرنا بقوته وعظمته عليهم انه على ما يشاء قدير * ثم سار الامام رضي الله عنه هو وأصحابه الى حصن الصخر وقد طاب له المسير والتفت الى القوم وقال يا معاشر الناس ان أمرنا قد شاع في الحصون ولا بد أن تأتينا الجيوش فهل فيكم من يأخذ لنا خبر الطريق ويسأل السالكين عن منتهى الطريق وحقيقة الاخبار فكان أول من تقدم الى الامام ناقد ابن الملك فقال يا أمير المؤمنين أنا الى ماذكرت مسارع ولما أمرت مبادر وتقدمت اليه الرغدا بنت الخطاف وقالت يا ابن عم رسول الله ان البلاد بلادنا ونحن أعرف الناس بها وشجاعتي تعرفها الشجعان ولا تنكرها الفرسان وان أردت أن ترسلني مع من تريد فافعل فقال لها الامام رضي الله عنه كوني مع من خرج ثم انتخب لها الامام عشرة وأمر عليهم ناقد ابن الملك فسار ناقد وجد المسير وأنشد يقول شعرا

أسير بأمر من أمير مؤيد * وأرجو بذا فوزا وعيشا منعما
الى عصبة خابت وخاب بعيدها * ستلقى عذابا ثم تصلى جهنما
فلابد لى من أن ألاقى جميعهم * الى أن يطيعون الامام المعظما
فذاك على وابن عم محمد * نبى كريم قد هدانا من العمى
هو السيد المختار من آل هاشم * نبى الهدى حقا كريما مكرما

﴿قال الراوى﴾ ومازال ناقد سائرا الى أن وصل الى الحصن وكان حصنا حصينا ولم يجد فى الطريق أحدا فلما وصل الى الحصن وجد أهله قد تأهبوا وعزموا على القتال فرجع ناقد ومن معه الى الامام وقد فرح واستبشر بخلو الطريق فلما وصل الى الامام سأله عن حاله وما وجد فى الطريق فقال ناقد يا أمير المؤمنين لم يكن فى الطريق أحد غير ان القوم قد تحصنوا فى حصنهم وعزموا على الحرب والقتال وتأهبوا فانظر يا سيدى ما أنت له صانع فقال الامام رضى الله عنه عند ذلك اذا أراد الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت أركانه ووهن بنيانه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون قال ناقد يا أمير المؤمنين ان فى الحصن رجلا شديد القوة كثير الاذى وأنا أحذرك أن يأتيك من أذيته شئ والله كافيك ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام رضى الله عنه وقال يا ناقد سر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم سار الامام وأصحابه الى أن وصلوا الى الحصن فلما نظر الامام الى مكنته وعلوه وارتفاعه قال اللهم سهل علينا فتحه ثم ان الامام فرق عسكره كتائب ليكون ذلك أهيب فى قلوب المشركين لايهام كثرة جيوشه فأمر ناقدا على كتيبة وقدمه ثم أمر بعده حنبل بن وكيع على كتيبة وجعله من وراء ناقد ثم أمر من بعده الرغدا بنت الخطاف على كتيبة ثم أمر رجلا يقال له خالد بن الريان على كتيبة ثم سار أمير المؤمنين فى بقية القوم فبينما القوم فى حصنهم للحرب متأهبين وللقتال طالبين اذ أشرف عليهم ناقد فى كتيبته فلما قربوا من الحصن أمر ناقد أصحابه بالتكبير فكبروا فارعدلهم الوادى ثم أقبل من بعده حنبل بن وكيع ففعل كما فعل ناقد هو وأصحابه وكان ناقد قد نزل بقومه متباعدا عن الحصن فنزل حنبل بازاء الحصن ثم أقبلت من بعده الرغدا بنت الخطاف فى كتيبتها ففعلت كما فعلوا ثم أقبل من بعدهم خالد بن الريان وفعل كما فعلوا فارتجت قلوب القوم الذين هم داخل الحصن

وقالوا لبعضهم ما أكثر هؤلاء القوم ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم كذلك اذا أشرف أمير المؤمنين بجميع أصحابه فكبروا ونزلوا ولم يتعرضوا القوم فلما استقر الامام فى مكانه حتى أشرف عليهم من الحصن رجل كأنه قطعة جبل لطوله وعظمه ويبسط أنامله مع غلظ يديه كأنه من العمالقة وقد لبس درعا منيعا وبيضة منيعة على رأسه فلما نظره الامام استعظم خلقته وقال تبارك الخلاق العظيم ثم أقبل الامام رضى الله تعالى عنه على ناقد وقال له يا ناقد أتعرف هذا الرجل المهول فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذى حدثتك بحديثه وصفته لك هذا صاحب الحصن وهو مصاهر لنا وهو زوج ابنة أبينا ومن خوف أبى منه دفع اليه ابنته بغير مهر معجل ولا مؤجل وكان قد خطبها عدة من الملوك بالمال الجزيل فلم يسمع أبى لأحد منهم خوفا من هذا الرجل واسمه كنعان بن عابد بن تبع بن كليوت الحميرى فبينما الامام يسمع كلام ناقد اذ سمع صراخ عدو الله من أعلا الحصن وهو كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف أو زئير الأسود عند غضبها وهو ينادى يا معاشر الجهال وعصابة الارذال أنتم مجانين لا عقل لكم كيف نزلتم بساحة الموت الفاصل والبلاء النازل ارحلوا بأنفسكم غانمين وبأرواحكم سالمين ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك من مقالته غضب غضبا شديدا فوثب من مكانه وأفرغ عليه لامة حربه وقبض على سيفه وحجفته وقدم الرماة الذين هم معه وهم نحو من مائتى رام فأنفذ لكل جهة من جهات الحصن خمسين وأقرنهم بأمثالهم من الرجال الذين هم بالدرق لكل رجل رام رجل يلقى بدرقته عنه ومال الامام رضى الله عنه بمن معه الى ناحية الباب وقدم الرماة أمامه وقدم أصحابه الى القتال فحاربوا بالأحجار فرمى المشركون بالصخر الكبار ورمى الرماة بالنبال وظهر عدو الله كأنه برج مشيد وجعل يرمى بالجنادل العظام والصخور الكبار فتقع على الناس فتقتلهم وعلى الرجال فتهلكهم وصار لعدو الله صياح كالرعد وكبر على الناس أمره ولم يستطع أحد من أصحاب الامام الوصول الى الباب ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر الامام ذلك عظم عليه وكبر عنده فتقدم بنفسه الى الباب وعدو الله يرمى بالاحجار والصخور وجعل الامام كلما وصل اليه حجر تلقاه بدرقته وأرخاه متباعدا عنه ومازال القتال بين الفريقين الى وقت العصر وقد قتل من أصحاب الامام رجال كثيرة فعطف الامام بأصحابه وقال حسبكم من القتال فتراجع الناس الى أماكنهم وعدو

الله وأصحابه يعطعطون عليهم ويهزؤن بهم فعظم ذلك على الامام رضى الله عنه وبات الفريقان يتحارسان وأضرمت النار وتولى الامام حرس أصحابه بنفسه خوفا عليهم فبينما هم كذلك واذا بشخص قد ظهر فى الطريق فتأمله الامام فاذا هو شخص راكب على مطية فنزل الامام عن جواده وأتى الى صخرة وجلس مختفيا حتى وصل اليه ذلك الشخص وصار محاذيا له فوثب اليه الامام وأمسكه من رجله ورماه الى الأرض على جنبه فانخلع قلبه من الخوف وصار يرعد كالسعفة فى الريح العاصف فقال ذلك الشخص للامام من أنت الذى أوهنت عظامى وارتعدت من هيبتك أركانى فقال له الامام أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الشخص باسم على خرس لسانه وخمدت أركانه وبطل حسه وخفق نفسه فلم تكن الا ساعة والامام واقف عند رأسه حتى ردت اليه روحه وفتح عينيه وقال يا ابن أبى طالب سألتك بحق ابن عمك الا ما أبقيت على وأحسنت بكرمك الى فقد كنت أتمنيك وأحذرك من قبل ان أراك فعند ذلك عفا عنه الامام وأوثقه كتافا على راحلته وركب جواده وقاد زمام مطيته حتى أتى به الى عسكره وحل وثاقه وقال له يا هذا قل الصدق تنج واياك ان تقول غيره فتهلك فقال الشخص يا ابن أبى طالب أما قولى فصدق وهو الحق أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله والآن فخذ حذرك فقد أتاك عسكر جرار وهم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس يقدمهم بطل مقوم بالعشرة آلاف وهو غنام ابن الملك الهضام وهو أفرس أولاده فقال له الامام يا أخا العرب فهل وصلت أخبارنا اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين انه لما وصلت اليه أخبارك وما فعلت فى حصونه أراد أن يأتى اليك بنفسه فأقسم عليه ولده غنام بقوة المنيع أنه يأتى ويقبض عليك ويوصلك اليه حقيرا ذليلا أسيرا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك قال له وأين تركته قال يا أمير المؤمنين تركته نازلا على الحصن المشرف وأرسلنى الى أهل هذا الحصن لأسكن روعهم وأبشرهم بقدومه ولا شك انه يوافيك غداة غد فانظر لنفسك وتدبر أمرك فتبسم الامام ضاحكا من قوله ثم قال له الامام ما اسمك يا هذا قال اسمى القداح بن واثلة فقال له يا قداح حدثتنى نفسى بأمر هل أنت فاعله ومساعدى عليه وهو أمر لا يصل اليك منه شئ فقال القداح وما هو يا أمير المؤمنين فقال له الامام ألست زعمت أنك

رسول غنام الى هؤلاء القوم اللئام فقال نعم فقال له الامام ياقداح أريد منك ان تمضى اليهم فى هذا الليل وتجعل لى طريقا معك توصلنى اليهم فقال القداح اذا وصلت اليهم يامولاى ما الذى تصنع ومايكون فقال الامام يكون فتح الحصن وقتل عدو الله كنعان على يديك فقال القداح ان كنت نائما فاستيقظ فان الذى ذكرته بعيد والوصول اليه صعب شديد ﴿قال الراوى﴾ فوثب اليه ناقد ابن الملك وقد تغير لونه من شدة الغيظ على القداح ونهره وقال له لا أم لك أعرف مكانك واعلم مع من تتكلم فهذا الذى تخاطبه فارس الفرسان وقاتل الشجعان هذا ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فاقصر كلامك والا رميت رأسك بهذا السيف فأخذته الاصوات من كل مكان فجزع مما سمع وأخذته الرعدة والدهشة من كلام ناقد وغيره فقال يا أبا الحسن أنتم أهل البيت فخرتم على سائر العرب والقبائل ومامنكم الا هو أهل الجود والكرم فخذ على بجميلك وأسرع الى بكرمك واسمح بفضلك على فتبسم الامام رضى الله عنه ضاحكا من قوله وقال له ياقداح أنت أسلمت لله خالصا مخلصا قال نعم وحق ابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم انى أسلمت مخلصا لله تعالى فقال له الامام ياقداح ان لك ذنوبا قدمتها وأنت فى ضلالة الكفر والظلام والعتو والطغيان فقال يا أبا الحسن أليس الله سبحانه وتعالى يمحوها عنى حيث رجعت عما كان منى وتركت دين الكفر وعبادة الاصنام ودخلت فى دين الاسلام وعبادة الملك العلام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الامام قال له ياقداح قد وجب عليك الجهاد فى سبيل الله فان أردت أن يمحو الله ما سلف من ذنوبك فهب نفسك لله فى مرضاته فى هذه الليلة فان سلمت فمن الله وان هلكت وقع أجرك على الله وتدخل الجنة بغير حساب فقال القداح انى أخاف من القتل وورائى أطفال وليس لهم قريب ولا حبيب ولى أم عجوز كبيرة قد أخذها الكبر وأبادها طول الزمان فان قتلت فمن يكن لهم بعدى فقال له الامام لهم الذى خلقهم ورزقهم فهو أشفق عليهم منك وأنا أضمن لك على الله السلامة فانه على مايشاء قدير وترجع اليهم سالما ان شاء الله تعالى ثم أخذ الامام مطيته من أصحابه وأقبل عليهم وقال لهم ارتحلوا راجعين على أعقابكم فاذا سمعتم التكبير فأطلقوا أعنة الخيل وأتونى مسرعين فارتحل القوم من وقتهم وساعتهم وسمع أهل الحصن صهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافق

الرماح

الرماح وقت الرحيل ﴿قال الراوى﴾ فأشرف جماعة من أعلا الحصن فوجدوا القوم قد رحلوا عنهم فنزلوا مسرعين الى كنعان وأخبروه برحيل القوم عنهم ففرح لهم وقال يا قوم ان ارتحالهم بين أمرين اما أن يكون قد ثار عليهم من جيش الملك قوم على غفلة منهم أو يكون قد بلغهم خبر أن أحدا من أولاد الملك المصنام خرج اليهم فرجعوا الى أعقابهم واكتفوا بما معهم فقالوا له أيها السيد أخرج ونحن فى أثرك اليهم فندركهم وهم منهزمون فقال لهم انى أخشى أن تكون حيلة فنقع فيها ولكن اصبروا الى أن يزول الليل بظلامه ويأتى النهار بضيائه فاذا كان ذلك فلا يخفى علينا خبرهم ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل أصحاب الامام رضى الله تعالى عنه راجعون وهم سائرون الى أن غابوا عن العين وانقطع حسهم ولا عاد أحد يراهم فقام الامام وركب مطيته وقال للقداح اركب مطيتك وسر امامى ليعرفوك فاذا ناديتهم وعرفوك وسألوك عن شئ فقل لهم انى رسول الغنام ابن الملك ولقد جئت اليكم مبشرا بقدومه عليكم واذا سألوك عنى فقل لهم هذا رجل من العرب أرسله الملك معى مساعدا وما عليك من كلة اتصل بها الى عدو الله فقال القداح يا أمير المؤمنين قد أهلكتنى وأهلكت نفسك فعند ذلك قال له الامام سر يا قداح وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال القداح وحق ابن عمك لا أسير الا على شرطين ولا تخالفنى فيهما بحياة ابن عمك عليك جد لى واقض بكرمك على فقال له الامام وما ذلك يا قداح قال انى أسير معك وأخاطبهم وأدرجوا بهم وتكون أنت الداخل عليهم دونى وتتركنى عند الباب حتى أنظر ما يكون منك ومنهم فقال له الامام لك ذلك يا قداح فأنا أتقدم دونك ولا الزمك ما لا تطيق ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك طاب خاطر القداح وركب مطيته وسار والامام معه الى أن وصلوا الى باب الحصن وأحس بهم أهل الحصن فنادى كنعان من الطارق لنا فى الليل الغاسق فجاوبه القداح وقال له أيها السيد العظيم أنا رسول بشارة فعرفه كنعان وقال لعلك يا قداح جئت من عند الملك قال نعم وانه قد أتاك ابنه فى عشرة آلاف فارس ليوث عوابس ما منهم الا كل بطل مداعس فهل عندك خبر من الغلام على بن أبى طالب فقال له كنعان انه ارتحل فى هذه الساعة وها هو امامكم ثم التفت كنعان الى أصحابه وقال لهم ألم أقل لكم ان ابن أبى طالب له طلائع وقد أتوه وأخبروه بقدوم ابن الملك فانقلب بقومه راجعا ثم التفت الى القداح وقال له الك عندى المواهب والاعظام والخلع

والاكرام بسبب قدومك الينا وارتحال هذا الغلام عنا فمن يكون صاحبك الذى أراه معك فقال القداح هذا رجل من العرب قد ضمن لملك أن يأتيه برأس ابن أبى طالب قبل وصوله اليه وانه قادر عليه فقال له كنعان انه قد رام أمرا بعيدا ﴿قال الراوى﴾ ثم نزل كنعان بنفسه الى الباب ليفتحه للقداح ونزل معه جماعة من قومه وقد امتلئت قلوبهم بالفرح والسرور وبأيديهم المصابيح فتقدم الامام الى الباب وترك القداح من ورائه وكان قد سمع الامام حس الاقفال عند افتتاحها فقبض بيده على سيفه وقال بسم الله وبالله ومن الله والى الله وما النصر الا من عند الله ينصر من يشاء بسم الله نصر من الله وفتح قريب وانتظر فتح الباب فسمع قرقعة من خلفه فالتفت فاذا هو صاحبه القداح وهو يرتعد كالسعفة فى الريح العاصف وعاد الذى هو من داخل الحصن يسمع اصطكاك أسنانه من فمه كأنه الجلد القديم اذا جرد على الارض فضربه الامام بيده وقال له لا أبا لك ولا أم لك ما الذى نزل بك وما الذى أنت فيه من غير ضرب ولا قتال ولا وصل اليك أحد فان أردت أن تنصرف الى حال سبيلك فافعل فلا حاجة لى بك فقد استغنيت عنك فسكت والتفت الامام الى الباب وانتظر فتحه فأبطأ عليه فأنكر ذلك أشد الانكار وطال وقوفه على الباب فلم يفتح ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك انه لما وصل عدو الله الى الباب ومن معه وأراد فتحه بنفسه من شدة الفرح ظهر لعدو الله اللعين ابليس فلما نظر القوم اليه شخصوا نحوه وذهلوا من منظره فأتى الى عدو الله كنعان وأخذ المفاتيح من يده وولى راجعا وأشار للقوم أن يتبعوه الى داخل الحصن فلحقوه فى أثره فلما أن بعدوا عن الباب قال لهم يا ويلكم أنا رسول المنيع جئت اليكم لانظر ما أردتم تصنعونه بأنفسكم حيث أردتم أن تسلموا حصنكم الى على ابن أبى طالب بلا قتال ولا نزال فقال كنعان أيها الرسول الكريم من عند الرب العظيم والاله الجسيم وأين على بن أبى طالب فقال ها هو واقف على الباب مع القداح وصار القداح من حزبه ومن أهل دينه وقد ساقه اليكم ليهجم به عليكم فاندهشت القوم من ذلك وقال له كنعان أيها الرسول الكريم من عند الرب العظيم لقد نصحت فلا أنسى لك المنيع ما ذكرت وما من الخير صنعت فما الذى تأمرنا به أيها الرسول الكريم فقال الآن قد بقى عندكم خبره فافتحوا له الباب وقفوا عن يمين الباب وعن يساره وبأيديكم السيوف مشهورة وكن أنت يا كنعان وولدك مداعس متولى ذلك الامر

واغتنموا وحدته حيث أتاكم منفردا بنفسه ليس معه أحد من قومه فبذلك أوصاني المتيسع وكان مداعس بن كنعان من أعظم الشجعان سيد الفرسان وهو أعظم من أبيه ففرح القوم بذلك فرحا شديدا من قول ابليس لعنه الله ثم غاب عنهم فلم ير وعمد كنعان الى الرجال وأعطاهم السيوف والدرق وقسمهم فرقتين فرقة عن يمين الباب وفرقة عن شماله وأخذ رجالا أخر وفرقهم ثلاث فرق فرقة معه وفرقة مع ولده مداعس وفرقة أوقفها في وسط الحصن بالسيوف والدرق وتقدم رجل بالمفاتيح وفتح الباب وولى هاربا والنجاة طالبا ﴿قال الراوي﴾ فنظر الامام رضي الله تعالى عنه لا حد يخرج من الباب فلم ير أحدا خرج ولا وجد لاحد منهم حركة وانقطع حسهم فازداد الامام علي رضي الله تعالى عنه على القوم انكارا وحذرا على نفسه وتوقف عن الدخول ونادى يا قوم انا لا نعرف حصنكم ولا نعرف مداخله أفلا توقدون لنا مصباحا ندخل به اليكم في نوره فسكتت القوم ولم يردوا عليه جوابا فقال الامام رضي الله تعالى عنه لكم ذلك وحق ابن عمي محمد صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى القداح وقال له خذ بزمام ناقتك وابعد عن الباب واحذر على نفسك فقد وقع للقوم خبرنا ولا نعرف مداخله ولا شك أن ما أعلمهم بنا الا اللعين ابليس فقال القداح يا أمير المؤمنين لقد سقتني الى الهلاك فلما سمع القوم الخطاب علموا أن الامام قد علم ما عندهم وما أضمروا عليه فخشوا من انقلابه فأشار كنعان الى ولده مداعس بالهجمة على أمير المؤمنين ﴿قال الراوي﴾ فلم يشعر الامام حتى نزلوا من يمين الباب ومن شماله وبأيديهم السيوف والحجف وجعلوا يتصارخون بالامام رضي الله تعالى عنه فأخذ عليهم الامام محاذيا الى الباب فلم يترك أحدا منهم يخرج اليه وناداهم بعلو صوته يا معاشر اللئام لقد أخطأكم الامل فأنا علي ابن أبي طالب قاطع الاجل فوثب اللعين كنعان وعدو الله مداعس ومن معهم وكان كنعان معه حجفة منيعة وهو واثق بحجفته وقوة ساعده فتقدم الى الامام وضربه ضربة شديدة فأخذها الامام منه على حجفته فلم تؤثر فيها شيأ ثم عطف عليه الامام كأنه الاسد الضرغام وضربه بسيفه فتلقاها عدو الله بحجفته فقطع السيف ما وصل اليه من الحجفة ورماها ولو ملكته لاهلكته وكان كنعان واثقا بها متمكنا منها فلما رأى عدو الله كنعان ذلك من الامام أقبل على قومه وقال يا ويلكم ادفعوه حتى يبعد عني وعن الباب الى الخلا ليتسع عليكم الفضاء وتملكوا أنفسكم فطلع من كان من داخل

الحصن على أعلا السور وأرسلوا على الامام الصخور والجنادل من أعلا الباب فنزلت عليه كالمطر فتأخر الامام عن الباب لهول ما لحقه ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك فرح الامام فرحا شديدا حيث خرج عدو الله مداعس وخرج والده كنعان فى أثره وخرج من كان معهم من الرجال ولم يبق فى الحصن الا القليل ثم مر اللعين كنعان يغلق الحصن واشاقه من وراء القوم ولما نظر القداح ذلك ركب مطيته وولى هاربا وقصد الى أصحاب الامام فالتفت الامام الى القداح فلم يره فعلم الامام انه هرب فأسند ظهره الى ربوة عالية ونادى برفيع صوته يا شرجيل ويا أخبث قبيل دونكم والقتال واغتنموا وحدتى وانفرادى من قومى فأنا اليوم وحيد فريد فان شئتم فواحد لواحد وان شئتم فكلكم لواحد فوالذى بعث ابن عمى محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ما أنا براجع عنكم حتى أشبع الوحوش والطيور من لحومكم الخبيثة وأنا واحد وواثق بواحد فهو على ما يشاء قدير أما تعرفونى أنا ممزق الكتائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له كنعان لولا يكون علينا عار لهجمنا عليك بكليتنا واغا يبرز اليك واحد منا قال الامام رضى الله عنه يا عدو الله ورسوله وعدو نفسه افعل ما بدا لك وما تريد ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك تقدم رجل من المشركين يقال له سباع الى عدو الله كنعان وقال أيها السيد أنت تجود لى بلبسه وما عليه من الثياب والعدة وأنا آتيك به أسيرا ذليلا حقيرا فقال كنعان لك ذلك ياسباع وحق المنيع الاله الرفيع لئن أتيتنى بابن أبى طالب لأزيدنك على الذى قلته بأكثر فعند ذلك خرج سباع من بين المشركين فرحا مسرورا وظن أنه يغلب الامام ويأسره وجعل يرتجز وينشد ويقول شعرا

ألق حسامك يا غلام وأتنى * من قبل أن تردى بحد حسامى
أعط القياد ولا تكن متجلدا * واعطف الى بذلة الارغام
فالامن أصلح أن تكون مجندلا * فاقصر مرامك عند عظم مرامى
اسرع لنحوى يا على مبادرا * من قبل أن تفنى بدون ملام

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ما قاله سباع تبسم ضاحكا وقال الامام ها أنا مقبل اليك وواقف لديك فقال له أسرع لنحوى فجاء الامام الى نحوه فظن عدو الله سباع أن الامام سلم نفسه اليه حتى يأسره فتقدم سباع اليه وهو يظن أنه قادر عليه فلما قرب

منه عدو الله سباع وثب اليه الامام رضي الله عنه حتى كأنه الاسد اذا عاين فريسته وضربه ضربة على رأسه بالسيف فشقه السيف نصفين ونزل عدو الله الى الارض قطعتين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك التفت الامام الى كنعان وقال له يا عدو الله وعدو نفسه دونك والقتال فقد مضى صاحبك الى النار وبئس القرار فلما رأى مداعس بن كنعان ذلك من الامام تقدم اليه وجعل ينشد ويقول شعرا

أنا الفتى المشهور في الفوارس * أنا الهمام الضيغم المداعس
أنا ابن كنعان المسمى يا فتى * أنا مبيد البطل المحارس
أنا المجرب للعدا يوم اللقا * أنا شديد البطش في الفوارس
فاحذر قتالي أو طعاني يا علي * ثم اتق الضرب يا تمن مداعس
أنا الذي أخبا ليوم كريهة * وخائض الغمرات في الغلامس
فأت الي يا علي مستأسرا * من قبل أن ترمى بشر عابس
لأتركنك في الفلاة مجندلا * تمشي عليك الناس بالمداوس

(قال الراوي) فلما سمع الامام علي رضي الله عنه كلام مداعس تبسم ضاحكا وقال يا ابن كنعان دونك والضرب والطعان فانطلق اليه مداعس ومال نحوه فلما أتاه وثب اليه الامام وثبته المعروفة فوصل بها اليه وقبض عليه بكلتا يديه ثم ضم الجواد اليه ليقلبه عليه فأيقن مداعس بالهلاك وأخذه الارتباك فصاح من شدة ما أصابه يا ابن أبي طالب بحق ابن عمك الا ما أبقيت علي وأحسنت بكرمك الي فمد الامام يده وقبض عليه وجذبه من سرجه فاقتلعه وأمسك رأسه وأوثقه كتافا بعمامته وقاده وفرسه الى صخرة هناك ورماه ثم ركب جواده وتقدم على مهل من غير طيش ولا عجل الى أن أتى الى القوم وقال لهم يا نسل اللئام هل فيكم من يبرز الى القتال ويبادر للنزال فناداه كنعان يا ابن أبي طالب كن مكانك فاني قاصد اليك وهاجم عليك ثم برز عدو الله كنعان وكان قد هب نسيم السحر وبدت غرة القمر مع أنه كان في آخر الشهر فنظر الامام الى كنعان وهو كأنه الليث الجلمود وهو راكب على برذون أشهب من البراذين العظام مهول لعظم خلقته وكبر جثته فلما تماريا نادى عدو الله كنعان يا ابن أبي طالب وطأت ولدي مداعس (قال الراوي) فقال الامام قد كان ذلك وأنت الآخر ان شاء الله تعالى من بعده فقال له كنعان قتلته أم لا قال له الامام انما هو بقبضتي

أسير فقال كنعان يا ابن أبي طالب لولا أنك أبقيت عليه ما أبقيت عليك ولقد كنت أضمرت أن لا أستعمل بالحياة بعد طرفة عين واعلم يا ابن أبي طالب إنه ما ثم مخلوق على وجه الارض يقدر على وليس له طاقة بي فاسلم بنفسك قبل أن ينزل بك الدمار ويحرقك الاله المنيع بالنار فقال له الامام يا عدو الله ما كنت بالذي يسلم بغير حرب ولا قتال حتى أختبرك في المجال وأبادرك في النزال * فقال له كنعان يا ابن أبي طالب قد وصلت الى ما أنت طالب ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فتقاربا وتباعدا وتداعسا وتجاولا فرآه الامام فارسا عظيما شديدا عارفا بالامور والقتال شديدا في المجال جسورا على النزال ومازالوا كذلك الى أن أصبح الصباح وأشرق بنوره الوضاح وطلع النهار ولاح

﴿قال الراوي﴾ فبينما الامام رضي الله عنه يزيد في القتال مع عدو الله كنعان اذ تصايح قومه من خارج الحصن فمال عدو الله نحو أصحابه وترك قتال الامام رضي الله تعالى عنه فالتفت الامام وقد تباعد عدو الله عنه فرأى أصحابه منكبين عليه كأنهم الشواهين وفي أوائلهم ناقد ومن ورائه الرغد ومن ورائهم جنبل وفي أواخرهم خالد والجيش كتيبة في أثر كتيبة وكان السبب في ذلك ان القداح لما هرب من عند الامام قصد الى أصحابه وأخبرهم بما وقع لهما فلما سمع أصحاب الامام ذلك من القداح اطلقوا أعنة الخيل وقوموا الاسنة للطعن والويل وأتوا الى الامام كأنهم السيل فلما رآهم أصحاب كنعان تصايحوا بصاحبهم وأرادوا أن يأخذوه ويدخلوا الحصن ويغلقوا بابه فعرف الامام ما قد أضمروا عليه فجعل يحاديهم الامام الى أن فروا هاربين والى الحصن طالبين فأطلق الامام عنان جواده وجال عليهم كأنه الباز الاشهب وحال بينهم وبين الحصن خوفا أن يفوتوه ويدخلوا فصرخ كنعان بقومه وقال لهم تربصوا عند الباب وأشغلوه بالقتال لعلي أملك باب الحصن وأدخل فيه فأخذته الاصوات من كل جانب ومكان والامام لا يكترث بهم ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك اجتهد عدو الله كنعان الى الحصن فلم يصل اليه الا وقد لحق به الامام فدخل كنعان الى الحصن وأراد أن يغلق بابه والتفت فرأى الامام هاجما عليه فطلب داخل الحصن فجال الامام في المشركين فأزالهم يمينا وشمالا وهو يقول أنا لكم اليوم يا لئام واجتهد أصحاب الامام أن يدركوه فلم يصلوا اليه وقد صار المشركون من داخل الحصن وأغلقوه فنادى أصحاب الامام واعلياه واسيداه وامولاه ودخلهم الخوف والفزع على الامام حين صار في وسط

القوم

القوم وحيدا فريدا فبينما هم كذلك يقاتلون من خارج الحصن اذ نظرت الرغداء بنت الخطاف رجلا مكتفا وهو مطروح الى جانب صخرة فاشتغلت عنه بالقتال فبينما هي كذلك اذ ذهب رجل من المشركين الى مداعس فحل وثاقه وذهب كل واحد منهم الى ناحية فاستلحقت الرغداء بجوادها وراء الرجل الذي حل وثاق مداعس فأدركته فلم تكلمه دون ان ضربته فأزالت رأسه عن جثته ثم رجعت الى مداعس فلحقته قبل أن يصل الى بقية القوم الذين كانوا من خارج الحصن فنادته برفيع صوتها الى أين يا ملعون هل لك أن تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لها لا وحق المنيع هذه كلمة لا أقولها أبدا ما دمت حيا فلم ترد عليه الرغداء دون ان ضربته في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم جذبت السنان منه فتجندل صريعا على وجه الارض يخور في دمه وهو كالنخلة السحوق وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوي﴾ فنزلت عليه الرغداء وقطعت رأسه ثم عمدت بها الى قومها وقد أفنوا من كان عندهم من المشركين خارجا عن الحصن ولم يبق منهم الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يبق عندهم من ينازعهم فأقبلت الرغداء على القوم ورمت رأس مداعس بينهم فشكروها على ذلك ثم قالت يا قوم ما يكون خبركم من الامام فقالوا لها والله لم يكن عندنا منه خبر ولكن نرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصره عليهم انه على ما يشاء قدير هذا ما كان من أمر الرغداء بنت الخطاف ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من أمر الامام رضي الله تعالى عنه فانه لما هجم على عدو الله كنعان ودخل الحصن في أثره نظر عدو الله الى الامام فرآه قد حصل معه في الحصن فارتعدت فرائصه وغاب رشده فصرخ بقومه وقال لهم يا ويلكم هذا علي بن أبي طالب قد دخل حصنكم وصار بين أيديكم وحيدا فريدا بنفسه بينكم فاغتنموا وحدته واحملوا عليه بأجمعكم فان هممتم أن ترفعوه على أطراف الاسنة لفعلتم فما الذي يمنعكم عنه وهو معكم ثم قبض عدو الله كنعان على سيفه وحمل مع أصحابه على الامام وحمل الامام على القوم بنفسه وجعل يضرب فيهم يمينا وشمالا حتى لم يبق من حوله ولا من حول كنعان أحد أبدا فقد الجماجم قدا وهد الابدان هدا وصار كل من وصل اليه أفناه وكل من ضربه أرداه الى أن قتل الرجال وجندل الابطال وتفرقوا عنه يمينا وشمالا ثم قال الامام لكنعان يا ويلك أسلمت قومك الى المضيق والبحر العميق ولم ينفعك منهم أخ ولا صديق ولا

صاحب ولا رفيق (قال الراوى) فقال له عدو الله كنعان يا ابن أبى طالب خل عنك الكلام ودونك والحسام فلما سمع الامام ذلك حمل عليه وضربه بجحفته على رأسه فنزل هاويا الى الأرض مغشيا عليه وقد اندق منخره فى الأرض فبرك عليه كأنه الأسد وأوثقه كتافا ثم تركه على حاله وعمد الى القوم فكان يقول للرجل قل لا اله الا الله محمد رسول الله والا قطعت رأسك بهذا السيف فمن أطاعه تركه ومن خالفه هلك فعند ما رأى القوم ذلك من الامام تصايحوا الأمان الأمان يا ابن أبى طالب وأشرف من كان فى أعلا الحصن من الرجال والنساء على قوم الامام وقالوا لهم انا نسألكم أن تأمنونا من أميركم هذا ونحن مطيعون له فيما يأمرنا به ففرح أصحاب الامام بذلك وزال عنهم الحزن والقلق وسمعوا الامام يقول لهم لا أمان لكم عندى حتى يكتف بعضكم بعضا فلما سمعوا ذلك أقبلوا الى بعضهم وأوثقوا أنفسهم عن آخرهم وأقبلوا اليه أسارى بجميع أسلحتهم عنده ولم يبق فى الحصن معاند ولا منازع غير النساء وهن خائفات وجلات مذعورات لما رأوا من الامام وهالهن ذلك ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه أمر من كان أسلم فى القتال أن يمضى الى النساء وان يوثقهن كتافا ففعل اليهن جماعة ففعلوا ذلك (قال الراوى) ثم ان الامام رضى الله عنه أقبل على عدو الله كنعان وكان قد أفاق من غشيته وهز السيف فى وجهه فنادى يا ابن أبى طالب قل لى ما أنت له طالب وعليه عازم فقال له الامام يا كنعان قل لا اله الا الله محمد رسول الله تكن لنا ولك السعادة والنجاح واياك ان تنكرها فيحل بك البلاء الفضاح وتخرج روحك من جسدك كخطفة البرق اذا لاح فقال يا ابن أبى طالب ومن ينقذنى من نار المتيع وسطوته فقال له الامام يا ويلك ان المتيع قد ولى زمانه وحان هوانه وأتى بواره وقرب دماره فقال يا ابن أبى طالب ومن يفعل به ذلك ومن يستطيع الوصول اليه فقال له الذى وصلنى اليك هو قادر على أن يوصلنى اليه ودماركم جميعا على يدى باذن الله تعالى فلما سمع عدو الله كنعان ذلك قال انى أشهدكم على يا معاشر النساء والرجال انى برىء من هؤلاء السحرة محمد وابن عمه على الظالمين الطاغين المعتدين الساحرين الكاذبين (قال الراوى) فلم يمهله الامام وقد اشتد به الغضب دون ان ضربه ضربة هاشمية محمدية فوقعت الضربة على عاتقه الايمن فخرج السيف من تحت ابطه الايسر فوقع عدو الله على الارض قطعتين كأنه الصخرة اذا وقعت أو الجبل اذا قطع

وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار ثم ان الامام رضي الله عنه أخذ رأس عدوّ الله كنعان وأقبل بها الى الباب ففتحه وظهر بها الى القوم فوجدهم قد أفنوا من عندهم من المشركين ولم يبق الا من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وقد صفا وقتهم وطاب عيشهم وهم في انتظار أن يخرج اليهم فلما خرج اليهم الامام و رأس عدوّ الله كنعان في يده فرحوا بذلك واستبشروا وأكثروا التهليل والتكبير واستقبلوه جميعا وهنوه بالسلامة فجازاهم الامام خيرا وشكرهم على ذلك ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام رضي الله تعالى عنه لما فرغ من سلامه قال لهم يا قوم أين مداعس بن كنعان فأقبلت اليه الرغدا بنت الطاق رضي الله عنها وقالت يا سيدي انه قد لحق بأبيه الى النار وبئس القرار فشكرها الامام على ذلك وجازاها خيرا ثم ان الامام رضي الله تعالى عنه أمر القوم بدخول الحصن فدخلوا والامام في أوائلهم وهو يقول فتح الله ونصر وخذل من كفر ثم بعد ذلك أمرهم باحضار الاسارى فاحضروا بين يديه فأمر بحل كتافهم فحلوهم وقال لهم يا قوم أنتم نظرتم ما حل باخوانكم فلا يحميكم مني الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله والا أفنيتكم عن آخركم فتخيروا لكم واحدة من هاتين الاثنين فأنتم المخيرون في ذلك فقالوا جميعا نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله فسر الامام بذلك سرورا عظيما وفرح باسلامهم فرحا عظيما ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام أراد أن يرحل من ذلك الحصن فأقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أسألك عن أمر فان كان فيه معصية فاني أتوب الى الله سبحانه وتعالى منه وان كان فيه سماح فاسمح لي فيه فنكم الجود والكرم وأنتم سادات الحرم وأفضل العرب والعجم فقال له الامام رضي الله عنه وماذاك يا ناقد فقال له يا أبا الحسن روحي لك الفداء ان لي في المسورات من النساء اللاتي هن في الحصن ماسورة آلمني اسرها وماهي الا من بنات الملوك والعز والدلال وكانت ممتنعة تحت ذي الضلال وهي بنت أمي وأبي أعز الخلق عندي وان الولد مولود والبعل موجود والاخ مفقود وهممت أن أخاطبها وأدعوها الى ما دعوتنا اليه من هذا الدين البهي والاسلام النقي فان أردت أن تأذن لي في ذلك فالامر اليك فقد كبر علي والله ما نزل بها ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك تغرغرت عينا الامام بالدموع ثم قال يا ناقد امض اليها فأنت أملك بها وأحق فتلطف بها

وشوقها الى الاسلام وعبادة الملك العلام فخرج ناقد من القوم وسار الى أخته
وكانت اسمها عليا فلما أقبل عليها وهي في جملة المأسورات صعب عليه ذلك فعزت
نفسه عليه فأمسك عن الكلام فلما نظرته أخته من بين المأسورات بكت واشتكت
وتنهدت وقالت يا أخي تنساني في مثل هذا الوقت فتتركني مطروحة بين الاسارى
وما عرفت منك الجفاء منذ حياتي فعرفني يا أخي ما أنت عليه حتى أتبعك ولو كان فيه
ذهاب روحي ثم أنشدت تقول شعرا

جفوت وهل يجفو الفتى للاقارب * ووالتني الهجران مثل الاجانب
نسيت التي كانت لك الدهر خلة * وأسلمتها في موبقات الركائب
شكوت لك الاهوال اسري وذلتي * وتشتيت شملي من أخ ثم صاحب
فلا تتركني في ضلال وحيرة * واسر فقد ضاقت وجوه المذاهب
وصف لي طريقا مستقيما فانني * أكون عليه معك يا ابن الاطايب
وأتبع الحق الذي قد تبعته * واسلك منهاج الكرام المراتب

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ناقد كلام أخته عليا سبقته العبرات فبكى وقال لها
يا أختي لاح لي الحق والبرهان فعرفت ربي بحقيقة الايمان وتركت عبادة الاوثان
والصلبان وعلمت أن المنيع ومن يركن اليه في ضلال وخسران فلا يعبد بحق
الا الملك الديان الحنان المنان الذي خلق الانس والجان وكل يوم هو في شان
وكل ما سواه فان فهو الملك الحق الحي القيوم القدوس السلام واني قد وجدت مع
هؤلاء القوم برهانا أتوا به من عند الله فأقررت لله بالواحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم بالرسالة وان شئت يا بنت أمي وأبي ان تسريني باسلامك فاني محزون عليك
وأسير بما يصل من الخبر اليك فاقري لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم
بالرسالة وان أبيت فهذا فراق بيني وبينك فلما سمعت عليا مقالة أخيها قالت يا أخي
وقرة عيني اني كرهت مفارقتك وأنا مسرورة بطلعتك واني قائلة بمقالتك أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ﴿قال الراوي﴾ فعانقها ناقد وضمها الى صدره
وفرح باسلامها فرحا شديدا ثم مضى الى الامام وأخبره بذلك ففرح الامام باسلامها
وأمره أن يقرها بأمانة كنها وأمر أن يأتوا بجميع المأسورات فأحضر وهم بين يديه
فقال لهم الامام أيها النساء هل لكم أن تفوزوا من الضلال والكفر والظلمة

وتكونوا تبعا لازواجكم وتقروا لله بالوحدانية وتقروا النبيه بالرسالة ويكون لكم ولنا العز والشرف فى الدنيا والآخرة وتكونوا فى أمان كنفكم لا يمد اليكم أحد يده بسوء ولا ضرر فاذا قلتم فقال النساء بأجمعهن يا ابن عم رسول الله نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله ﴿قال الراوى﴾ ففرح الامام باسلامهن وفرح أزواجهن فرحا شديدا ثم ان الامام عقد عقدهن على أزواجهن ومن كانت قتل زوجها زوجها غيره وأقرهم الجميع فى منازلهم واجتمعوا على الاسلام بعد الاجتماع على الكفر وصار كل من فى الحصن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وفرح الامام بذلك فرحا شديدا ماعليه من مزيد ثم ان الامام ضم الغنائم الى الحصن وأمر على الحصن أميرا وأوصاهم بحفظه وحفظ أنفسهم الى أن يأتيهم ثم أرسل رجلا ينظر خبر الجيش الذى يأتى مع غشام ابن الملك الهضام فسار الرجل غير بعيد ثم رجع الى الامام رضى الله عنه وأخبره أن القوم وابن الملك قد أتوا اليه وزحفوا عليه وهو فى عشرة آلاف فارس ليوث عوابس قد انتخبهم من مائة ألف فارس فقال الامام نلقاهم قبل أن يلقونا فان ذلك أهيب لنا والله المعين ينصر من يشاء من عباده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ ثم ارتحل الامام من وقته وساعته وسار بعد ان بلغه الله ما أمله وظفر بعدوه والتفت الى القوم وقال لهم معاشر الناس ان الله تبارك وتعالى لم يزل اليكم محسنا وعليكم متفضلا وقد رزقكم الله الاسلام وخصكم بالايمان ورزقكم مغانم تأخذونها ومساكن تسكنونها كانت لغيركم ولمن قبلكم فصرتم ملاكها فاحمدوا الله سبحانه وتعالى على ذلك الا وانى ملاق بكم قومكم وأهاليكم وعشائركم فلا يتوجه معى الا من رفض الحبيب والدنيا والقريب والصاحب والغريب فى رضاء الله القريب المجيب فمن أحب اللقاء فليسر معى ومن خبثت نفسه فلا يسر معى فهذه الطريق السالكة أمامه ومن أراد المقام فى الحصن فليقم ومن أراد أن يمضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليمض ولو كنت وحدى للقيت القوم متكلا على الله سبحانه وتعالى فتصايح القوم بأجمعهم يا ابن عم رسول الله أرواحنا لروحك الفداء وأسيافنا دونك اذا طرقت العدا كيف نتخلى عنك وأنت الذى أنقذنا الله بك من الضلال الى الهدى وأرشدنا الى سبيل الرشاد فوالله لا نفارقك حتى نقاتل بين يديك ونرضيك ونرضى الله تعالى ولا نسلمك للعدا أبدا فشكرهم الامام على ذلك

وجازاهم خيرا وسر بذلك سرورا عظيما ﴿قال الراوى﴾ ثم أراد الامام أن يسير بالقوم فأقبل عليه ناقد ابن الملك وقال له يا أبا الحسن روحى لك الفدا وأيدك الله بالنصر على العدا والله ان أمكننى الله تعالى من أخى غنام فهو رأس القوم وعزهم وقدرت عليه وسألته الاسلام وأبى لاقطعن رأسه فطب نفسا وقر عينا فأنا لقولك سامعون ولامرك طائعون ثم أقبلت بعده الرغدا بنت الحطاف وجنبل بن وكيع وخالد بن الريان وقالوا مثل ما قال ناقد فجزاهم الامام خيرا ثم سار بالقوم مؤيدا منصورا فما بعد عن الحصن غير ميل أو أزيد حتى لاح له سواد طائر وعجاج عاكر وغبار ثائر حتى سد الاقطار فالتفت الامام الى أصحابه وقال لهم يا قوم انى أرى سوادا طائرا وعجاجا عاكرا ولا شك أنه غبار القوم ولا أرى لهم كتيبة تقدمهم ولا طليعة تكشف لهم الاخبار فما أنتم قائلون وما الامر الذى به تشيرون ﴿قال الراوى﴾ فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المأمن ورائك والذى أراه من الرأى أن ترجع بالقوم الى المكان الذى كانوا به من غير فرار ولا هلع ولا جزع فتكون من ذلك على حالتين احداهما كثرة الماء وسعة الفضاء والثانية نجمع الرجال والاثقال وجميع ما معك وتدخله فى الحصن وتخرج للقوم مجردا بلا علائق ولا ثقل وهذا الذى أراه ورأيك أعلى وأوفق فقال له الامام أرشدك الله يا ناقد ووفقك للخير وهداك الى طاعته ثم قال للقوم ارجعوا بنا على بركة الله وعونه وحسن توفيقه فرجع القوم الى الحصن وهو حصن الصخر وأدخلوا رحالهم وأثقالهم وجميع ما معهم ونادى الامام يا معاشر الناس من علم من نفسه تقصيرا أو خاف من جواده أو كان له عذر يمنعه القتال فليجلس فى هذا الحصن فى محل فيما عليه ملام فلقد أتانا فوارس وأبطال فنتلقاهم ببوادر النزال ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام طاف على القوم يتفقدهم رجلا رجلا فكان لا يمر بشيخ كبير ولا طفل صغير ولا أحد ممن لم يقدر على القتال الا أدخله الحصن وأمره بالمقام فيه فما زال كذلك الى أن مر بالقداح بن وائلة وقد اشتد وتحزم وأخذ فى الصلاح فلما نظر الامام اليه تبسم ضاحكا وقال أى رجل ما أحسن ظاهره وأهيب منظره لو كان له قلب الا انه كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ يا قداح عليك بالحصن ولا تزل عنه فقال القداح للامام رضى الله تعالى عنه والله يا سيدى ما بدلت بالاسلام دينا فلا تقعدنى مع النساء فى الحصن والاوطان وأنا

معروف بمنازلة الاقران ومبارزة الشجعان ومبادرة الفرسان فقال له الامام
يا قداح لعلك تكون معروفا بلعب الصبيان وأكل الرغفان واخماد الجفان أبعد
ما ظهر لى منك البارحة صرت الآن تعد رجلا مع الرجال حين اطمأنيت معى انى قد
اعتمدت عليك فلم أجدك شيأ ﴿قال الراوى﴾ فقال القداح يا أبا الحسن انما يعد
الفارس بمثله والبطل بشكله وان الحصن مملوء رجالا وابطالا وفرسانا وفيهم داهية
لا تطاق ولا يلحق فى السباق أتأمرنى أن أدخل اليهم وأهجم عليهم والله
لو جعل كنعان أصبعه على رأسى لجدحنى وانقطع نفسى فلما سمع الامام منه
ذلك تبسم من قوله وقال له يا قداح وأين كنعان وولده مداعس طلعت عليهم السابقة
ودهتهم الداهية فلم يبق منهم باقية فقال له القداح يا سيدى وأين الذى هو مثلك
وأنت البطل المشهور والليث المذكور فلست أنا مثلك ولا مثل أحد من عبيدك
وأنا من دون ذلك وأقل وأحقر وأنت السيد الاكبر وأعظم وأفخر وسأقاتل بين
يديك حتى يمحى ما بقلبك على من الوجد فقال الامام ما أنا موآخذ من لم يعزه الله
بالشجاعة والبراعة والقوة ولا اعترض على الله فى فعله لانه خلق الخلق أطوارا فمنهم
قوى وضعيف وجلد ونحيف فقال القداح يا مولاى ان الله تعالى آتانى شجاعة
وبراعة وأنا أظهرها اليوم بين يديك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك تبسم من
قوله وقال له يا قداح هل لك أن تمحو ما قدمت وما نزل من بلائك وأسلفت فقال نعم
يا سيدى أنا لك وبين يديك أؤمرنى عما شئت فجزاه الامام خيرا ثم قال له يا قداح انه
ليس فينا أحد أقرب عهدا منك بالقوم وانهم قد أرسلوك رسولا للحصن وتعود اليهم
برد الجواب فهل لك أن تسير اليهم وتحدثهم بكلام ملك فينا وتذكر لهم انك لم تر لنا خبرا
ولا أثرا وتبلغهم انك سمعت انا ما وصلنا الى حصن الصخر وانا على حصن رامق ثم
تبين مسيرهم فان وجدت سبيلا الى صاحبهم فاقتله وان بعد عليك ذلك فسر بمسير
القوم الينا وهذا المكان يجمعنا فاذا نزل القوم واطمأنوا فيها نحن نفتح الباب ونخرج
اليهم وهم على غير أهبة ويفعل الله ما يشاء ويختار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك
القداح أطرق برأسه الى الارض ساعة ولم يرد جوابا ولم يبد خطابا فقال له الامام
يا قداح ما منع لسانك عن الخطاب وما حبسك عن رد الجواب فقال بأبى أنت وأمى
يا أمير المؤمنين ما أراك الا تقدمنى فى المهالك أنا ما أصلح الا للحرب والنزال والمبادرة

والقتال وملاقاة الابطال ولست أصلح للمراسلة ولا للمكاتبة فان أردت أن تعفو عني من هذا الحال وترسل الى هذا الامير غيري من الرجال فدعني أكون امامك و بين يديك أقاتل من قاتلك وأعادي من عاداك فتبسم الامام ضاحكا من قوله وقال له ياقداح ان اتكلت على نصرتك فأنا العاجز ياويلك أتخشى من قوم فارقتهم البارحة وقد ائتمنوك على سرهم وعظيم أمرهم ولا يضرك أن تعود اليهم وتذكر ما أمرتك به قال القداح ياسيدي فاذا أنا فعلت الذى أمرتني به وخدعت القوم وسقتهم اليك سوق الجزور الى الجزار ثم ظهرت أنت من الحصن برجالك وأبطالك فيعلم القوم عند ذلك ان مبتدأ الامر والمكر والحيل مني ومنتهاه الى فيحملوني على أطراف الاسنة ثم يقطعوني قطعا فما أظنك ياسيدي الا وقد كرهت مكاني وتريد أن تبعثني لهلاكي فتبسم الامام من قوله وتضاحك جميع أصحابه فقال الامام اللهم ارزقنا عفوك ياأرحم الراحمين ثم أقبل على القداح وقال له ياويلك يؤمنك منهم بعون الله طول باعي وهجمتي واسراعي فيشتغلون بي عنك أما علمت ياقداح ان العرب يسمونني البلاء النازل والموت الفاصل وأنا الامام الفاضل الذى ألحق الاوائل بالاواخر والاواخر بالاوائل لانني اذا نزلت في بيت فيه رجال شخصت أعينهم الى ورجفت قلوبهم وخرست ألسنتهم هيبة من الله عز وجل ألقاها الله فى قلوبهم مني فسر الى ما أمرتك به ثم العجب فاذا سرت فقل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ❊قال الراوي❊ فعند ذلك نهض القداح الى القيام وهو لا يريد القيام فأقبل الى مطيته فشدها واستوى راكبا فى كورها ثم التفت الى الامام رضي الله عنه وقال له ياأبا الحسن ها أنا ماض لامرك فاذا رأيت القوم قد تبادروا الى وعطفوا على بأسلحتهم فلا يشغلك عني شاغل وليكن بأسك الى واصل وابدأ بخلاصي قبل أن تبطش بهم فقال له الامام لك ذلك على ياقداح امض وتوكل على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتوجه القداح سائرا فلما ولى تبسم الامام ثم قال لقد أعطاك الله ياقداح من الجبن نصيبا ياويلك فلو كان لك قلب لكنت رجلا عظيما وجعل الامام يكرر ها مرارا ❊قال الراوي❊ ثم ان الامام التفت الى أصحابه وقال لهم يامعاشر الناس لا تزولوا عن أماكنكم حتى ننظر ما يكون من أمر صاحبكم القداح فانى أراه جبانا والجبن أقبح شئ بالرجال وأما القداح فانه حين فارق الامام وسار أطلق لمطيته زمامها وجد فى سيره مترنما بهذه الابيات وفيها

يذكر ما ألزمه الامام رضي الله تعالى عنه وان لم يكن له رغبة في ذلك فانشد وجعل يقول شعرا

حملت ثقلا واني كنت أحمله * تجلدا اذ دنا ثقل فأعياني
مالي والحرب لا كانت كوائنه * النوم أطيب شيء عند وسنان
ألقى الجوع بارماح مقومة * حقا ورب عنها كان أغناني

﴿قال الراوي﴾ ومازال القداح سائرا الى أن أشرف على القوم وهم سائرون وقد سترهم الغبار المنعقد عن أعين الناظرين وهم قد أحدقوا شرقا وغربا كأنهم الليل الدامس فلما نظر اليهم القداح حدث نفسه بالهروب ثم قال والله اني لا آمن أني ان هربت كان من ورائي هذا مفرق الكتائب فلما دعته نفسه خشي الفضيحة وخاف من أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه فوقف هنالك حائرا لا يدري الى أين يذهب فبينما هو واقف بين الحيرة والفكرة اذ هتف به هاتف من جانب الوادي بصوت رخيم يصيح ويقول شعرا

ما الجبن من شأن الرجال وانه * عيب وعار للبيب العاقل
ثق بالامام وقوله الثانه * رجل هجوم في العجاج النازل
وهو المؤيد من اله قادر * بالنصر أيده بسيف قاتل
نفسي الفداء له فتى ما مثله * يعطي الرغائب والمنى للسائل
وذاعد الكريه تخفكانه * يرمي العدا منه بسيف فاصل
فانهض لامر المرتضى وذر الذي * حاولته واقبل مقال القائل

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع القداح قول الهاتف قال لا طاقة لي بحيرة الانس ولا الجان ثم قال والله اني لا أحمل بنفسي على المهالك ثم حرك مطيته الى أن وصل الى القوم فتبادرت الى نحوه الرجال وأسرعت اليه الابطال فتأملوه فاذا هو القداح رسول الملك ففرحوا بقدومه فرحا شديدا ثم سألوه عن حاله وعن خبره فلم يبد لهم جوابا فتسارع القوم الى صاحبهم غنام بالبشارة بوصول القداح اليه ففرح غنام بذلك وقال وحق المنيع لا طأن ابن أبي طالب ولوانه وصل الى مكانه بمكة ولا سوقنه الى المنيع سوق العبد الذليل ثم همز جواده الى أن وصل الى القداح ثم ناداه يا قداح ما وراءك وما الذي سمعت فقال يا سيدي سمعت الخير فقال غنام وما ذاك يا قداح فقال يا سيدنا وابن

ملكنا الناس قد صبوا الى هذا الغلام من خوفهم منه حتى انى سألت النساء والصبيان فوجدتهم لا يتحدثون الا بحديثه ومقاله انه قد خرج من مدينة يثرب وحيدا فريدا وها هو قد اجتمع معه عسكر جرار عظيم بغير عطاء ولا رفد كأنهم كانوا اخوانا لا يدرى أين كانوا والموت بين يديه سائر وقد فتح حصن الوجيه وسار الى حصن الزامق وهو الآن نازل عليه بجيوشه وقد تركت أهل حصن الصخر حافظين له وقد أظهروا سلاحهم واعتدوا الحرب مع ذلك الجيش وقد زاد الارق وكثر القلق وانى لما بشرتهم بقدومك عليهم سكنت روعتهم واطمأنت قلوبهم وقد بلغنى ان ابن أبى طالب سائر اليهم فقال له غنام ياويلك ما فعل بكنعان الذى كان يروع الوحوش والنساء فى الاوطان والرجال فى كل مكان فقال القداح وأين كنعان وحق أبيك انه قد شغله عنك وعنهم شاغل ولا شك انه قد ولى أوهو راحل فقال له غنام ياويلك ما هذا قال انه نزل به الموت وعاجله الفوت ﴿قال الراوى﴾ فصفق بيديه غنام ثم قال له ياقداح لا بشرت بخير فما فعل بولده مداعس القتال الخالس فقال القداح وحق المتبع ان مداعس أدركه ما أدرك أباه ولا عدت تراه فقال له غنام ياويلك لا سقيت الغيث ولا رجعت الى أهلك سالما ياملعون فما الغنام من ورودك خير فهل طرقهما الموت جميعا ووصل اليهما سريعا فقال له القداح ياسيدى ستخبرهم وترى ما حل بهم فأعرض عنه غنام بوجهه وقال له اصرف وجهك عنى لا كنت ولا كان ولا عمرت بك أوطان فقال له القداح سمعا وطاعة لقد سألتنى عن أمر فلم أقدر أكتم منه شيأ ولم يزل غنام سائرا بقومه الى أن قرب الى حصن الصخر فقال جنبل بن وكيع جاءك والله ياأبا الحسن عسكر جرار وقد لاح والله لمعان سيوفهم وانى ياسيدى أرجو من الله أن يكونوا غنيمة لنا وكان صاحبنا القداح قد ساقهم الينا وأخبرهم بما نزل بأصحابهم فيكون ذلك أقرب الينا وأهون علينا ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام أمر الرجال بنقل الرحال والاثقال الى داخل الحصن وان يدخلوا الخيل والرحال والجمال وكان ذلك الحصن كبيرا واسعا يغيب فيه العسكر الجرار ولا يرى له فيه آثار فلم يبق أحد خارج الحصن ودخل الامام رضى الله عنه وأغلقوا الباب فلما استقر القوم فى الحصن أقبل اليهم الامام رضى الله تعالى عنه وقال لهم معاشر الناس ان القوم أضعافكم مرارا وقد بلغنى عن صاحبهم غنام انه افتك اخوته وأبطشهم يدا وأكثرهم

باسا وأقواهم أساسا وانى عزمت أن أقدم بكم اليهم وأهجم عليهم ان شاء الله تعالى فانظروا أمامكم وسلموا الى الله أموركم وانزعوا الرعب من قلوبكم واياكم أن تبقوا على أقاربكم وعشائركم وان كبر عليكم ذلك فلا تستعينوا بالمخلوقين واستعينوا بالله رب العالمين ألا وانى أوصيكم بما أوصى به نفسى أما أنا رجل مثلكم أريد بكم اليسر وما أريد بكم العسر ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله عنه أقبل على من أسلم من أهل الحصن وقال لهم كونوا فى أعلا حصنكم فان خاطبكم غنام فخاطبوه واظهروا له السيادة واسألوه النزول عند كم فينزل عنه الشك فقالوا حبا وكرامة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الامام الى جنبل بن وكيع وقال له كن خليفتى على من فى الحصن حتى أرجع اليك ان شاء الله تعالى فقال له جنبل وحق ما أعتقده من حبك ولا تلك ما كنت الا معك وبين يديك لعلى أن أحظى بالسعادة أو أغتنم الشهادة فشكره الامام على ذلك ثم أقام مكانه خالد بن الريان وتقدم أمير المؤمنين وقال لاصحابه أنا خارج أمامكم فى نفر قليل من قومنا لاننا اذا خرجنا معنا نخشى أن يفوتنا ما عزمنا عليه ويبعد عنا ما أملناه ويستيقظ القوم لنا فقالوا له ياسيدنا ومولانا افعل ما بدالك فانا لكلامك سامعون ولامرك طائعون ان شاء الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ فدعا الامام بناقد وجنبل والرغد وغيرهم من الابطال المعروفة بالشجاعة والقوة والبراعة فأقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وقالوا له اؤمرنا بما تريد فقال الامام يا ناقد ان أنت وصلت الى أخيك غنام فلا تأس عليه ولا تمد يدك اليه بسوء واثنى به أسيرا واياك ان تأخذك لومة لائم فى الدين فكن فيمن ذكرهم الله وأثنى عليهم لما أنهم عادوا فى الله آباءهم وأبناءهم وعشيرتهم فلما سمع ناقد ذلك تبسم وقال ياسيدى وحق ابن عمك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخى غناما أشد منى باسا وأقوى مراسا ولا أطيقه فى الحرب ولا أصده فى القتال والضرب ولكن أنا واثق بالله تعالى ومتوكل عليه فقال الامام يا ناقد قل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الامام حزم وسطه وجمع أذياله فى دائر منطقته وأمر أصحابه ان يترجلوا ويفعلوا كفعله وقال يا معاشر الناس اذا رأيتمونا قد ناشبنا القوم بالحرب فأتونا بخيلنا مسرعين ﴿قال الراوى﴾ فبينما الامام كذلك وهو يوصى أصحابه اذ سمع صهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافق الرماح وصياح الرجال عند ذلك وهم

وقد ارتجت بهم الارض من كثرتهم فقال الامام يا ناقد قد ظهر السرور والفرح فنظر اليه ناقد وهو متبسم ضاحك فقال يا سيدى هؤلاء الجيش قد ارتجت الارض لكثرتهم فقال له لا يهولنك ذلك فان الله تبارك وتعالى معنا لا يخفى عليه من أمرنا مثقال ذرة وهو معنا أينما كنا وهو القادر عليهم بقدرته ينصرنا عليهم ان شاء الله تعالى قال ناقد يا سيدى لا أفلح شانيك ولا خاب مواليك وخسر معاديك فشكره الامام وقال يا ناقد انى متشوق الى الضرب أشوق من الظمآن الى الماء البارد فنزل القوم وامتدوا بالوادى فملؤا الارض بالطول والعرض ونصبوا الخيام والمضارب وأحدقوا بصاحبهم غنام من كل جانب ومكان ﴿قال الراوى﴾ فلما استقر بغنام الجلوس ولم يستقبله أحد قال أين القداح بن واثلة فنودى به فأتى اليه ووقف بين يديه فقال له غنام يا قداح ما كان فيهم من يستقبلنى ويخرج الى قبل وصولى اليهم فقال له القداح وكان صاحب لسان لا صاحب ضرب ولا طعان يا سيدى ان خوف ابن أبى طالب قد تمكن فى قلوبهم فيخشوا من هيلة تقع بهم فبينما هو يخاطب القوم واذا بباب الحصن قد فتح وخرج الامام مسرعا ومعه قومه وقد تركوا باب الحصن مفتوحا وتقدم أمير المؤمنين وهو غير مكترث بهم الى أن اخترق عسكر غنام ووصل اليه فوجده جالسا ومن حوله أصحابه وأكابر قومه والقداح بازائه وغنام يحدثه فلما نظر القداح الى الامام وهو مقبل اصفر لونه واضطرب كونه وتغير وجهه وتأخر الى ورائه فبقى غنام يحدثه وهو يقول أتتكم الكتائب ووصلت اليكم المصائب من كل مكان وجانب من ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل الامام الى غنام ابن الملثم لم يمهله دون ان حسر عن لثامه وتقدم من مكانه وقال أنا صاحب العجائب أنا مبدى الغرائب أنا البحر الساكب أنا الاسد الطالب أنا هازم الجيوش الضوارب أنا الليث المحارب أنا فارس المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم أشهر سيفه وفعل أصحابه مثله وكبر الامام وكبرت أصحابه الذين معه وسمعهم الذين فى الحصن فكبروا وأطلقوا لهم الاعنة وقوموا الاسنة فلما نظر غنام ذلك اندهش وحار وذهل ونظر الى أمير المؤمنين وقد كاد يعلوه بالسيف فصرخ صراخا كبيرا منكرا فانكب عليه أصحابه من كل جانب ليمنعوا عنه الامام فلم يكبر ذلك على الامام دون أن

تقدم

تقدم الى رجل منهم يقال له مسارع بن جميع وكان كأنه قطعة جبل لطوله وعظمه فضربه الامام على عاتقه فطلع السيف يلمع من تحت ابطه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوى﴾ فتقدم القطاط بن جبير العائذى وقال له يا ابن أبى طالب كيف وصلت الى سيد السادات وفعلت به هذه الفعال أنت عدمت عقلك وأراد أن يضرب الامام رضى الله تعالى عنه فعطف عليه الامام عطفة هاشمية وهو ممتزج بالغضب كالاسد الضارى وقال له يا عدو الله أما عرفت ان ابن أبى طالب هو الموت الفاصل والبلاء النازل فهل لك أن تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يا ابن أبى طالب تخدعنى بالكلام وتسحرنى بسحرك قال له الامام أنا سحرى ذو الفقار الذى أعجل به لكم الويل والدمار ثم وثب عليه وضربه ضربة فاحتملها عدو الله على حجفته من فوق رأسه فوقعت تلك الضربة على الحجفة فقطعتها ونزل السيف على رأسه فخرج من بين فخذيه ﴿قال الراوى﴾ ثم تقدم الى الامام رضى الله تعالى عنه رجل يقال له حزام وكان من الابطال المشهورة ومن الشجعان المعدودة فبادر الى الامام رضى الله عنه ليضربه بسيفه ويأخذ منه ثار أصحابه فبادره الامام وضربه بالسيف فزق درعه ومرقت الضربة فرمت نافوخه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك تكاثرت القوم على الامام رضى الله عنه بجمعهم وهو غير مكترث بهم بل يضرب بسيفه يمينا وشمالا فيقطع بحسامه الدروع السائرة والبيض العادية ان ضرب طولا قد وان ضرب عرضا قطع وبعد ذلك جعل يدخل يده تحت الفرس ويرفعها فيقلب الجواد براكبه ويمسك الرجل بيده ويحذف به الآخر فيقتلهما فلما رأى القوم ذلك تنافروا يمينا وشمالا بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وكان لا يرى غير رؤس طائرة وأكاف سائرة ثم رجعوا بعد ذلك الى أماكنهم بعد أن ملك أعداء الله القداح بن وائلة ﴿قال الراوى﴾ فعظم ذلك على الامام رضى الله عنه فبينما القوم كذلك اذ خرج من عساكر المسلمين غلام أمرد رشيق القد مشرق الوجه متوشح بازار أحمر وبيده سيف مشهور فاقبل حتى وصل الى جيش غنام وحمل عليهم فتأملوه فاذا هى الرغدا بنت الخطاف فادركها الامام وجازاها خيرا وأمرها بأن ترجع الى مكانها وقال لها نحن نكفيك هذا الأمر بأنفسنا ثم أقبل ناقد ابن الملك الى الامام رضى الله عنه وقال يا ابن عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم انى عزمت على كشف القناع وبسط الذراع وأريد أن أتقدم الى أخى بالاعذار والانذار فعسى أن يصلح الله شأنه وشأن من معه فقال الامام لا أمنعك من ذلك أخرج على بركة الله تعالى ورسوله وحسن توفيقه ﴿قال الراوى﴾ فتقدم ناقد الى أخيه ونادى برفيع صوته يا أخى قد ظهر الحق لطالبه وخسر صاحب الباطل فى مذاهبه وقد ذهبت دولة الاصنام وجاءت دولة الاسلام وعبادة الملك العلام وظهر دين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم نادى أخاه غناما وقال له يا أخى تقدم الى حتى أدلك على طريق تقربك الى الله وتدنيك ومن النار والعذاب تقيك والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى يا أخى أسلم تسلم وتكن من أصحاب الامام المكرم وابن عمه محمد المعظم صلى الله عليه وسلم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع غنام ذلك من أخيه ناقد ثار بالغضب وأخذه الغيظ والحنق فقال لقومه هذا أخى الضال المغوى الذى أغضب أباه وأمه المنيع وقطع رحمه وها أنا خارج اليه وملق بنفسى عليه فاذا رأيتمونى قد وصلت اليه فسارعوا نحوى فقالوا له سمعا وطاعة ثم خرج من قبل العسكر وهو ينشد ويقول شعرا

لبيك أنت أخ ان كنت منقذنى * من الهلاك ومنجينى من النار
لبيك يا ابن أبى ان كنت مسعدنى * فالسعد ان ألجى من ظلمة العار
بادر الى وخلص مهجتى ودمى * من المهالك واسمع بث أسرارى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ غنام من شعره أتى نحو أخيه بغير عدة ولا سلاح فلما رأى ناقد أخاه وهو على تلك الحالة لم ينكر شيأ من أمره فدنا منه ليعانقه ويستعطفه فلم يمهله غنام دون أن دكس عليه بجواده ثم داخله وعانقه وضرب بيده على أطواقه وجذبه اليه فاقتلعه من سرجه فلما رأى المشركون ذلك من غنام وقد اقتلع أخاه ناقدا من بحر سرجه أتوا اليه مسرعين متبادرين فرحين مسرورين حيث أخذ ناقد من المسلمين فلما أخذه غنام أوثقه كتافا وسلمه الى أصحابه فمضوا به الى عسكرهم فلما رأى الامام ذلك من المشركين لم يمهلهم دون أن حمل عليهم وحمل معه أصحابه ومالوا على المشركين فحمل غنام وحمل معه أصحابه ومنعوا الامام وأصحابه من الوصول الى القداح وناقد ولم يزالوا كذلك الى أن ذهب النهار وأقبل الليل فافترق القوم ورجع كل

فريق الى اهله وقد حزن المسلمون لفقد ناقد ابن المالك والقداح حزنا شديدا ورجع الامام وهو يفور بالغضب وقال والله لا آكلت طعاما فى ليلتى حتى أنظر ما يكون من أمر صاحبي ناقد والقداح فلا صبر لى عنهما ﴿قال الراوى﴾ ثم أمر الناس باضرام النار وزيادة الحرس وجعل الامام يطوف من حول عسكره ويحرسهم بنفسه وهو قلقان على ناقد والقداح فهذا ما كان من أمر أمير المؤمنين ﴿وأما﴾ ما كان من أمر عدو الله غنام فانه لما رجع من حرب الامام رضي الله عنه أمر باحضار ناقد فأتوا به وأوقفوه بين يديه فقال يا ناقد ما الذى تفعل مع هذا الذى دخلت فى دينه وما الذى تفعلت من ابن أبي طالب وانى أراه أنه ساقك الى المهالك فوحق رأسى لا أترك أحدا يتولى عذابك الا المنيع وجنده وها أنا سائر بك اليهم فقل لمحمد يخلصك منهم فانهم يريدون هلاكك فقال ناقد تبا للمنيع فوحق رب الكعبة لا يرجع ابن أبي طالب عن المنيع حتى يحرقه فى ناره انما يعبد الاله العلى العظيم الذى خلق سبع سموات طباقا ورفعها بغير عمد ترونها وخلق سبع أرضين وخلق الخلق جميعا وقسم بينهم الأرزاق له أعبد ولوجهه أسجد وأنت وان غدرتنى فلى من يأخذ بثارى ويكشف عنى ذلى وعارى ﴿قال الراوى﴾ فقال له غنام ومن الذى يأخذ بثارك ويكشف عن عارك ونهره وأظهر عليه غيظه فقال له ناقد وما تعرفه قال لا قال أنا أعرفك به وأنت أعرف الناس به فهو ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الغيث الساكب والنجم الثاقب القرم الغالب الصنديد المحارب الفارس المضارب الأسد الطالب فارس المشارق والمغارب المذكور عند المطامع والمواهب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبي طالب فلما سمع ذلك غنام فار بالغيظ من قول أخيه ثم أقبل على أصحابه وقال لهم يا قوم ان الحرب دول ومجال يوم لك ويوم عليك وانى أخشى من ابن أبي طالب ان يصل الى أخى هذا ويخلصه منى فأيكم يمضى بأخى ناقد الى الديار مع هذا اللئيم الغدار القداح بن واثلة ويسلمها الى أبى وأبى يقدمها الى الاله المنيع فيفعل بهما ما يشاء ويختار فلم يرد أحد من قومه بجواب وكانهم ألجموا بلجام عن الخطاب وذلك كان حياء من ناقد وخوفا من الامام على بن أبي طالب ان يصادفهم فى الطريق ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر ذلك غنام قال يا قوم ان كنتم أبيتم أن توصلوا هذين الغدارين الى ملككم والى الحكم المنيع فانظروا من

يوصلهم الى حصن المشرق لنأمن عليهم من أحد الناظر لكن من القوم أحد يرد عليه جوابا فقال غنام يا قوم مالى أراكم قد امتلأت قلوبكم فزعا وجزعا من ابن أبى طالب أنا خارلكل ملمة تلمها فانظروا لانفسكم وتدبروا أمركم واحرسوا عسكركم فانى راجع اليكم قبل الصباح ثم ان غناما دعا بابن عمه شيبان بن معاوية وكان كبيرا فى القوم وأفرسهم وأشجعهم فلما حضر بين يديه قال له يا ابن العم كن خليفتى على القوم حتى أعود اليكم ثم حمل ناقدا الشاعر على جواده وقيده من تحت بطنه وحمل القداح على فرسه وقيده من تحت بطنها كذلك ثم أخذ من القوم عشرة رجال جيادا أبطالا من شجعان القوم وجعلهم حول ناقد والقداح وخرج بهما من العسكر فى جوف الليل وأراد أن يوصلهم الى الحصن المشرق هذا ما كان من حديث غنام ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه فبينما هو يحرس أصحابه ويرجع الى ناحية المشركين واذا هو نظر الى خيل خرجت من عسكر المشركين فظن انهم رسل من غنام الى أبيه المضام يستنجده فتركهم وحاد فى الطريق واستنهض جواده الى أن انقطع عن حس القوم وقد بعد عنهم وأتى الى موضع هناك بين جبلين على هيئة المضيق وليس لأولئك القوم طريق غيره فوقف الامام على رضى الله عنه وأخفى نفسه وقد جرد سيفه وجعل ينتظر قدوم القوم اليه وهو لا يعلم ان الله تبارك وتعالى قد ساق له كل ما يطلبه من خلاص أصحابه ناقد والقداح وقتل عدو الله غنام ابن الملك المضام ﴿قال الراوى﴾ فبينما الامام رضى الله عنه شاخص اذ سمع هفيف الخيل وسمع مع ذلك صوت غنام وكان قد أثبت معرفته فلما سمع حسه اهتز فرحا وسمعه يقول لأخيه يا ناقد أما زعمت ان لك صاحبا يخلصك ومن الشدائد ينقذك فمالى أراه متباعدا عنك والهالك سبيلك وناقد يقول يا ويلك ان لى صاحبين صاحب فى السماء يرانى وهو الكبير المتعال وصاحب فى الارض لو علم مكانى لاتانى وخلصنى من يديك وسمع القداح يقول لا أخذ الله من أوقعنى وبالخلاص وعدنى وضمن لى السلامة من كل شئ يؤلمنى وما زالوا كذلك الى أن قربوا من الامام وغنام فى أوائلهم فوثب الامام رضى الله عنه ونبه وصل بها الى عدو الله غنام وقال له أقلل من الكلام فها أنا الاسد الضرغام أنا البطل المقدام أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فسمع القداح صوته فصاح يا سيدى سألتك بالله الا ما خلصتنى قبل صاحبنا ناقد فقد

علمت ما نزل بي من أجلك وكان الامام لما وثب الى عدو الله غنام ووصل اليه مد يده وقبض على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وقال له قد خلص أخاك صاحبه الاصغر بأمر سيده الاكبر فمن ينقذك مني يا ويلك وهم ان يعلوه بالسيف فقال يا ابن أبي طالب ابق علي كما أبقيت على صاحبيك وأحسن الي بكرمك ﴿قال الراوي﴾ فتقدم الامام الى ناقد وحله من وثاقه وأمره ان يشد أخاه غناما شدا وثيقا وتقدم الى القداح وحله والعشرة أبطال الذين أتوا معه ينظرون الى فعل الامام فما جسر أحد منهم ان يتكلم ولم يتحرك فخمد حسهم وسكنت حركاتهم فلم يستطيعوا ان يتحركوا من أماكنهم فقال لهم الامام رضي الله عنه من قال منكم لا اله الا الله محمد رسول الله فلا أمد يدي اليه الا بالخير ومن لم يقلها مددت يدي اليه وقطعت رأسه بهذا السيف فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم أقبل رضي الله عنه الى غنام وقال له هل لك في كلمة تقولها تمحو بها ما سلف من ذنوبك فقال غنام يا ابن أبي طالب وما هي الكلمة التي أقولها فتمحى بها ذنوبي فقال له الامام تقول لا اله الا الله محمد رسول الله تقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمي بالرسالة فقال غنام يا ابن أبي طالب هذا شيء لا أفعله أبدا وما أنا بتارك دين آبائي وأجدادي ولو قطعت أربا أربا واعلم أنك لم تكن من رجالي وانما خادعتني وأخذتني غصبا وغدرتني ولو كنت لك في الميدان لبعد عليك ما أملته ولا كنت ملكت قيادي ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك وثب الامام فحل وثاقه وهو يتململ من شدة غيظه ورمى اليه سيفه وحجفته واشتد الامام غضبا وقال لغنام يا عدو الله وعدو نفسه خذ سيفك وحجفتك واشتد وامنع عن نفسك فقال غنام يا ابن أبي طالب لقد أنصفت في فعالك وأصلحت في صنعك دونك يا ابن أبي طالب والقتال والمبادرة الى النزال فأنا أشجع الشجعان أتحسبني كغيري من الرجال يا ابن أبي طالب لاذيقنك الخذلان وأرمينك بالوبال فلما سمع ذلك الامام غضب غضبا شديدا وقال يا عدو الله لقد تجارأت في قولك فاعتزل الى ناحية عن أخيك لئلا يهوله ما يحل بك يا عدو الله وعدو نفسه ثم ان الامام جذب نفسه وأخذ غناما واعتزل عن القوم ثم غشيه كغشية البحر اذا ثار بلجته وفاجأه مفاجأة الاسد لفريسته وضربه بالسيف ضربة هاشمية علوية فتلقاها عدو الله واستتر بحجفته على رأسه فنزل السيف على

الدرقة فقطعها ونزل على رأسه ففلقها ونزل الى صدره والى انياط قلبه حتى خرج من بين فخذيه وتجندل طريحا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوى﴾ فكبر الامام رضى الله عنه وكبر معه أصحابه ثم ان الامام أخذ ما كان عليه ودفعه الى أخيه ناقد وسر الامام بقتل عدو الله فقال ناقد يا أبا الحسن ما فعلت بعدو الله غنام قال يا ناقد انه صار الى النار وبئس القرار فلا تأسف عليه فانه ليس بأخيك ثم أقبل الامام على القداح وقال له يا قداح كيف رأيت نفسك قال يا أبا الحسن خلصتني بعد اليأس من الحياة والاشراف على الموت قال له الامام رضى الله عنه يا قداح ان الله قد أنقذك من الموت فان شئت أن تقيم معنا وان شئت فارجع الى أهلك وديارك مصاحبا بالسلامة فقال القداح يا أبا الحسن وكيف أمضى الى أهلى وديارى وقد أنالنى الله ما لم ينله أحد من قومك فوالله لا أمضى حتى آخذ من الغنائم ما يسرنى وأسد به فقرى وأوسع منه على أهلى وينشرح به صدرى ﴿قال الراوى﴾ فتبسم الامام رضى الله عنه ضاحكا من قوله وقال له حبا لك وكرامة يا قداح لأعطينك من الغنائم ما يسر قلبك ويغنى فقرك وترجع به مجبورا الى اهلك ان شاء الله تعالى فقال القداح يا أبا الحسن هذا من بعض فضلك وكرمك فعند ذلك عطف الامام رضى الله عنه الى عسكره وهو مسرور باسلام القوم وخلاص أصحابه وقتل عدو الله غنام فلما أتوا الى عسكرهم فى ساعة واحدة وقد مضى من الليل شطره وقد كان أصحاب الامام تفقدوه فى الليل فلم يجدوه فكبر ذلك عليهم فلما سمع القوم صوته تبادروا اليه فرحين به فلما وصلوا اليه ونظروا الى ناقد والقداح والعشرة الذين أسلموا من جماعة غنام مع الامام بهتوا واندهشوا وشخصوا بأبصارهم نحو الامام وقالوا له يا أبا الحسن ما هؤلاء القوم فقال لهم هؤلاء عصابة مالت الى الاسلام ورغبت فى الايمان ففرح القوم بذلك وباتوا بقية ليلتهم ﴿قال الراوى﴾ فلما برق ضياء الفجر أذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة ناداهم يا قوم خذوا آلة حربكم واستعدوا للقتال رحمكم الله فأخذ كل منهم آلة حربه وأتوا الى أن وقفوا بين يدى أمير المؤمنين رضى الله عنه فرتبهم الامام كتائب ومواكب وقال كونوا آمنين وكان المشركون قد أبطأ عليهم خبر صاحبهم غنام فقلقوا الفقده قلقا شديدا فلما نظروا الى المسلمين وتهيئتهم للقتال خافوا خوفا شديدا فلما رتب الامام رضى الله عنه أصحابه وعزم على القتال نادى

برفيع صوته معاشر الاراذل الى كم تدفعوا الحق بباطلكم والحق أغلب وها أنا أشفق عليكم منكم على أنفسكم واعلموا أن الله سبحانه وتعالى أنقذ أصحابنا ناقدا والقداح وقتل صاحبكم غنام وأورثه بحسامى موارد الحمام وقد أسلم الذين كانوا معه فهل لكم أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا تصديق قولى لكم ثم نادى القداح وناقدا فأجابوه وأسرعوا اليه فقال لهم الامام نحن قوم لا نكذب ولا يليق بنا الكذب فما أنتم قائلون ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى القوم ناقدا والقداح والعشرة أبطال الذين خرجوا معهم تحققوا الامر وصدقوا الامام فى قوله وأتوا نحوه قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وكانوا عشرة آلاف فقتل منهم فى المعركة ثلاثة آلاف وبقى السبعة آلاف الذين أتوا نحو الامام وأسلموا وحسن اسلامهم وفرح الامام بذلك فرحا شديدا حيث صفا له ذلك العسكر ولم يبق فيهم معاند واجتمع مع الامام رضى الله عنه جيشا عظيما يزيد عن العشرة آلاف بعد شرو جه من المدينة منفردا وحده فبعض الجيوش من أهل الحصون والباقى من جيش الملك الهضام واختلط القوم بعضهم ببعض فأخذهم الامام وقرب بهم الى الحصن فخرج أهل الحصن اليهم واستقبلوا الامام وجيشه وأسلموا على يديه وأكرموه غاية الاكرام فأقام عندهم بقية يومه فى خير وسعة وقد كثر الله جمعه وأعلى نصرته ورفع قدره وجيشه من خارج الحصن لكثرتهم وقد ازداد فرحهم لكثرة جمعهم وانقاذهم من النار ثم ان الامام بعث طائفة من ليلته وأمر عليهم جنبل بن وكيع وأرسله وأمره أن لا يعود اليه الا بخبر صحيح فسار جنبل من عند الامام فما عاد الا وقت الصباح فلما أقبل على الامام سلم كل منهم على صاحبه والمسلمون كذلك ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله عنه جمع عسكره وجميع قومه وقال لهم معاشر المسلمين ان الله تبارك وتعالى قد أنقذكم من الكفر وظلامه ومن عليكم بالاسلام وأكرمكم بكرامة الايمان وبعد فانى أريد أن ألقى بكم جماعته عشائركم وقرائبكم وأصحابكم واخوانكم ألا وان الله باعد ما بينكم وبينهم وانى أخشى أن يداخلكم ما يداخل القربى على قرائبهم وهذا عسكر قد اجتمع لصاحبكم فيه خلق كثير من سائر العربان ثم قال يا جنبل ما وراءك قال كل خير وسلامة يا أمير المؤمنين الا أن الملك الهضام خرج الينا بجميع قومه وعسكره وهم مائة ألف فارس ما منهم الا كل بطل مداعس غير ما معهم من الصعاليك والعبيد ومن سائر قبائل

العريان فقال له الامام يا جنبل لو أنه يكون معه أهل الارض جميعا ما كبرعلى لقاؤهم ولقد كنت معولا على لقائهم وحدى فكيف أخشاهم اليوم وأنا معى هذا الجيش والله المستعان وعليه الاتكال وهو حسبي ونعم الوكيل فلابد للخيل أن تخوض فى الدماء ولا بد للسيف أن يتثلم من شدة الضرب ولا بد للرماح أن تتقصف من شدة اشتباكها ويقضي الله أمرا كان مفعولا وذلك مما ألقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا أما أنتم قائلون (قال الراوى) فلما سمع ذلك ناقد وثب الى الامام رضى الله عنه وقال يا أبا الحسن أما أنا فوالله الذى بعث ابن عمك بالحق بشيرا ونذيرا وعرفنى به وهدانى الى دينه ما أعرف أعز على من اثنين أحدهما والدى والآخر أخى فوالله ان مكننى الله منهما لاضربن عنقهما وقد أظهرت لك البيان وقد لاقيت أخى غنام فان لاقيت أحدا منهما لاضربن عنقه وكل من كان مناله فى القوم خليل وحبيب ونسيب وأخ وصديق ورفيق فقد تركناه لله عز وجل وحاش الله أن يؤمن بالله ورسوله أحد ثم بعد ذلك يتبع النفاق وانه ان شاء الله تعالى ستنظر ضربنا بالحسام وصدمنا فى معركة الاقوام ولتعلم اننا عند القتال سيفك القاتل القاطع ودرعك المانع ثم جلس ناقد وقامت من بعده الرغدا بنت الخطاف وكانت فصيحة اللسان قوية الجنان وقالت يا ابن السادات الكرام وابن عم محمد خير الانام أنت مالك رقابنا وأولى بأنفسنا منا فلك الاجلال والاكرام يا ابن عم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام اعلم أن لنا فى القوم اخوة فى الجاهلية عبدة الاصنام فقد أزالها الله بحمده وصاروا اخوة الدين والاسلام ولم نزل معك وبين يديك نقاتل كل حبيب وقريب عسى الله أن يسامحنا فيما سلف من ذنوبنا وخطايانا فالق بنا ما شئت وامض بنا الى ما أردت فعلك والله من لم يبال بالرجال ولا يفزع من ملاقاة الابطال ولو انك سلكت بنا الجبال العالية والاطواد السامية لكنا معك وبين يديك نقاتل فى مرضاة الله ورسوله ولا نبالى من الموت اذا نزل بساحتنا فى مرضاة ربنا عز وجل ﴿قال الراوى﴾ فسر الامام لذلك سرورا عظيما وقال على الاصول تفرع الفصول ومن أشبه أباه فما ظلم يا رغدا فلو أجاب والدك الى الاسلام لكان ركنا عظيما من أركان المسلمين ولكن لم تسبق له سابقة السعادة ولو سبقت له السعادة لنطق بالشهادة فقالت له يا أبا الحسن ان الله سبحانه وتعالى قد حرمه الخير وأبعده من رحمته وجنته وجعله من أهل ناره فنسأل الله تعالى

السلامة فتواثبت الرجال والابطال الى الامام رضي الله عنه وقالوا يا ابن عم رسول الله سر بنا نلق عدو الله في المجال فما يكبر علينا قتاله ولا نزاله ولو أنه في عدد أهل الارض جميعا فلما سمع ذلك الامام فرح فرحا عظيما وسر سرورا وابتهاجا وجزاهم خيرا ثم انتخب من القوم رجالا من خيارهم وأمرهم على الحصن وأمرهم بحفظ ما فيه وأوصاه بأن يحفظ رعيته وأقام عنده مائة رجل في الحصن ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام رضي الله عنه أمر بالرحيل فتواثبت الرجال اليه كالاسود الكاسرة أو كالشواهين الطائرة أو كالقشاعم الضاربة وأحدقوا بالامام من كل جانب ومكان ثم نادى الامام ناقدا وقال له يا ناقد أنت أعرف بالطريق وهي بلادك و بلاد أبيك وجدك وأنت أعرف بها من غيرك فسر امام القوم فقال ناقد حبا وكرامة يا أمير المؤمنين ثم تقدم ناقد وبقي الامام وجنبل بن وكيع والرغدا بنت الخطاف وأكابر قومه محدقون به وقد تأخر الى وراء القوم وهم سائرون في أثر ناقد ابن الملاث فما زال القوم سائرين وحميت الشمس واشتد الحر وناقد في أول القوم والامام رضي الله عنه وجنبل بن وكيع والرغدا من وراء القوم متباعدين عنه فبينما هم كذلك اذ نظر ناقد فارسا مبادرا من وراء ربوة كأنه طالب أو مطلوب وهو شاك في سلاحه فنظر الفارس فرأى ناقدا وهو أول القوم فانتفض هاربا راجعا من حيث جاء ﴿قال الراوي﴾ فلما رآه ناقد انتفض عليه كأنه الاسد اذا خاف من فريسته وترك الناس وقوفا في انتظاره فلحق بهم الامام فقال لهم يا قوم ما الذي أوقفكم عن المسير فأخبروه بخبر ناقد فقال الامام ما كان يجب أن يهجم عليه وحده فلا يأمن أن يكون طليعة لقوم كامنين فيقع فيهم ثم تقدم الامام امام القوم وجعل يسير بهم على مهل وقد قلق لابطاء ناقد عنه فما كانت الا ساعة واذا هم بناقد قد أقبل والفارس معه وهو يقوده بعد أن أوثقه كتافا وشده من فوق فرسه بالقد ولم يزل سائرا به الى أن وصل الى الامام رضي الله عنه فلما نظره الامام تبسم وقال زادك الله يا ناقد خيرا فهل أنت تعرف هذا الفارس قال نعم يا أبا الحسن انه من أكابر قومنا ﴿قال الراوي﴾ فأقبل الامام رضي الله عنه الى ذلك الفارس وقال له يا أخا العرب ما اسمك قال اسمي مضارب بن عراف الباهلي فقال له يا مضارب الصدق أوفى سبيل فاكشف لنا عن حقيقة أمرك ومنتهى خبرك ولا تخادعنا فنحن جرثومة الخداع فقال مضارب يا فتى ان فراسة العاقل لا تخيب وأنا أتيقن فيك انك صاحب الجيش فتى قريش عزق

الكتائب ومظهر العجائب هازم المواكب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له أنا والله من ذكرت فقال مضارب لله درك يا أبا الحسن انه ما وصف لى شئ من صفات العرب الا وقد حدثته فيك وأنت والله أعظم مما وصفوا وأكثر مما ذكروا وان عندى أسرارا وأخبارا أشتهى ان تظركـ أشهى الى قلبى وخاطرى من الماء للظمآن ولكن يا أبا الحسن أعطنى الأمان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام رضى الله عنه من مضارب ذلك قال له لك الامان ان قلت الحق واستعملت الصدق فقل ما أنت له قائل فقال مضارب يا أبا الحسن ان الملك الهضام لما بعث ولده غناما فى العشرة آلاف فارس ظن أن ولده يأتى بك أسيرا فأقام يومه ذلك فلما جن الليل واختلط الظلام وأوى الى فراشه رأى فى منامه رؤيا فقد انتبه منها مرعوبا فزعا فلما أصبح الصباح بعث الى حاشيته وكبراء مملكته فحضروا بين يديه فقال لهم يا قوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا أرعبتنى وارتعدت منها فرائصى وأوجعنى منها قلبى وخاطرى فقال له قومه أيها الملك العظيم انعم المنيع لك الصباح بقوته وحفظك فى كل غدو ورواح ما رأيت فى منامك فقال انى رأيت ولدى غناما جالسا بين يدى وأنا أحدثه فبينما أنا كذلك اذا رأيت طيرا عظيما قد انقض على وله مخاليب كمخاليب السباع وجناحاه كأجنحة النسور وله منقار طويل زائد فى الطول وكأنى أخذت ولدى وضممته الى صدرى فهجم عليه ذلك الطير وهو فى حجرى فاختطفه بمخاليبه ولم أقدر على خلاصه منه وكأنى أنظر اليه وهو طائر به بين السماء والارض حتى غاب عن عينى ولم أره بعدها أبدا وقد خشيت على ولدى أن يكون أصابه شئ من ابن أبى طالب فلا أراه أبدا فما الذى ترونه فى ذلك فلما سمع القوم منه ذلك قالوا له أيها الملك انه داخلك وسواس أحلام لاجل تعلقك بولدك فان أردت أن تسير الى الملك المنيع وتستخبره عن أمر ولدك فانه يخبرك بذلك كله ﴿قال الراوى﴾ فقال لهم الملك أما ما ذكرتم من خبر الاله فانه أوعدنى بالنصر على ابن أبى طالب فقالوا له كن واثقا بما أخبرك به الملك فقال الملك لا بد من المسير اليه واقصص رؤيتى عليه فقام من وقته وساعته وما زال سائرا الى أن دخل على الصنم فخر الملك ومن معه ساجدين ثم رفعوا رؤسهم وقام الملك قائما على قدميه وشخص ببصره الى الصنم وتمادى اليه بيديه وجعل يقص عليه ما رآه فى منامه ثم قال الهى وسيدى ومولاى ما عندك فى هذه الرؤيا من الجواب فقد كدر هذا المنام الذى قصصته عليك على عيشى

وأوهج قلبي فأجابه الصنم بصوت مزعج لم يسمع أشنع منه وهو ينشد ويقول شعرا

ذهب الصابئون من أصحابي * بفنائي وسارعوا الذهاب
ما بقيتم ترونه بعد هذا * لا ولم يأت من طريق الاهاب
أين منجاهم من الضيغم القرم * مبيد العدا بسوط العذاب
هو خير منسب وزكى * قد علا فخره بذا الانتساب

(قال الراوي) فلما سمع الملك والقوم من صنمهم هذا تنافروا عنه وخرج الملك وهو زائد الغضب على صنمه حين سمع منه ذلك فأنكر ذلك غاية الانكار ثم قال لا شك انه عدو من أعداء الاله تكلم من كراهته على لسانه ثم انه أمر بتجهيز الجيوش وأرسل الى قبائل العرب وجمع جميع قومه وقد عزم على المسير بنفسه اليك وهو منتظر قدوم الجيوش اليه وهم في تكاثر من العدد فلما زاد به القلق جهز جماعة وسيرهم اليك وهم أربعة آلاف فارس من كل مدرع لابس صناديد عوابس من الابطال المشهورة والشجعان المذكورة وأمر عليهم رجلا يقال له جويرثة بن أسد الباهلي وهو فارس مذكور وبطل مشهور وأمره بالسرعة ليأخذ خبر ولده غنام فلما وصلوا الى الحصن المشرف وعلموا بسيرك اليهم كمنوا لك في وادي الظباء بعد أن تفرقوا أربع فرق كل فرقة منهم ألف فارس وقد أمرهم الملك انك اذا صرت بينهم يقبضون عليك بأيديهم وان الوصية قد تقدمت الى صاحب الحصن المشرف خالد بن بسطام الملقب بهجام أن ينجدهم ان هم قد عجزوا عنك وهجام هذا فارس لا يرام كثير الشر والانتقام لا تهوله الابطال ولا يكترث بالرجال والقوم في مكان من الوادي ومضايقه والامير جويرثة بن أسد أمير الجمع وهو في الجهة التي قبالك من جهة عطفة الوادي وانه دعاني وأمرني أن آتي اليه بخبرك لما يعلم من سرعتي وامضاء أمري وقال لي سر على عجل وأشرف على ابن أبي طالب وانظر كم معه من القوم وأين هو وارجع الي مسرعا فخرجت في أمره مجدا ولم يعلم القوم انك قد تكامل معك هذا الجيش العظيم والعسكر الجسيم فلما عدلت من جانب الوادي أسرع الى ناقدو اقتنصني ودهاني وها أنا بين يديك فاصنع بي ما شئت فقد أخبرتك بالامر الصحيح على حقيقته وأنا أقول قبل أن تصنع بي شيأ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (قال الراوي) فلما سمع الامام اسلامه سر سرورا عظيما ثم أقبل الامام على أصحابه وقال لهم معاشر

الناس ما تقولون فيما قال أخوكم مضارب فقالوا يا أبا الحسن أنت الآمر ونحن المأمورون وأنت القائل ونحن السامعون ومنك القول ومنا الاجابة والسمع والطاعة لله ورسوله ثم لك يا أمير المؤمنين فجازاهم الامام خيرا ثم التفت الى ناقد وقال له يا ناقد أتعرف هاهنا منفذا أو مخرجا نخرج منه وندور من وراء القوم حتى نخلي بينهم وبين الحصن ونترك له مناجماعتهم هنا يلاقونا عليهم وندهمهم فى مكامنهم فقال ناقد يا أبا الحسن ان الطريق سالكة الى الوادى يمينا وشمالا فان شئت فاعزم فما من قومك الا ويعرف البلاد ومسالكها فرقنا على المكان ونحن ندهمهم من سائر الجهات *(قال الراوى)* فجازاهم الامام خيرا ثم أفرد مع ناقد ألف فارس وقال له خذ فى عرض البرية الى أن تحاذى القوم من جهة الحصن واعطف على الجادة اليهم فانهم اذا نظروك وقد أتيت اليهم من جهة الحصن فيظنوا انها نجدة من عند صاحبهم الملك هجام واذا قربت منهم فاحمل عليهم بمن معك ومكن السيف فيهم حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وها نحن سائرون من بين أيديهم واقرن بهذه الابطال فسار ناقد بالالف فارس فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول شعرا

لم يقصد الراكب للراكب * ولا الى خل ولا صاحب

لكن قصدت اليوم عقد اللوا * من الامام على بن أبى طالب

يا عروة الوثقى وشمس الضحى * لا ننثنى عن حبك الواجب

(قال الراوى) فلما بعد ناقد بمن معه دعا الامام بجنبل بن وكيع وأفرد له ألف فارس وقال له يا جنبل خذ أنت بمن معك يمين الوادى الى أن تأتى الى ميامن القوم فسار جنبل كما أمره الامام رضى الله تعالى عنه فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول شعرا

أسير الى العداة ولا أبالى * بعون الله ندفع للخطوب

اقد رؤسهم بالسيف قدا * أروم بعاصنعت رضا الحبيب

وأرضا حيدر الهادى امامى * أميرى الهاشمى الفطن اللبيب

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره جد فى المسير ثم دعا الامام بالرغدا وأفرد لها ألف فارس وأمرها عليهم وقال لها جدى بهم عن يسار الوادى الى أن تأتى مكمن القوم فقالت لك السمع والطاعة يا أمير المؤمنين فسارت وأنشدت وجعلت تقول شعرا

أسير على اسم الله ربى واثق * لارجو بهذا العفو يوم المعاظم

الى

الى شر أقوام لنشفى غليلنا * ونروى الفلا من دمهم والمعاصم
وانى أنا الرغداء من نسل فارس * تقول به الاقران عند التزاحم
فهذا أمير المؤمنين يقودنا * لكل جهول مسمع القتل ظالم

﴿قال الراوى﴾ فلما سارت الرغداء بمن معها سار الامام بمن معه فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول شعرا

سيروا بنا يا معشر الاصحاب * وفلقوا الهام مع الرقاب
فأنا على لست بالكذاب * معتصم بالواحد الوهاب
صهر النبي الصادق الاواب * تشهد لى الجهات بالاعراب

﴿قال الراوى﴾ وتقدم الامام وسار بالقوم وهو شاهر سيفه وأصحابه محدقون به ولم يزالوا سائرين الى أن انحدر من الوادى الى بطنه فوجد القوم جلوسا فى أماكنهم فلما نظروا الى أمير المؤمنين وأصحابه قال جويرثة أما وحق المسيح ان القوم قد علموا بمكاننا ولا شك انهم ظفروا بصاحبنا وأرادوا قتله فكشف لهم عن حالنا وجملة أمورنا ولكن أمهلوه الى أن يجاوزنا واخرجوا عليهم ويأتى قومكم من جهة الحصن فيكونوا فى وسطكم وتدور عليهم بالسيف حتى نفرغهم ﴿قال الراوى﴾ فبينما القوم كذلك اذ أشرف ناقد بمن معه من جهة الحصن المشرف وقد ثار الغبار من حوافر الخيل ففرح المشركون بذلك وظنوا انهم نجدة لهم من الحصن فبينما هم كذلك وهم ينتظرون وصولهم اليهم اذ كبر ناقد وأصحابه معه ثم حمل عليهم وقد انحدرت الرغداء بمن معها فحملت وحمل قومها معها ونادوا بأعلى أصواتهم وأتى الامام وجنبل واحتوشوا بالقوم بجمعهم فعند ذلك علم المشركون انهم قد مكروا بهم وان أصحاب الامام قد دهموهم فى أماكنهم فحمل عليهم أصحاب الامام حملة عظيمة وتراشقوا بالنبال وتطاعنوا بالرماح وتصافحوا بالصفاح وفلقوا الهامات وانهشمت العظام وكشف الامام رضى الله تعالى عنه رأسه فى معمعة الحرب ونادى برفيع صوته معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم وناظر اليكم والملائكة تتخلل صفوفكم فكلوا أعداءكم أكلا وازجروهم زجرا وتقاتل الناس فى ذلك اليوم قتالا شديدا قال مبارك رأيت فى يوم وادى الظلماء أنا بازاء أمير المؤمنين فارسا عظيما وهو متوشح بعمامة خضراء وقد عقد أطرافها من ورائه وتلثم بباقيها وهو يخترق معمعة الحرب ويحمل

الطعن والضرب فينكس الشجعان ويقتل الفرسان ولم يتوجه الى جهة من الجهات الا وهو يخضب بنانه بالدماء فبينما هو كذلك اذ انحدر عليه عشرون فارسا فاعترك معهم فما قدروا عليه ولا وصل اليه منهم أذية فقلت في نفسي ليت شعري من يكون هذا الفارس الشديد والبطل الصنديد والقرم العنيد ثم أخذت في أثره وأنا أظن أنه الامام رضي الله عنه فسمعته ينادي ويقول دواعي الموت تهتفكم يا أعداء الله من أطراف لوامع الرماح وصواعق السلكات تسوقكم الى مواقع الصفاح فاليوم طلب الكفاح ولا زوال ولا براح ﴿قال الراوي﴾ فلما تحققت أمرها عرفت أنها الرغدا بنت الخطاف فقلت لله درك يا رغدا يا سيدة نساء قومك لقد ظهر لي منك ضروب الأهوال فلا ترك الله لك هذه الفعال ثم عطفت واذا أنا بفارس يضرب يمينا وشمالا واذا تشبكت عليه الرماح براها كما يبري الاقلام فتأملته فاذا هو أمير المؤمنين رضي الله عنه فلم تكن الا هنيهة وقد أخذ الله المشركين وقذف في قلوبهم الرعب من أمير المؤمنين وتزايد عليهم الأمر فولوا منهزمين فلما رأى جويرثة ذلك علم أنه لا طاقة له بالامام وأصحابه وكان الامام رضي الله عنه لم يصادفه في الحرب في ذلك اليوم ولا وقع به فخرج جويرثة من معمعة الحرب ومن معه من خاصة قومه وكان تحته جواد أشقر من عتاق الخيل فاطلق عنانه وولى هاربا منهزما وتبعه أصحابه فاتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف من موضع المعركة الى الحصن فلما نظر أهل الحصن الى هزيمتهم أمر هجام بفتح باب الحصن حتى دخلوا فيه وأوصاهم بحفظ بابه وأن يكونوا عنده للعداة من الابطال ﴿قال الراوي﴾ ثم نزل هجام شاهرا سيفه وهو كأنه البعير لعظم خلقته فبرك جاثما على الباب والمنهزمون داخلون الى أن أقبل جويرثة وقد قلق جواده من شدة ركضه فلما رآه هجام قال يا جويرثة ما وراءك فقال له دعني من سؤالك عن عطب الموت وهولي في الطلب ثم دخل الحصن وهو لا يصدق بنجاة نفسه ثم ان جماعة من أصحاب الامام رضي الله عنه تقدموا وفيهم ناقد ابن الملك وجنيل بن وكيع والرغدا بنت الخطاف وحباب بن كانع وورقة بن شهيل فحالوا بين بقية أصحاب جويرثة في الحصن وقد أغلقوا الباب دونهم فقتلوهم عن آخرهم وما سلم من المشركين في ذلك اليوم الا من دخل الحصن ومنع عن نفسه ثم أقبل الامام على أصحابه وسار على مهل لان الامام عليا رضي الله تعالى عنه كان لا يتبع

منهزما فقطو لم يزالوا كذلك الى أن اجتمع بقية القوم فأحدقوا به من كل جانب والخيل مقطعة والاعنة مقرونة والرماح مشتبكة والسيوف مشهورة لامعة والاصوات بالتكبير عالية وساروا الى أن وقفوا عند الحصن متباعدين عنه يسيرا ﴿قال الراوى﴾ فلما رآهم هجام خاف قلبه واصفر لونه وارتعدت فرائصه فقال لاصحابه وقومه ياقوم احفظوا باب حصنكم فقد طرقكم ابن أبى طالب برجاله وأبطاله وكان مع جويرثة فى طليعته أربعة آلاف فارس أبطال عوابس فدخل معه الحصن مائة وسبعون رجلا وقد قتل بقية قومه ولم يبق منهم سوى هؤلاء من وادى الظبا الى الحصن فلما دخل جويرثة الى الحصن واجتمع مع هجام أمر هجام سائر من فى الحصن أن يعلوا على أعلى السور وكان حصينا منيعا لم يكن فى تلك الحصون أمنع منه ولا أوسع ولا أرفع بناء منه واغاسمى بالمشرف لارتفاعه وعلو بنائه وكان الرجل اذا اطلع على أعلى سوره ونظر يمينا قبلا لاحظ حصن الصخر واذا انظر شمالا فيرى الحصن الاسود وكان الملك المضام اذا طرقه طارق أودهمه داهم أو عدو أو أراد حرب قوم بعث بأهله وأولاده وماله الى الحصن المشرف لما يعلم من تمكنه وقوته وعلو بنيانه ومنعه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان القوم لما دخلوا فى الحصن وامتنعوا فيه تأهبوا للقتال وعزموا عليه وحرضهم هجام وقال لهم ياقوم ان حصنكم هذا منيع وطعامكم كثير وماؤكم غدير ومع هذا فان الملك المضام سائر الينا بنفسه وقادم عليكم فكونوا مطمئنين فى حصنكم الى أن تنظروا ما يكون من أمر ملككم فأجابوه الى ذلك وقالوا له أيها السيد نحن معك وبين يديك نقاتل بأنفسنا عن حريمنا وعن أموالنا فنحن لانسلم حصننا العدو ولو قتلنا عن آخرنا ففرح هجام بقولهم ثم أقبل على جويرثة وقال يكبر عليك ما نزل بك لا تهتم لذلك فأنا آخذ بثارك وأكشف شين عارك وان كنت تجزع من الملك المضام والملك التبيع فسوف أرضيهما حتى أدفع لك ابن أبى طالب فتمضى به اليهما فأجابه جويرثة وقال ياهجام انى رأيت من ابن أبى طالب شجاعة لم أرمثلها من أحد من العالمين ولا فعل مثله انس ولا جن فقال هجام سوف ترى حين أملك قيابه ﴿قال الراوى﴾ فبينما القوم كذلك على أعلا السور يشد بعضهم بعضا اذ تقدم الامام وأصحابه فأقاموا بالنبال والصخور ورشقوهم بالنبال فقال الامام لاصحابه تقوا بالله عز وجل واستتروا بالحجف من حجارة المشركين فانهم عالون عليكم وليس

هذا الحصن كسائر الحصون وانى أراه حصينا منيعا ثابتا وسيعا فاليا مر تفعا وان جنادل القوم اذا وصلتكم وهنت وان سهامهم لذا ألت وصلت وأثرت وان سهامكم اذا وصلت اليهم كانت واهية ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء وهو على كل شيء قدير فقولوا على بركة الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وترجلوا عن خيولكم وضيقوا المواكب على عدوكم فنزلوا عن خيولهم ونزل الامام رضى الله عنه عن جواده وزحف بقومه وفرقهم من سائر جوانب الحصن فاشتد القتال وتراشقوا بالنبال واشتد الحرب وعظم الكرب وكثر الضرب وتعالى القوم على أصحاب الامام رضى الله عنه فوصلت اليهم جنادلهم وسهامهم فصبروا لذلك صبر الكرام وقد تهشمت رجال من المسلمين بالحجارة فلما نظر الامام الى ذلك انعطف وقال لقومه ارجعوا الى ورائكم فتصايح القوم بعضهم ببعض وانعطفوا عن القتال واجتمعوا الى أمير المؤمنين فلما نظر المشركون الى ذلك فرحوا فرحا شديدا برجوع الامام رضى الله عنه وقومه عنهم فجعلوا يعطفون عليهم وينادونهم الى أين يا ابن أبي طالب أتظن اننا كمثل ما رأيت من الحصون وما بقى من أجلك سوى ما بقى من هذا اليوم وعند المساء تحيط بك عساكر الملك وجنوده فلا تجد لك مسعدا ولا فى الأرض مقعدا فاعطنا القياد أنت ومن معك فنأخذكم أسارى ونبقى عليكم ولا نقتل منكم أحدا ﴿قال الراوى﴾ فلم يجبهم الامام رضى الله عنه ولا أحد من أصحابه بل نزل متباعدا وقومه معه فتوضأ الامام رضى الله عنه وأمر الناس بالوضوء ثم قام فأذن وصلى بهم صلاة الظهر فلما أتم صلاته أقبل على قومه وقال لهم يا قوم هل لكم أن تشيروا على برأيكم فانى أرى ما أملته من هذا الحصن متباعدا الا أن يأذن الله بفتحه وهو على كل شيء قدير ونخشى ان نطاول القوم فى القتال فيدهمنا ملكهم الذميم وان الله حامى أوليائه الابرار وخاذل أعدائه الكفار وأخشى أن يفوتنا هذان الاثنان ومن معهما فهل فيكم من يشير على بحيلة أو خديعة نصل اليهم بها فتكلم كل أحد بما معه وما عنده فمنهم من قال أيها الاميران هذا الحصن منيع ومجيء الملك سريع لانه قد تكاملت جيوشه وهى مائة ألف من خيار العرب غير ما يتبعها من خدمها ورجوعنا بهذا الفتح وهذه الغنائم أصلح لنا ومنهم من قال نحارب القوم ونصابرهم الى أن يطول عليهم الامر ويكثر عليهم الشرفية تحوا الينا وهم طائعون ومنهم من قال

نقيم في موضعنا ونقاتل كل من طرقنا ولو ملئت الارض علينا خيلا ورجالا الى أن نقتل عن آخرنا وكثرت الاقوال من القوم والامام ساكت ويسمع قول كل من قال ﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ القوم من كلامهم وثب ابن الملك ناقد قائما على قدميه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان أشرت فأنت جرثومة الحيل والجالب لاعداء الله الحيل والموقع بهم الفشل وقد سمعت باسلام كل أحد من قومك فقل أنت قولك فأنت الموفق للصواب والفصيح في الخطاب ومنك يسمع القول والجواب فقال الامام رضي الله عنه يا قوم أما القاء الملك ومن معه فهذا شيء لا بد منه لا محالة ولو لاقيتهم وحدي أو يأتيني اليقين وأصير الى رب العالمين الا اني فكرت في حيلة أرجو بها فتح هذا الحصن ان شاء الله تعالى عن قريب فقال له ناقد وما هي يا أبا الحسن وفقك الله قال يا ناقد نصنع لهم المنجنيق كما صنعته ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عسر علينا حصن النظام فقال ناقد وما هو المنجنيق يا أمير المؤمنين وكيف تكون هيئته ومن أي شيء يصنع وما الذي يحتاج اليه فقال له الامام نحتاج الى أخشاب طوال قد قطعوا من مدة أعوام وعدة يقطع بها الخشب من مناشير وقواديم وفوس ومسامير من حديد وحبال وكفة ﴿قال الراوي﴾ فقال ناقد بأبي أنت وأمي ان في هذا الوادي من وراء هذا الجبل بستانا عظيما فيه أخشاب طوال وقد قطعنا منه كثيرا وقد كان أبي أراد أن يجعل هذه الاخشاب ليصنع بها مجلسا قريبا من داره فأشار عليه بعض أصحابه من أكابر قومه أن يصنعه في ذلك البستان فصنعه فيه وليس عنده أحد وهو قريب منا وأما الاحبال فنحن نجمع لك من فوق النخل حبالات من الليف وان الاخشاب نجرتها مهندسة نأخذ منها ما يوافقك بعد أن تفكه وتأخذ مسامره وما كان فيه من الصفائح البولاد والمسامير الحديد فتبسم الامام ضاحكا وقال يا ناقد لقد تمم الله بك أمرنا ويسر عسيرنا ثم التفت الى أصحابه وقد تبين لهم السرور في وجهه وقال لهم يا قوم أسرعوا مع أخيكم ناقد وأطيعوه فيما يأمركم به واياكم أن تخالفوه في شيء فقالوا السمع والطاعة لله ثم لك يا أمير المؤمنين ﴿قال الراوي﴾ فأخذ ناقد معه ثلاثة آلاف فارس وسار وأهل الحصن شاخصون لهم ما يدرون ما هم له صانعون الى أن وصلوا الى البستان فأمر ناقد فرقة منهم أن تجمع ليفا من النخل وأمر فرقة تحمل الاخشاب على الجمال وأمر فرقة بفك مجلس أبيه وأمر فرقة تحمل ما هناك من الحديد

والصفيح والمسامير والاخشاب فلم تمض من غير ساعة وقد جمع ناقد ما يحتاج اليه
وأتى به الى أمير المؤمنين والقوم شاخصون الى ذلك من أعلى الحصن فقال هجام
لجويرة قد يحك ماترى هؤلاء القوم وما هم صانعون أرادوا أن يسندوا هذه الاخشاب
الطوال الى جدارات حصننا ويصعدوا النا من فوقها ان ذلك منهم أمل بعيد والوصول
اليه صعب شديد ولئن مكناهم من وضع هذه الاخشاب الى جدارات حصننا فنحن
العاجزون فبينما هم كذلك واذا بالامام رضي الله تعالى عنه لما نظر الى الليف
والاخشاب والحديد فرح فرحا شديدا وأمر كل فرقة من قومه أن يشتغلوا فى شغل
فقوم يفتلون الحبال وقوم يجهزون لهم الليف وقوم ينحتون الاخشاب وقوم يحفرون
الارض وقوم يصلحون فى الحديد وقوم يقيمون الاخشاب وقوم يسمرونها وقوم
يجهزون الكفة وأحبالها والامام رضي الله عنه يطوف عليهم ويعلمهم كيف
يصنعون ويقول لهم اصنعوا كذا وكذا أصلح الله شأنكم ولم يزالوا كذلك بقية يومهم
وليلتهم والامام يساعدهم بنفسه الى أن فرغ المنجنيق وجميع آلته فأمرهم الامام
بحمله فحملوه ومشوا به والامام معهم الى أن قربوا به من الحصن وأمرهم بنصبه
فنصبوه وأمرهم بأن يقعدوا آلته وحباله ففعلوا ذلك وأمر القوم أن يحملوا الصخور
فحملوها وأتوا بها وضعوها عند المنجنيق ولم يصبح الصباح الا وقد ركبوه وفرغوا
منه ﴿قال الراوى﴾ فلما أصبح الصباح ونظر أهل الحصن الى ذلك قال بعضهم
لبعض يا ويلكم ما هذه الحيلة التى نصبت بازائنا وما هذه الاحبال والاخشاب وما
هذه الصخور العظام التى من حولها ليت شعرى ما تكون هذه الحيلة وما يريد أن
يصنع ابن أبي طالب فهذا قول هجام وأما قول جويرة حين سمع ذلك من هجام فقال
لا شك ان هذه حيلة نصبوها ليرتقوا عليها فيساورونا ثم يرمونا بنبالهم واعلم يا هجام
ان كل من صعد من أعلاها فهو هالك لا محالة فانه اذا انتهى الى أعلاها رشقناه
بنبال النار رشقا عنيفا متداركا فقال هجام صدقت فى قولك ثم ان الامام أفرد ألف رجل
بالدرق يمنعون عن أصحابهم وأخذ فرقة وجعلهم حول المنجنيق يجرون الاحبال
وأمر بقية القوم أن يقفوا صفوفا بأسلحتهم وعدتهم ثم انه رضي الله عنه أخذ حجرا
عظيما بيده ووضعه فى كفة المنجنيق وأمر الرجال بجر الحبال وتعلق الامام بكفته
وهو ينشد ويقول شعرا

حجارة نازلة من ذا البطل * دامعة ترمى الاعادى بالاجل
صنعها الشهم ابن عم المصطفى * مدمدم الكفار من كل بطل

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام من شعره صاح بالرجال وأمرهم أن يسرعوا بشد الحبال والتكبير لذى العزة والجلال فكبر القوم بأجمعهم وشدوا الحبال فارتفع الحجر فى الهواء باذن الله وعلا علوا عظيما ثم انه أمرهم أن يحطوا الحبال من أيديهم ففعلوا ما أمرهم فانقض الحجر من كفة المجنيق وله دوى كدوى الرعد القاصف وازداد فى الهواء ارتفاعا عظيما ثم وقع على الحصن فنزل على اثنين فهشمهما فلم يتحرك منهما أحد فذهل القوم عند ذلك وحاروا واندهشوا عما حل بهم والتفت هجلم الى جويرثة وقال له ألا تنظر الى هذه الحيلة العظيمة التى نصبت فبينما هم فى الحيرة واذا بالامام رضى الله عنه أخذ حجرا آخر ووضعه فى كفة المجنيق وأوصى الرجال بجر الحبال عقب كلامه وانشد يقول شعرا

أنا على قاتل الأعادى * اليوم أبلغ منهم مرادى
ويشتفى من غيظهم فؤادى * بقتل ذى الارازل الاوغاد
أنا ابن عم الهاشمى الهادى * داعى الورى طرا الى الرشاد
أنا على فارس الجياد * مبيد أهل الكفر والعناد
وقامع الكفار فى الجلاد * فأسرعوا أنتم بكل واد

﴿قال الراوى﴾ ثم جرت الرجال الحبال وكبروا ثم أرسلوا الحجر من أيديهم فهوى الحجر الى السماء ثم سقط فى الحصن فوقع على جماعة من النساء فأهلكهم فعلا فى الحصن الصياح وكثر الصراخ وتنافرت النساء من كل جانب ومكان فلما نظر هجلم الى ذلك قال وحق المنيع لقد رمانا هذا الغلام بداهية عظيمة فأين المنيع اليوم يمنعه عنا وعن نصر تنا فبينما هم كذلك حائرون اذا أخذ الامام رضى الله تعالى عنه صخرة عظيمة ووضعها فى كفة المجنيق وجعل يقول شعرا

حجارة ترمى الى الكوافر * من يد صنديد الوفا المخابر
أنا ابن عم الهاشمى الفاخر * مجندل الابطال بالضوامر
وجالب الزلزال للغوادر * أذيقهم كأس الضنا بالباتر
أنا ابن عم الهاشمى الطاهر * صلوا على هذا النبى العاطر

﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام أمرهم أن يفعلوا بها مثل فعلهم أولا فما استطاعوا أن ينقلوها من مكانها وما قدروا أن يحركوها فزادهم الامام رضى الله تعالى عنه رجالا وأمرهم أن يكبروا فكبر المسلمون وكبر الامام ثلاثا وأطلقوا الحبال من أيديهم فانقص الحجر فى الهواء وزاد ارتفاعا وله دوى كدوى الرعد أو كالريح العاصف وكان الامام قد قصد ناحية باب عدو الله الهجام وجويرثة فوقعت على الباب وكان ذلك الباب العظيم على قبة معقودة عظيمة فهدمتها وصارت حجارتها طائرة فى الهواء كأنها العصافير وعاد كل من صدمه حجر منها قتله فكل منهم جزع وقد فار عدو الله هجام وجويرثة وقد تزايد بهم الخوف وكثر الصياح وعظم الصراخ وتنافرت الرجال يمينا وشمالا وقد تهشمت الرجال والنساء وصاحوا الاصبر لنا على هذا فقال هجام وحق المتيع ان دام علينا هذا الفعل هلكنا عن آخرنا ولقد كان رجوا الملك الهضام أن يرسل لنا أحدا من قومه أو يسير الينا بجيوشه فينصرنا على عدونا ولقد ابطأ علينا وان غاب عنا بقية يومنا هذا وليلتنا الا هلكنا ابن أبى طالب وعلك حصنتا بعد أن يقتلنا ولم يزل الامام يرمى عليهم بقية يومه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما ولى النهار وأقبل الليل وانسدل الظلام رجع الامام بمن معه الى أماكنهم وتركوا المنجنيق على حالته ﴿وقال الراوى﴾ فالتفت الامام رضى الله عنه لاصحابه وقال لهم ياقوم هذه الليلة ليلة حرس وأنا أريد أن أضطجع هذه الساعة الى أن تغيب الشمس وكانت عند الاصفرار واذا طرقكم طارق فايقظونى فقالوا سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين فاضطجع الامام ونام سبحان من لا يغفل ولا ينام ولم يزل نائما الى أن غربت الشمس ثم انتبه من غير أحد يوقظه فقام وتوضأ وأمر الناس بالوضوء ثم أذن المغرب وصلى بالناس فلما فرغ من صلاته التفت الى أصحابه وقال معاشر الناس انى رأيت فى منامى ولذيذ أحلامى كأن نارا تضرم لنا بين الرجال وهى تحرق القوم يمينا وشمالا وكأن كلابا قد ملأت أفواهها ماهر يدون اخماد تلك النار وكأنى أضرب خراطيم تلك الكلاب وأفواهها ولا شك أن القوم عزموا على منجنيقنا والمكيدة لنا فتولوا حرسكم بأنفسكم وأنا أتولى حرس المنجنيق بنفسى فان الحماية عندى ان شاء الله تعالى وان هموا بكم أتيتكم وحميتكم وقاتلت عنكم بنفسى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه دعا بناقد وجنبل والرغد اوخالد بن الريان وولاهم الحرس بالقوم وأوصاهم بمداومة السهر

فقالوا له السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ثم قالوا يا أبا الحسن لو أنك أخذت معك من قومك ولو مائتي رجل لطارق يطرق أو عائق يعيق فان في الحصن حيات تلسع وعقارب تلدغ فقال له يا ناقد ان لنا ربا يعيننا على تلك العقارب والحيات والاراقم ونهلك بمشيئة الله كل كافر وظالم مع نصرته ونحن فينا الكفاية ونرجو من الله العناية وهو المتفضل على عباده سبحانه وتعالى ثم ودع القوم وسار الى المنجنيق وهو ينشد ويقول شعرا

أنت لي مؤنس على كل حال * في نهاري وفي ظلام الليالي
منك أرجو للقوم نيل مرادي * أنت يا سيدي عليك اتكالي
قد خلا القلب من جميع البرايا * ليس للغير موضع فيه خالي
قد سكنت الحشا صميم فؤادي * لم تزل حاضرا معي في خيالي
ربنا عمنا بواسع فضل * يا رحيما بنا عظيم النوال
ربنا انصر جيوشنا واعف عنا * واخذل المشركين يا متعالي

(قال الراوي) ثم أخفى الامام حسه وسار الى أن وصل الى المنجنيق فوقف بازائه وهو مستقبل القبلة ولم يزل يصلي ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى الى أن مضى من الليل أكثره والناس في أطيب هجعتهم ولذة رقادهم فبينما الامام في صلاته اذ سمع صرير الباب وقعقعة الاقفال فلصق الامام بطنه على الارض وتحقق بالنظر الى باب الحصن فرآه قد فتح واذا هو بالرجال قد خرجوا منه بعضهم من وراء بعض وجعل الامام يعدهم واحدا بعد واحد حتى انتهى الى مائتي رجل وقد كان عدو الله همام قد تشاور في تلك الليلة على قطع المنجنيق وقطع حباله وأخشابه وقطع البستان حتى لا يبقى فيه شجر ولا نخل ثم خرج همام وجويرثة ومع كل واحد منهم مائتا رجل من صناديد القوم وشجعانهم فلما خرجوا من باب الحصن أمروا من بقي من قومهم أن يغلقوا باب الحصن من ورائهم ثم أقبلوا يمشون وقد أخفوا حسهم وحركتهم ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى المنجنيق والامام رضي الله عنه مراقبهم وقد امتشق سيفه من جفيره وقبض عليه بيده وعلى حجفته وهو لاصق ببطنه على الارض ولم يداخله هلع ولا جزع وهو كأنه أسد وهمام وجويرثة في أوائل القوم فسمع جويرثة يقول وحق المسيح يا همام انا لا نأمن من علي بن أبي طالب أن يعلم بمكاننا فلا بد أن يأتينا ويصل

بشره الينا ﴿قال الراوي﴾ فقال همام اسكت لا أم لك لقد ملئ قلبك خوفا من ابن أبي طالب ثم انه أمر طائفة من القوم أن يسيروا الى البستان فيحرقوه بالنار فتوجه جماعة من القوم اليه وتقدم الباقون الى المنجنيق مع جويرثة وهمام يقول وحق المنيع لا قصدت ابن أبي طالب أينما هو نازل ولآخذنه أسيرا ذليلا ولآتين به وأوصله الى الملك المضام والاله المنيع يفعل به ما يشاء ويختار كل هذا والامام يسمعه منهما وهو صامت لم يرد عليهما جوابا وهو صابر لأحكام الله تعالى ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى المنجنيق وهموا أن يقلعوه فوثب لهم الامام قائما على قدميه وصرخ عليهم صرخته المعروفة بين القبائل بالغضب فدوى منها الوادي وقال لهم الى أين يا أولاد اللئام فذهل القوم واندهشوا وبهتوا ولم يجدوا مفرا مما نزل بهم وبادرهم الامام رضي الله عنه بذي الفقار وجعل يضرب فيهم يمينا وشمالا وهم يصرخون بقومهم والامام يقول الى أين يا همام فقد قربني الله اليك فوالذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا لا ارجع عنكم بمشيئة الله عز وجل حتى أخرب حصونكم وأقتل رجالكم وأبيد شجعانكم وآخذ ملككم والحكم وأحرقهم في نارهم ان شاء الله تعالى ولم يزل الامام يقتل فيهم الى أن ولوا منهزمين على وجوههم هاربين والى حصنهم طالبين وأما جويرثة فانه شخص ببصره ولم ينتقل من مكانه ولم يتحرك من موضعه من شدة ما أصابه وأما همام فانه لما عاين ذلك قلب جواده وعطف بركضه الى جهة الحصن وصرخ بمن فيه افتحوا الباب فدخل وأغلق الباب من خلفه وقد جرى الامام وراء من كان معه من القوم وقتلهم جميعا خارجا عن الحصن وكانت عدة القوم مائتي رجل فلم يدخل الحصن غير أربعة وسبعين رجلا وقتل الباقون وقد كانوا دخلوا قبل همام وكان أصحاب الامام رضي الله عنه سمعوا الصراخ والصياح بالليل فأقلقهم ذلك وهموا أن يبادروا الى الامام فقال لهم ناقد يا قوم انه أقسم على الامام بحقه أن لا أدع أحدا يلحقه فاصبروا حتى يأذن الله بالفرج من عنده انه كريم حليم ﴿قال الراوي﴾ وأما الامام فانه لما فرغ من قتل بقية القوم عند باب الحصن ورجع الى المنجنيق وجد جويرثة واقفا وقد أمسك الله جوارحه فلم يستطع أن يتحرك بحركة فأعلن الامام بدعائه ليسمع قومه لما علم انهم متطاولون اليه فنادى يا معاشر الناس لا يضرنكم القلق ولا يداخلنكم الارق فاني بعون الله سالم وبنصره غانم فانغمروا في مراقدكم

فاني

فانى قاتلت قتالا أرجو به رضا الجبار ودمار الكفار فاستبشر الناس بقوله وفرحوا
بكلامه وعاد الامام رضى الله عنه الى صلاته وخدمته لمولاه وجويرثة باهت يراه
ويسمع قراءته ونداءه ينظر الى ركوعه وسجوده وتضرعه وتعفير وجهه فى التراب ولم
يزل الامام كذلك الى أن برق الفجر فأذن الامام الفجر فى ذلك المكان فعلم أذانه جميع
عسكره فجاءوه من كل ناحية ومكان فاستبشر بذلك أهل الايمان وارتعدت أهل
الشرك والطغيان ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى ذلك جويرثة أقبل على الامام رضى
الله تعالى عنه وقال له يا ابن أبى طالب لمن كنت تناجى ولمن كنت تتضرع وتنادى
ومن أنت اليه داعى ومرة أنت له شاكى ومرة ترمق بطرفك الى السماء ومرة
تمرغ خديك على الثرى فقال له الامام رضى الله عنه لمن أوصلنى اليك ونصرنى
بقوته على قومك وعليك فقال له وأين محله ومأواه ياسيدى وأين مستقره ومنتهاه
فقال الامام رضى الله تعالى عنه ياجويرثة هو لا تجده الخواطر ولا تحدق اليه
النواظر ولا يعلم أين هو الا هو ثم قرأ قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الى
آخر الآية فقال جويرثة ان هذا الكلام لعظيم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله فقال له الامام رضى الله عنه ان ذلك سبق لك فى اللوح المحفوظ وفرح
باسلامه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام صلى صلاة الفجر فى مكانه وجلس يذكر الله
حتى طلعت الشمس وأقبلت أصحابه اليه رضى الله عنه فلما نظر أهل الاسلام الى
جويرثة والامام وهما كالأسود الكاسرة الماثلة فرحوا بسلامة الامام رضى الله تعالى
عنه وفرحوا باسلام جويرثة وبادروا اليه فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه انزلوا
حتى يتضاحى النهار بارك الله فيكم فنزلوا يتحدثون معه كيف صنع فى ليلته وهو يحدثهم
بما وقع له فى ليلته فبينما هو كذلك واذا بالشمس قد أشرقت وملأ نورها الارض فنظر
الامام الى الحصن واذا عليه أعنة منصوبة وأحمال مقتولة وكفات مبسوطة
وجنادل موضوعة فبينما هم ينظرون الى ذلك اذ أخذتهم الاحجار من كل جانب
ومكان من أعلا الحصن واذا هو بصوت فظيع هائل شنيع حتى سمعه الفريقان ليس
هو كصوت الآدميين واذا بالصخور قد تداركت على المسلمين فأصابت جماعة منهم
وتزايدت الاحجار وتساقطت كالمطر وأخذتهم الاصوات وتداركت عليهم الزعقات
وحل بالمسلمين ما لا طاقة لهم به فاستتروا عند ذلك بالدرق والحجف وتأخروا الى ورائهم

وسمعوا قائلا يقول هؤلاء رسل المنيع أظهروا براهينهم وأزالوا أعداءهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الامام رضى الله تعالى عنه قال هذا صوت ابليس اللعين ورب الكعبة مافعل القوم ذلك الا هو وغيره منامهم وخديعة فتجمعوا الى وراءكم وأنا معكم فوالله لولا ان الله سبحانه وتعالى أنظره الى يوم الدين لكنت أهلكته هدا والصخور تتساقط على المجنيق حتى ازالته ومحت آثاره وكان السبب فى ذلك أن عدو الله هجام بن خالد لما دخل الحصن منهزما ارتجف فؤاده وتضعضعت أركانه وأيقن بالهلاك ووقع مغشيا عليه فرشوا على وجهه الماء الى أن أفاق من غشيته وأقبلوا عليه وقالوا له أيها السيد ما الذى نزل بك فقال لهم ياقوم ان هذا الغلام بلية على العرب من عند محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وان محمدا يبقى اذا قدر ويحسن اذا عفا وأن هذا المشوم الطلعة لا يبقى ولا يذر ولا يرحم اذا ظفر ولا يحسن اذا قدر وكأنه نار ترمى بشرر ومع هذا كأنه كاهن قد علم بأمرنا وما أخفيناه من سرنا وما أضمرناه من فعلنا فسبق الى المجنيق ولكن لنا هناك فلما وصلناه رأيناه كالاسد اذا عاين فريسته أو كالبحر اذا ترادفت أمواجه ولولا اشتغل بجويرثة لكان قد وصل الى وهجم بنفسه على ولا طاقة لنا بمن ليس له فى الانس نصيب وانى أراه فى كل مكان حاضرا لا يغيب وأظن أن المنيع قد تخلى عنكم وعن نصرتكم فلما سمع ذلك قومه حاروا وذهلوا واندهشوا من قوله وقالوا له أيها السيد اذا كنت أنت تقول هذا القول فما الذى يكون عندنا من القول فان كنت كارها للقائه فافتح لنا باب الحصن فوحق المنيع مالنا قدرة على حربه ولا طاقة لنا عليه ﴿قال الراوى﴾ فبينما القوم كذلك اذ ظهر لهم اللعين ابليس فى صورة رجل عليه مدرعة من شعر وبيده قادوم النجارة فذهل القوم لمنظره فقال لهم ياويلكم ماهذا الفزع الذى أنتم فيه وما الذى نزل بكم وما هذا الهلع الذى أصابكم وانما أراد المنيع أن يستخبركم ويعلم ماعندكم من ضعف الدين وقلة اليقين وأنا عون من أعوانه ومن بعض خدامه وقد أرسلنى المنيع أتولى قتال هذا الغلام ودماره ومن معه وأمانع عن حصنكم فعند ذلك فرح القوم فرحا شديدا وقالوا بأجمعهم لا نعرف ربا ولا الها نعبده ونتوسل به ونتضرع اليه الا الرب المنيع الاله الرفيع ﴿قال الراوى﴾ ثم أقبل اللعين ابليس على عدو الله هجام وقال له ياويلك هل يخفى على المنيع ماتكلمت به وهو بصير سميع عليم ولولا أنه اله

كريم حكيم لسلبك النعم ورماك منه بعظائم النقم وانى أنصحك نصحا عظيما أن تتوب اليه من ذنوبك وتتضرع اليه من خطاياك وكن راجعا اليه والجزم أمرتك به واسرع فيها اليه أرسلت فاذهبوا واحفظوا حصنكم فقال له هيام ومن يعينك على أمرك ان نحن مضينا من عندك قال له ابليس يعينني المنيع بكثرة جنوده فانصرف القوم من عنده فصرخ اللعين ابليس على خدمه وجنوده فاجتمع اليه من مردة الجن وعفاريتهم وشياطينهم ألف قبيلة فلم يكن الاساعة حتى صنع المنجنيقات وفرغ من جميع آلتهم وأمر بحملها وفرقها على أبراج الحصن ففعلوا ذلك ولم يأت الصباح حتى فرغ من جميع ما أراده وجعل يقف على المنجنيقات ويعلمهم الرمى وكيف يصنعون فلما علمهم ذلك غاب عنهم فلم يروه فازدادوا عند ذلك حبا شديدا فى المنيع وجعل هيام يقول عند ذلك الهى وسيدى ومولاى كثرت خطيئتى وعظمت بليتى فلا تؤاخذنى بسوء أفعالى وازداد القوم فى كفرهم وطغيانهم ونادى هيام الى أين يا ابن أبى طالب لقد أحاط بك من المنيع النكايب وأسرعت اليك المصائب من كل جانب فاستسلم الينا أنت ومن معك ونحن نسأل المنيع حلما وجودا أن يصفح عنك وعن خطاياك واعلم أنه ان عجل عليك أفناك وأهلكك وأردى الثوان قربك قبلك وأدناك فأين ابن عمك محمد ما أغفله عنك وعن نصرتك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الامام رضى الله تعالى عنه اشتد غضبه وأقبل على أصحابه وقال معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى يبتلى العبد المؤمن لينظر كيف صبره فيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ويقيهم سوء العذاب فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا ياقوم انما هى طوارق من الشيطان والطغاة من الجان وانكم من ذلك فى أمان لانكم من حزب الرحمن ومن أهل القرآن وان الآخرة خير لكم وقد رأيت أن تكونوا فى أماكنكم وأتقدم أنا دونكم فان أصابنى مكروه فيكون بى ولا يكون بكم فعند ذلك قام ناقد ابن الملك قائما على قدميه وقال يا أبا الحسن فان نحن فعلنا ذلك فما يكون عذرنا عند الله وعند رسوله اذا اجتمع الخلائق لفصل القضا وفاز المطيعون من ربهم بالرضا فنحن معك وبين يديك نقاتل من عاندك ونضرب بأسيافنا من عارضنا فان نحن صرعنا من حولك ولم يبق منا بارق لم يكن علينا حجة يوم القيامة وقام جنبل بن وكيع والرغد ابنت الخطاف وخالد بن الريان

وقالوا كذلك جزاهم الامام خيرا وفرح بقولهم وقال والله يا قوم ما يسرني ان أرى أحدا منكم مخدوشا أو منهوشا ولا بد أن يشتد بالقوم الحصار و ينالهم منا الضرار و يفنى ما كولهم و يفرغ ماؤهم فيفتحوا لنا الحصن رغما عن أنفهم ﴿قال الراوى﴾ فقال ناقد بعد ان قام واقفا وكبر وقال جزاك الله كل خير وأبعد عنك كل ضير لقد ذكرتني أمرا والله كنت عنه غافلا وقد قرب الله علينا وعليك البعيد وسهل لنا ولك كل أمر صعب شديد فقال له الامام رضي الله تعالى عنه قل ما عندك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أشر علينا بما عندك فما عرفتك الا مبارك الاشورة ميمون الطلعة فعند ذلك قال ناقد يا أبا الحسن زاد الله عمرك واهلك أعداءك ان مشرب القوم من عين ماء خارج الحصن جارية تدخل اليه من أزج معقود من العين الى أن تدخل الحصن من تحت البنيان وقد أخفوا مكانها حتى لا يقدر أحد من أعدائهم عليها وليس للقوم مشرب الا منها ومع ذلك أنها لا تستقر في الحصن بل انها تدخل من باب وتخرج من باب من الجانب الآخر ويسيح ماؤها في وادي الظبا فيسقي ما هناك من المواشي والاشجار وغير ذلك وأنا أعرف الناس بها وبمكانها وان من رأى مشورتي أن نمضي اليها ونكشف عنها ونسد مجاريها عن الحصن ونسيب ماءها يخرج الى الفضاء من الارض وتنقطع الماء عنهم ولا صبر لهم عن الماء ولا يبقى عندهم من الماء قطرة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام ذلك قال له أحسن ما تقول يا ناقد فقال له وحق ابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعثه بالحق بشيرا ونذيرا كيف يجوز لي أن أقول غير الحق يا أمير المؤمنين وقد هداني ربي الى الحق وعرفني بأهله فانهض معي وأنا أظهر لك بيان ذلك فلما سمع الامام ذلك من ناقد وثب قائما وقام معه جماعة من أصحابه متبادرين مسرعين وناقد امامهم وما زالوا كذلك الى أن وصلوا الى دكة مبنية بأصناف الرخام الابيض والاسود والازرق والاخضر والاحمر والاصفر وسائر الملونات من جميع الفنون وعليها شبابك محيط بها وظهر البنيان باختلاف الالوان من حولها فلما نظرها الامام رضي الله تعالى عنه استحسنها وقال لناقد ما هذا يا ناقد فقال له يا مولاي هذا كان أبي حين يركب يأتي الى هذا المكان و ينزل فيه وحجابه ونوابه وجنوده يقفون على بابها وهي مبنية على العين ونريد أن نهدمها لأجل أن نصل الى العين بنفسها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام رضي الله تعالى عنه ذلك

أمر الناس بهدمها وقلعها لينكشف لهم ما تحتها فنزع الناس اطمارهم وتجردوا من ثيابهم وتجرد الامام كذلك وبعث الى أصحابه واستخدم رجالا كثيرا قوم بالمعاول وقوم بالخناجر وقوم ينقلون ما يهدمون أصحابهم الى بعيد وأيدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والمعونة وما زالوا كذلك الى أن وصلوا الى جديد من الارض فانكشف لهم عن صخرة عظيمة في وسطها حلقة هائلة وقد كان أهل الحصن اذا أرادوا قلعها لاصلاح مجاريها يوثقونها بالاحبال الشداد الوثيقة ويجرونها بالرجال الكثيرة فلما رآها الامام قال ارجعوا عنها واحفروا حولها فتركها الناس وحفروا حولها فسمعوا هدير الماء من تحتها واجتمع أصحاب الامام وعالجوا قلعها فلم يقدروا على ذلك وكأنهم لم يصنعوا فيها شيأ فعند ذلك قال ناقد يا قوم انطلقوا الى العسكر وأتونا بالرجال والأحبال فقام الامام رضي الله عنه وقال يا ناقد ان الله سبحانه وتعالى هو المعين والنصير فيهون علينا كل صعب عسير وهو على ما يشاء قدير ﴿قال الراوي﴾ ثم تقدم الامام وقال ابعدوا عنها والله تعالى يعينني عليها فبعد القوم عنها وتقدم الامام اليها وضرب بيده عليها وثبت يده في حلقتها وفتح رجليه حتى صار الحجر بينهما ثم جذبها اليه جذبة شديدة وكبر عند جذبته فاقتلعها من مكانها وأزالها عن بنيانها فكبر أصحابه عند قلعها ورفع يده وعلقها في ذراعه ورماها من خلفه فبعدت عنه عشرين ذراعا الى ورائه فكبر المسلمون ووثبوا الى الامام يعوذونه فشكرهم الامام رضي الله تعالى عنه على ذلك وجزاهم خيرا فلما اقلع الامام الصخرة انكشف لهم عن ذلك الماء وهي عين يفور منها الماء ويجرى في مرج معقود في بنيان واسع قد أحكمه الاوائل بالصخر والرصاص فعند ذلك تبسم الامام ضاحكا وفرح بذلك فرحا شديدا وأمر القوم أن يسدوا ذلك المجرى ويطلقوا الماء يخرج الى فضاء الارض ثم قال لهم يا قوم لا تعجلوا على ذلك ويفعل الله ما يشاء ثم أقبل الامام على ناقد وقال له هل عندك علم من هذا المرج أهو واسع على حالته هذه الى داخل الحصن أم هو واسع من هنا وضيق مما يلي الحصن ﴿قال الراوي﴾ فقال ناقد يا مولاي هو واسع على حالته كما ترى الى داخل الحصن الا انه مهلك لمن دخل فيه فقال الامام يا ناقد فكيف ذلك فقال له يا مولاي انه معمور بالجن والشياطين فقال الامام رضي الله عنه يا ناقد ومن أين علمت ذلك قال يا مولاي لان الماء يتغير على القوم في بعض الاوقات وتنسد مجاريه

فاذا دخل رجال فى هذا المرج ليصلحوا ما افسد منه تتصارخ بهم الجن والشياطين فقال الامام رضى الله عنه يا ناقد من أين علمت قال سمعت أنه تحتاط بهم النيران من كل جانب ومكان فخرجوا منها هاربين من هول ما يظهر لهم وقتل منهم خلق كثير فلم يجسر أحد أن يدخله من ذلك والذى تشير به بعيد والوصول اليه صعب شديد فقال له الامام انى أخشى أن أسبب الماء الى فضاء الارض فيعلم القوم بانقطاع الماء عنهم فيجعلوا منه عندهم ويأخذوا من الماء ما يكفيهم الى أن تأتى اليهم جيوش الملك الهضام فالتفت الامام رضى الله عنه الى أصحابه وقال لهم معاشر الناس أما فيكم كريم يصنع صنعا يشكره رب السموات والارض فيدخل فى هذا المرج الى أقصاه وينظر كيف مدخله ومنتهاه ثم يعود الينا بالخبر الصحيح على حقيقته فعند ذلك نظر بعضهم الى بعض وهم ما بين مطرق وخجل وصامت ذهل وقد داخلهم الجزع مما سمعوا من الامام ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام قال معاشر الناس ما لكم لا تجيبون أميركم وتؤثرون ربكم على أنفسكم فانه من عمل صالحا فلنفسه ومن قدم اليوم شيئا يلقاه غدا عند ربه ويسلك به طريق الهدى فهل فيكم من يهب نفسه الى الله تعالى فانه ان هلك وجبت له الجنة ووقع أجره على الله عز وجل فلم يتم كلام الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه حتى وثب ناقد ابن الملك وقال له سيدى ومولاى أنا الذى أشرت بهذه المشورة وأنا أريد أن أتقدم الى ذلك بأمرك مطيع لك لانى أعلم الناس بهذا السرب وما يحل بمن ينزل من بنى آدم الى هذا السرب فان وصلت الى حاجتك يا أمير المؤمنين فهو الذى تريده من نصرتك وأريد أنا كذلك وان كانت به وفاتى فهى الفائدة فانى أريد أن أحشر فى زمرتك وتحت لواء ابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان ناقدا تجرد من ثيابه وأخذ سيفه وتسكب بحجفته وتقدم الى السرب وجعل ينشد ويقول شعرا

يا رب ان كانت وفاتى قد دنت * فاختم بخير سيدى أعمالى
يا رب مالى غير سؤلك ديدنى * فاقبل دعاى وعمنى بنوال
انى مطيع فى الامور لسيدى * ابن الكرام السيد المفضال
أرجو بذلك أن أكون مخلدا * فى جنة محفوفة بظلال
ثم الصلاة على النبى محمد * وعلى على فارس الابطال

﴿قال الراوى﴾ ثم تقدم ناقد الى السرب ونزل فيه والامام ينظر ما يكون من أمره والناس من حوله سكوت فما لبث ناقد غير قليل وقد خرج على أثره وقد تغير لونه وهو يرعد كالسعفة فلما اقترب ناقد من باب السرب وقع مغشيا عليه وصار يضرب بيديه ورجليه والزبد يخرج من شدقيه وقد بان فى وجهه السواد فلما نظر الامام الى ذلك قال أعيذك بالله من همزات الشياطين وبوارق المردة الملاعين ثم تقدم اليه ومسح على وجهه بيده المباركة وقال بسم الله الرحمن الرحيم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أعيذك بالملك الخالق مكون السبع الطباق من لوامع بوارق المراق وزبرات ونهرات وسطوات الفساق قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ثم قرأ الاخلاص والمعوذتين فعند ذلك فتح ناقد عينيه فأجلسه الامام ورش الماء على وجهه وقال له يا ناقد ما رأيت وما ظهر لك وما الذى أجزعك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك ناقد قال بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين وهل أقدر أن أصف لك ما رأيت وقد ظننت أنى لا أراك أبدا بعد ذلك وانى لما نظرت الى السرب بعد ان نزلت فيه وجدت أمامى نارا تشعل فى الماء فقلت ان هذا الشىء عجيب فكيف تكون النار فى الماء فعند ذلك سمعت أصواتا هائلة وضجات مزعجة وقد رميت بالشرار واحتاطت بى النيران من كل جانب ومكان وانطبق على الدخان وضاقت من ذلك منافسى وظننت أنى لا أرجع اليك ولا أعود بعدها أبدا فألهمنى الله عز وجل قراءة آية الكرسى فلما قرأت هذه الآية الشريفة خرجت اليك كما ترى والذى أشير به عليك أن لا تتعرض لهذا الامر وان كنت خشيت من تطاول الأوقات وضيق صدور الرجال فاترك هذا الأمر على حاله حتى تعود وتفصل أمرك مع أبى الهضام الضال المضل فان أنت ظفرت به فتح لك هؤلاء القوم حصنهم رغما عن أنفهم فعند ذلك قال الامام يا ناقد هذا الرأى ليس بسديد وقول ليس برشيد فاذا وصل الخبر الى أبيك انى رجعت عن هذا الحصن ولم أقدر على فتحه طمعوا فينا وتجاسروا علينا ﴿قال الراوى﴾ ثم التفت الامام يمينا وشمالا فرأى خرقة زرقاء فأخذها الامام رضى الله عنه وأخذ عودا من الأرض وكتب فيها بريقه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عم رسول الله على بن أبى طالب الى مردة الجن والشياطين والقوم الطاغين أما بعد فانا مزق الكتائب ومن تعرفوه ولا تنكروه أنا صاحب

الأقسام والدلائل العظام ورلهيكم بالنكل فاقسحوا الناس عن الطريق فهو أصلح لكم ولا تتعرضوا الصاحي فهو أجل لكم فان أبيتم فأنا داخل عليكم والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ثم طواه والتفت الى أصحابه وقال لهم معاشر الناس من فيكم ينطلق بكتابي هذا الى الجان فاذا ظهروا له فليلقه اليهم وبعد ذلك يرجع الينا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا ذلك قام جنبل بن وكيع اليه وقال أنا أمضى بكتابك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى أقسم بالله ورسوله لئن تعرض لى عارض من الجن والانس لاجدلنه بسيفى هذا ان وجدت اليه سبيلا و يقضى الله أمرا كان مفعولا فشكره الامام ودعا له بخير ثم دفع اليه الكتاب بعد أن تجرد جنبل من ثيابه وقبض على الرسالة بيمينه وأخذ سيفه بشماله وسلم على الامام وقال يا ابن عم رسول الله ان وجدت الى الحصن سبيلا أفعل ذلك بأمرك فقال الامام لا تحدث أمرا حتى تعلمنا بمنتهى هذا السرب فنزل جنبل وغاب عن الوجود حتى قلق الناس لا نتظاره وهو فى السرب والامام أشدهم قلقا عليه فغاب أكثر مما غاب ناقد حتى ظن القوم انه وصل الى الحصن فبينما الناس كذلك واذا بجنبل قد خرج وقد تحول سواده الى الاصفرار فرمى سيفه من يده وقد غمض عينيه وانعقد لسانه عن الكلام وألقى بين الناس كالخشبة اليابسة وكان جنبل رجلا عظيم الخلقة كبير الجثة ولم يتحرك ولم ينطق فظن القوم انه هلك فقال الامام عند ذلك انا لله وانا اليه راجعون ثم انكب عليه الامام وجعل يعوذه و يتلو عليه كلام رب العالمين منه ما فهمناه ومنه ما لم نفهمه فأفاق وجلس كأنه سكران ثم اعتراه الهذيان فبقى مثقل اللسان فتفل الامام فى فيه فأفاق ونطق وذهب عنه ما كان يجده فكان أول كلمة نطق بها لا اله الا الله محمد رسول الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ فقال له الامام رضى الله عنه يا جنبل ما رأيت وما الذى نزل بك فقال له يا مولاى دعنى وما الذى نزل بى وما أنت وأصحابك فلا تتعرضوا المردة الجان فان أمرهم كبير والوصول اليهم عسير فقال له الامام يا جنبل ما عن هذا أسألك بل اخبرنى عما رأيت فقال جنبل اعلم يا أبا الحسن أنى سرت فى السرب برسالتك كما أمرتنى فلم ازل الى أن توسطت فى المضيق وظننت أن لا يعارضنى عارض ولا يطرقنى طارق فبينما أنا كذلك اذ رأيت السرب قد اسود وأظلم وتضايق وانعقد دخانا حتى ضاقت منافسى واحتاطت بى النيران من كل

جانب

جانب ومكان وأخذتني الحيرة فاستسلمت للقضاء والقدر حتى علمت أن الله تبارك وتعالى قال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا فعلمت أنه ما يصيب العبد الا ما كتب الله عليه في سابق الازل ثم اعتصمت بالله وتوكلت على الله وتقدمت اليهم بالرسالة وقلت لهم اني رسول عبد الله وابن عم رسول الله علي بن أبي طالب أرسلني اليكم بهذه الرسالة وما على الرسول الا البلاغ المبين فلما ألقيت اليهم الكتاب فما ازدادوا على الاهيبا من النيران موكثر على الدخان وظهر لي رؤس بلا أبدان وأخذتني النيران وعظمت على الزجرات وهي من خلفي ومن بين يدي فلما ضاق بي الأمر ناديت يا قريب يا مجيب يا حاضر لا يغيب اليك فوضت أمري واليك أسندت ظهري ثم ناديتهم يا ويلكم أنتم أعرف الناس بصاحبي فلا تتعرضوا للنوازل فهو مبيد كم بأقسامه وأسمائه ومهلككم بسيفه ونزاله فردوا الجواب من قبل أن يحل بكم العذاب من الفارس القلاب والليث الوثاب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب الغيث الساكب النجم الثاقب الليث المحارب الفارس المضارب الاسد الطالب القرم الغالب المذكور في المشارق والمغارب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوالله يا مولاي ما استتم كلامي حتى ظهر لي من أسيافهم شيء لا يحصى ولا يعدو قد زادوا في أهوالهم نارا ودخانا فأيقنت عند ذلك بالهلاك وقد جعلت أتلو عليهم ما عاتني من كتاب الله تعالى ولم أزل كذلك والنيران تضرم وتتزايد في الايقاد وأنا في أشد ما يكون من ضيق الاحوال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الامام رضي الله عنه ذلك قال يا ناقد يرعاني ويرعاكم الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب فهو أرفق بكم مني وأشفق عليكم أكثر من الوالدة على ولدها ثم انه أمر على القوم ناقدا وجنبلا والرغد اوخالدا وأوصاهم بحفظ القوم وسار الامام يطلب العين فلما وصل اليها حل منطقته ونزع ثيابه وأخذ سيفه وحجفته ثم قال لمن أتى معه من أصحابه ان طال عليكم مغيبي فعليكم بباب الحصن فانكم تجدوني وان أنا هلكت فكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون واذا وصلتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرؤه مني السلام واقرؤا أولادي الحسن والحسين وأمهم فاطمة الزهراء مني السلام ثم تقدم الى باب السرب وهو ينشد ويقول شعرا

عليكم سلام الله مني مجددا * سلام محب لا يزال مدا الدهر

سلام على الزهراء فرع نبينا * فلست بناسيها الى موقف الحشر
سلام على الحسنين سبطي محمد * فحبهما مازال يشرح لى صدرى
وان كان قد آن الرحيل وقد دنا * فراقى لمن أهوى ففينا القضا يجرى
عليهم سلام الله فى كل ساعة * يفوح كنشر المسك أو خالص العطر

﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله عنه دخل السرب فسمعه الناس عند نزوله يقول بلوامع الابراق من نور الجبار أطفئ نار المردة الاشرار وازجرهم باسماء الله الكرام الشريفة المنيعة وسر أقسام الله العالية المرفوعة يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ثم غاب فى السرب فلم يسمع له أحد كلاما فلم تكن الا ساعة وقد لاح التماس الشرار من الجانب الآخر من السرب وهو يتساقط يمينا وشمالا وقد سمعوا من داخل السرب صياحا وضجة ولم يزل متماديا وقد خمدت الاصوات وانقطع الدخان وزاد الشرار ولم يسمع الناس للامام كلاما بعد ذلك ولم يعرفوا له خبرا وقد انتظر الناس رجوع الامام فلم يرجع فقلق الناس لذلك قلقا شديدا وماج العسكر بعضه فى بعض وهم ينظرون الى باب الحصن وهم ما بين متضرع وداع والناس يسيرون فى فم السرب الى المكان الذى فيه العسكر ولا يطيب لاحد منهم كلام ولا يقر لهم قرار وكل منهم قلق على الامام رضى الله عنه ولم يزالوا كذلك الى أن مضى من الليل الثلث فبينما القوم فى أشد القلق ﴿قال الراوى﴾ واذا هم يسمعون صوت الامام رضى الله عنه ينادى من أعلا الحصن وهو يقول نصر من الله وفتح قريب فعند ذلك أجابه أصحابه بالتكبير وقد أطلقوا له الاعنة فلما قربوا من باب الحصن سمعوا الاصوات من داخل الحصن وهم ينادون الامان الامان يا ابن أبى طالب والامام يناديهم الى أين يا أولاد اللئام فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا ما أرجع عنكم بمشيئة الله حتى أبدد جمعكم واشتت شملكم وأقتل رجالكم وشجعانكم وفرسانكم ثم وضع السيف فيهم وصار يضرب يمينا وشمالا فتكاثرت القوم عليه فصار يجمعهم بجحفته ويدفعهم فيكردسهم فينزلون الى أسفل الحصن فيصيرون هشيما فأهلك منهم خلقا كثيرا ورأوا منه مالا طاقة لهم به فعند ذلك صاح من بقى منهم الامان الامان يا ابن أبى طالب فقال لهم الامام رضى الله عنه لا أمان لكم عندى حتى تقولوا كلكم لا اله الا الله محمد رسول الله وتلقوا أسلحتكم ويكتف بعضكم بعضا ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ألقى القوم

أسلحتهم من أيديهم وأقبلوا يكتف بعضهم بعضا ولم يبق منهم أحد الا أوثقوه كتافا فانحدر الامام من أعلا الحصن الى أسفله وعمد الى باب الحصن وفتحه وقال لاصحابه ادخلوا وكبروا ومعي على بركة الله وتوفيقه وعونه فكبر القوم ودخلوا بأجمعهم فرحين مسرورين وهزوا أسيافهم وهموا في العسكر بالقتال فلم يجدوا في الحصن مدافعا ولا ممانعا فقال لهم الامام رضي الله عنه أغمدوا اسيوفكم بارك الله فيكم وادخلوا آمنين على أنفسكم وانظروا أهل الحصن كيف صار حالهم فدخل أصحاب الامام آمنين فوجدوا أهل الحصن بعضهم قتيلا وبعضهم مجندلا وبعضهم أسيرا فقال ناقد والله يا أبا الحسن انك لم تفتح لنا باب الحصن حتى لم يبق في القوم لك مطالب ولا معاند والله انك لجسور على الاهوال وبمثل أفعالك تضرب الامثال بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما فعل بعدو الله هجام بن خالد فقال له يا ناقد ان هجام نزل به الحمام من كف الاسد الضرغام والبطل المقدام القرم الهجام ليث بني غالب أمير المؤمنين على ابن أبي طالب ع (قال الراوي) ثم ان الامام جلس يحدث ناقدا بما جرى له في السرب مع المردة ثم مع عدو الله هجام وذلك انه لما رأى الامام وسمع المنادي ظن هجام انه الامام ثم بعد أن طلع من السرب ودخل الحصن وهو قاصد القبة التي فيها عدو الله هجام فاذا هو به نائم كأنه قطعة من جبل على الفراش الملكي فوقف الامام رضي الله عنه عند رأسه ورفسه برجله ولم يعجل عليه بالقتل بل ايقظه على مهل وقال له قم يا ويلك هل أمنت وتحصنت بغرور الشيطان ها أنا على قد أوصلني اليك الرحمن فقال له ومن أين جئت وما تصنع فقال له جئت اليك يا عدو الله اقبض روحك وأعجل دمارك ودمار قومك ولا أزال الى أن يوصلني ربي الى الملك الهضام والهه المنيع وأحرقهم في نارهم التي صنعوها فقال هجام يا ابن أبي طالب من أين دخلت علي أو من أين نزلت الى أمن السماء نزلت أم من الارض خرجت فقد زاد سحرك عن السحرة ومكرك عن المكرة (قال الراوي) فغضب الامام رضي الله عنه غضبا شديدا من قوله وهم أن يعلوه بالسيف فقال له هجام يا ابن أبي طالب ما أنت بهذا موصوف ولا بهذه الفعال معروف فان العرب تذكر عنك انك تساوي الاقران وتنصب طالبك في الميدان وأنا ما أراك الا ملكتني غدرا وخدعتني قهرا فقال الامام وما الذي تريد مني يا عدو الله وعدو رسوله وعدو نفسه فقال له هجام أريد منك يا ابن أبي طالب أن تصارعني فان قدرت

على فلا تبق فقال له الامام لك ذلك يا هجام وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة قوى الساعد شديد البأس وكان اذا ضرب الحجر يصدمته يرعده وكان عدو الله يصرع الرجال بصدمته فتحزم وتشدد وتمنطق وهو يظن أنه ظافر بالامام وشمر عن ساعديه فوثب اليه الامام وداخله وقبض على جنبيه بيديه ورفعه الامام من فوق رأسه وجلد به على الارض فتلاصقت أضلاعه وتكسرت فى جوفه فوقع على الارض ولم يتحرك وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وهلك من وقته وساعته ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه تقدم اليه وقطع رأسه وأخذها فاستقبلته امرأة هجام وقالت له ما فعلت يا رسول المنيع فقال لها الامام فعلت ما أمرتنيه وأنجزت ما جئت اليه ثم خرج من وقته وساعته وطلع الى أعلا الحصن ورأس عدو الله هجام فى يده فأول من لاقاه عطية بن مساور الباهلى وكان قريبا لهجام فلما نظر الى الامام ظن أنه هجام فقال له أنا المقدام مفلق الهامات ومفرج الزحام ومفرق المواكب عندما يشتد الكرب ويعلو القتال فقال له ما الذى فعل بهجام فانى لا أعرف هذا الكلام فقال له الامام أدن منى يا ملعون حتى أخبرك بما فعل بهجام فتأمله فاذا هو الامام على رضى الله تعالى عنه فلما تحققه وعرفه هم أن يطعنه فزاغ عنها الامام وضربه ضربة هاشمية فنزلت فى صدره وبطنه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله تعالى بروحه الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع القوم حس الضربة تواثبوا من مراقدهم قياما على أقدامهم وقالوا بأجمعهم من الضارب ومن المضروب فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه أما الضارب فهو ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الغيث الساكب النجم الثاقب والاسد الطالب والقرم الغالب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأما المضروب فهو صاحبكم عطية بن مساور الباهلى وهذه رأس صاحبكم وكبيركم هجام وقد عجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما سمعوا ذلك من الامام ماج بعضهم فى بعض وحملوا بأجمعهم على الامام حملة واحدة فحمل الامام عليهم حملته المعروفة فى قبائل العرب فارتفع الصياح وكثر الصراخ وتبادر القوم الى باب الحصن فوجدوه مغلوقا على حالته موثوقا باقفاله فطاشت عقولهم وذهلوا وحاروا واندهشوا فتكاثروا على الامام فناداهم الى أين يا لئام يا أولاد اللئام فو الذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا

وندبر اما أرجع عنكم ان شاء الله تعالى حتى أفنيكم بالسيف عن آخركم أو تقولوا بأجمعكم لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال لهم الامام لا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا فأجابوه وأوثقوا أنفسهم كتافا ودخلت أصحاب الامام رضي الله تعالى عنه فوجدوا أهله قد أمنوا ولم يبق لهم حركة وتظروهم على أقسام قسم قتيل وقسم مأسور ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى ذلك نافدا حمر وجهه بالفرح والسرور ثم قال الحمد لله والشكر الجميل الذي يسر علينا العسير ورد علينا سالما يا أبا الحسن * ثم ان الامام أقبل على أصحابه وقال لهم معاشر الناس اجمعوا الذاما بقي في الحصن من النساء والاولاد والأسارى لنفصل معهم أمرنا قبل الصباح فان جيوش الملك قد قربوا منا فتفرق القوم في جوانب الحصن وجمعوا النساء والصبيان ومن بقي أسيرا من الرجال فقتل الجميع بين يدي أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه فأعرض عليهم الاسلام وقال لهم المختار والكم واحدة من اثنين اما أن تقولوا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والا أفنيكم بالسيف عن آخركم فقالوا يا ابن أبي طالب انا لا نعرف لنا الها غير المسيح ولا تفارق دينه ولا عبادته من حين ما ظهر لنا من آياته ومعجزاته ودلالاته فوحقه لا نتبعك ولا نركن اليك ولا الى ابن عمك محمد أبدا وافعل بنا ما شئت فقال لهم الامام رضي الله تعالى عنه ان الله غني عن العالمين ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام جلس متوركا كالاسد اذا عاين فريسته ثم قال لاصحابه دونكم وأعداء الله فلا تبقوا على أحد منهم وأنا كذلك معكم وقولوا معي الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر نصر من الله وفتح قريب ان الدين عند الله الاسلام فلم يكن الا كلمح البصر حتى قضوا عليهم جميعا ولم يبق في الحصن المشرف من أصحاب همام لا كبير ولا صغير ولا امرأة ولا بنت ثم ان الامام أقبل على أصحابه وقال لهم يا قوم تفرقوا في هذا الحصن واجمعوا الامتعة والاسلحة والاسلاب وجميع ما تجدوه من المتاع فمضى أصحاب الامام رضي الله تعالى عنه وتفرقوا في الحصن وجمعوا ما كان فيه فأخذه ووضعه في قلعة همام بن أسد الباهلي وختم عليه ثم انه عمر الحصن المشرف بقوم من المسلمين الذين معه وأمر عليهم عوف بن صفوان الباهلي وأوصاهم بحفظ الحصن وحفظ ما فيه من الاموال والامتعة وغير ذلك وأقام القوم في الحصن الى آخر الليل ثم تفكر الامام في العواقب فأمر أصحابه بالخروج

من الحصن فخرج الامام وخرج أصحابه الى أن أتوا الى المكان الذى كانوا فيه أولا فلما نزلوا وتكاملوا تولى الامام حرس القوم بنفسه فلما كان وقت السحر وهو يحوم من حول أصحابه كالراعى الشفوق على أغنامه واذا هو بثلاثة فوارس مقبلين على جادة الطريق فلما تحققهم ترك أصحابه وأطلق عنان جواده اليهم من قبل أن يصلوا الى عسكره فلما وصل اليهم قال لهم من أنتم ياوجوه العرب ومن أين أقبلتم والى أين تريدون فظنوا أنه من الحصن المشرف فقالوا والله نحن طليعة من جيش الملك المصام قدقدمونا لنأخذ لهم خبر هذا الغلام على بن أبى طالب وقد كان بعث قبلنا طليعة مع جويرة بن أسد وهى أربعة آلاف فارس ليأخذوا له خبر هذا الغلام والى أين وصل فهل عندك منه خبر ياهذا فقال لهم الامام بئس الاخبار وأقبح الآثار أما جويرة فانه أسلم وأقر لله بالوحدانية وها هو معنا مسلما وأما أصحابه فقد قتلوا عن آخرهم وأما على فهو أنا الذى أكلمكم وأنتم بين يديه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا ذلك ذهلوا وهموا بالفرار فلوى الامام على واحد منهم وضربه بالسيف فوقعت الضربة على رأسه ووصل السيف الى صدره ولم يزل الى أن قطع السرج وقطع ظهر الحصان فتكردس مع فرسه الى الارض وكل منهم قطعتين ثم هم الامام بالاثنين الآخرين فقالوا يا ابن أبى طالب أبق علينا فقال لهم الامام ان يجيركم من سيفى الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم ثم سار الاثنان بين يديه فأتى بهم الى عسكره وسألهم عن حالهم وخبر الملك المصام فأخبروه بخبره وخبر الطليعة التى أرسلها امامهم وهى عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وانهم قاصدون الامام فقال لهم الامام ياقوم تأهبوا للرحيل ثم تقدم وأذن الفجر وأمر الناس بالصلاة ثم تقدم وصلى بهم صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته أقبل على أصحابه وقال لهم ياقوم اركبوا خيولكم واستعدوا بآلة حربكم وارتحلوا على بركة الله وعونه ثم ركب الامام رضى الله تعالى عنه امام القوم وجعل يقول شعرا

أنا على عابد الجبار * أنا ابن عم المصطفى المختار

أنا المسمى بالفتى الكرار * أنا نقمة الله على الاشرار

أبيدهم بضرب ذى الفقار * الجالب الويل مع الدمار

لا تخون الهام بالشفار * حتى يصير الدم كالبحار

وصل يارب على المختار * زين البرايا صاحب الانوار

(قال الراوى) وما زالوا سائرين الى وقت الظهر والامام رضى الله تعالى عنه أمام القوم فبينما هم كذلك اذا هم أشرفوا على عسكر جرار كالبحر الزاخر وله صياح طالع وغبار ساطع وأسنة لها ضياء لامع فالتفت الامام لقومه وقال قد أتاكم عسكر جرار ولا شك أن هذين الاثنين ورفيقهم الذى قتلناه كانوا طليعة هؤلاء القوم وأنا أكون طليعتكم ان شاء الله تعالى ثم أطلق عنان جواده وتقدم منفردا بنفسه الى أن قرب من القوم فناداهم برفيع صوته معاشر الناس أعلوا رؤسكم وأخبروا ما مرادكم والى أين قصدكم فقالوا له ياهذا نحن من جيش الملك الهضام قد أرسلنا نقاتل هذا الغلام على ابن أبى طالب فقال لهم ياقوم انا قاصدكم ومرادكم أنا على بن أبى طالب فها أنا بين أيديكم ثم حمل على المخاطب وضربه بذى الفقار على رأسه ففى الحين نزل السيف الى السرج والحصان فتكردس مع جواده سريعا يغوص فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) ثم كبر الامام وحمل على القوم وحملوا عليه لحضر أصحاب الامام وحملوا فى أثره وقد ارتجت الارض بالتكبير وتصايح الجيشان واقتتل الفريقان قتالا شديدا حتى خاضت الخيل فى الدماء فلم تكن غير ساعة حتى كبر المسلمون وكسروا المشركين ومال فيهم الامام وحمل عليهم حملة علوية هاشمية وصاح بهم الى أين ياأولاد اللئام فلم تكن الاهنيهة وقد ولى المشركون الادبار وركنوا الى الفرار وأخذهم السيف من جميع الجهات والاقطار فقال لهم الامام يامعاشر الارذال قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله تكونوا من الفائزين وعن النار مبعدين والى الجنة مقربين فلم يقل أحد منهم لا اله الا الله وقالوا ياابن أبى طالب ما نتبعك ولا نترك الهنا المنيع لا كان ذلك أبدا ولو قتلنا عن آخرنا وكان عدتهم عشرة آلاف فارس (قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك قال لاصحابه دونكم ياقوم وأعداء الله فلا تبقوا منهم أحدا أبدا فمكن المسلمون السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم وقد حاز الامام رضى الله عنه جميع الاسلاب والاسلحة والخيول وبعث به جماعة من قومه الى الحصن المشرف وكانت غنيمة عظيمة وأقام الامام بقومه بقية يومه فى مكان الوقعة وبات تلك الليلة فلما برق ضياء الفجر أذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح ثم أقبل عليهم وقال معاشر الناس ان هذا عدو الهضام قد خرج اليكم بجنوده وعساكره

وقد قرب اليكم وانه لم يبق بيننا و بينه غير مسيرة الراكب المجد يوما والماشي يومان ومعه مائة ألف فارس غير ما اجتمع اليهم بعد مسيرهم وانه قدم اليكم هذه العشرة آلاف فارس فأظفركم الله بهم وأقدركم عليهم وملككم متاعهم وجميع ما كان معهم فما الذي ترونه من الرأى هل نسير اليهم أو نتمهل الى أن يسير واالينا مع أن مسيرنا اليهم وهجومنا عليهم أهيب لنا في قلوبهم فما أنتم قائلون فاني لا أفعل شيأ الا بمشورتكم ولا أخالفكم ولا أحملكم ما لا تطيقون فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله افعل ما تختاره وما تريده ودبر أمرك كيف شئت فانا بكلامك سامعون ولامرك مطيعون ومبادرون غير مخالفين ان شاء الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ فأقبل ناقد وقال يا أبا الحسن أنت أعلم منا بالامور وأخبر فلك القول ومنا السمع والاجابة ثم أقبل جويرية وجنبل الى الامام رضي الله عنه وقالوا يا أمير المؤمنين تأن في مسيرك الى أن يبعث الينا عدو الله طلائع متفرقة فيكون ذلك أهيب لنا وأقرب علينا لان جيوش الملك في تكاثر من العدد وتزايد في المدد وما من يوم الا وتأتي اليه الجيوش من جميع الاقطار ونحن يا أمير المؤمنين مطيعون لامرك وتحت يدك فقال جنبل والله يا أمير المؤمنين ما أحب الا أن أكون معك وبين يديك أينما سلكت وأينما توجهت الا أن التأني فيه خير الى أن تأتي عساكر وطلائع نبلغ آمالنا منهم وبعد ذلك نسير الى حصنهم فجزاهم الامام خيرا وتبع كلامهم ﴿قال الراوى﴾ ثم أذن الامام رضى الله عنه فنزل القوم واستراحوا ولم يزل الامام مقيما الى وقت العصر فلم يأت اليه أحد فأمر بالرحيل بالقوم وسار وجد في السير الى أن وصل الى الحصن الاسود فنظر اليه الامام فاذا هو كأنه قطعة من الليل الدامس فتأمله الامام رضي الله عنه فاذا المشركون قد تحصنوا فيه وأشهروا سلاحهم ورفعوا راياتهم فلما أشرف عليهم عسكر الامام لم يكترثوا به لثقتهم بحصنهم وان الملك الهضام سائر اليهم فعند ذلك نزل الامام بجيشه متباعدا ثم سار الامام وحده الى الحصن فلما قرب من الحصن ناداهم يا معاشر الناس ان كان لكم شفقة على أنفسكم ورغبة في حياتكم فافتحوا لنا باب الحصن فان أبيتم ذلك فنحن نسفك دماءكم وننهب أموالكم ونسبي حريمكم ونأخذ أموالكم بعد أن نقتلكم عن آخركم أو تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان قلتموها أكف عنكم الشر ويأتيكم مني الخير ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا ذلك من الامام رضى الله عنه قالوا

له بعد أن تصايحوا عليه بأعلا أصواتهم وقالوا أنت يا غلام اعتديت علينا حتى أتيت الى حصننا وتجاريت علينا بهذا الكلام فمن تكون أنت وما دينك فوحق المنيع ما نعرفك فقال لهم الامام يا ويلكم أنا صاحب حصن الوحوش وحصن رامق وحصن الصخر وحصن المشرف أنا قاتل رجالكم ومفنى أبطالكم يا ويلكم أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الليث المحارب والحسام القاضب البحر الساكب النجم الثاقب الاسد الطالب والقرم الغالب الصنديد المحارب الفارس الضارب المذكور عند المطامع والمواهب فارس المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع (قال الراوى) فعند ذلك أجابه صاحب الحصن الاسود وهو مساور السفاك الباهلى وقال يا ابن أبى طالب انا نعلم ان انصرام عمرك ودنو أجلك هو الذى أوصلك الى ما وصلت وبلغك لى ما بلغت وقد وقعت فى أوطاننا بهذه الشرذمة القليلة والعصابة اليسيرة وهذا الملك بطل مذكور وفارس مشهور وجميع القبائل اجتمعوا عليه وأتوا معه وقد دنا وصولهم اليك ويحدقون بك كاحداق بياض العين بسوادها وما أنت وقومك الا كلقمة أحدهم أو شربة يشربها وأما نحن فيقاتل بعضنا بعضا على خيلكم وسلاحكم وقسمناها قبل وصولكم الينا فلا تتعرض لقوم قد صرت أسيرا معهم وفى قبضتهم فلما سمع الامام ذلك من عدو الله فار بالغيظ وغضب غضبا شديدا وقال ستعلم يا ملعون اذا تحققت الحقائق من يكون قسم صاحبه فانه ما عدل بى اليكم وأوقفنى عليكم الا أنى أقدم اليكم الاعذار والانذار فان أبيتم فما على الرسول الا البلاغ ثم رجع الامام رضى الله تعالى عنه الى مكانه وقد اصفر وجهه وتغير لونه من الغيظ فسأله الناس عن أمره وقالوا يا أبا الحسن ما لنا نراك متغير اللون مصفر الوجه فقال لهم بما سمعت من عدو الله مساور السفاك من فوق جدار الحصن وانى لا أفارقه حتى يأذن الله سبحانه وتعالى وأظنه صاحبهم والقائم بأمر الحصن فوالله لو وصلت اليه لكان هان على فعله وكلامه ثم ذكر لاصحابه ما قاله عدو الله ثم قال معاشر الناس أشيروا على بما أصنع فانى أخشى من قدوم عدو الله المضام قبل أن نملك هذا الحصن فانه حصن منيع وما فتحت حصنا الا والذى بعده أشد منه ع (قال الراوى) فقال له جويرثة يا أمير المؤمنين ان فتح هذا الحصن بعيد والوصول اليه صعب شديد لان حجارته أشد من الحديد

والماء عندهم غزير وطعامهم كثير وصاحبه المتولى عليه صنديد وبطل جليد وفارس عنيد ولذلك سموه السفاك فهو المعروف بالسفك بين قبائل العرب بسفكه دماء الرجال وقتله الابطال ثم قال ناقد ياسيدى ان لم يفتح الباب لك والا أقمنا عليه الى أن يأذن الله سبحانه وتعالى بفتحه لانه مبنى بحجر أسود اذا ضرب بالمعاويل يخرج منه شرار نار ولم تعمل فيه المعاويل شيأ وبابه وثيق لاتنقله الرجال ولاتحركه الابطال فقال الامام اذا أذن الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت أركانه وتساقطت حيطانه وتخلخلت جدرانه ثم تلا قوله تعالى واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فقال ناقد انما اتفقنا بالله وتوكلنا عليه فقال الامام له امسك يا ناقد فامسك ناقد عند ذلك عن الكلام ونزل الامام بجنب الحصن بحيث لا تصل اليه سهامهم ولم يزل الامام قائما الى وقت الزوال ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو كذلك اذا أشرف اليه رجل راكب على مطية قد أرسل زمامها وطول خطامها وهى تخرق الارض خرقا وتقطع البيد قطعا الى أن وصل الى عسكر المسلمين فنادى برفيع صوته معاشر الناس انى رسول اليكم فلى الامان من أسيافكم ثم من سيف صاحبكم حتى أبلغكم ما معى من الرسالة فلما سمع ذلك الامام رضى الله عنه قال لك ذلك الامان ولكن لا أمان الا لاهل الفضل والاحسان والجود والكرم فأناخ الرجل مطيته وقال له أظنك أنت صاحب الجيش وأصلك من قريش فقال الامام نعم فقال له أنت مشوش النعائم وفالق الجماجم الموصوف بالعظائم فقال الامام نعم فقال له لقد نالك ونال فيك أبو طالب والدك أمنيته ولو أنه عاش الى أن يرى أيامك المشهورة ووقائعك المذكورة وما قد نلته من الشجاعة والقوة والبراعة لابتهج بك سرورا ولامتلأ قلبه منك حبورا ونورا يا ابن عبد مناف انه ينبغى للعاقل أن يبقى لرضا من سخطه ولحلمه من غضبه ويدع التعرض لعدو ومن لا يعاديه فقد علمت أنك تعديت فيما فعلت وقتلت العرب وأخذت مالهم حتى أنك هجمت عليهم فى ديارهم وهجمت على الملك وقتلت رجاله وفتحت حصونه وأخذت ماله وملكتهم وحولت رجاله عن دينه وأخذت أولاده فمنهم واحد أدخلته فى دينك والآخر قتلته من غير ذنب ولا خطيئة سبقت منه اليك ثم انك بعد ذلك سائر اليه وقد أخذت رجاله معك تريد بهم قتاله وأنت تعلم أن البغى مصرعة الرجال فطاوعنى فانى شيخ كبير قد عاركنى الزمان والدهور وشاهدت

عظائم

عظائم الامور ولو كنت تعرف مكانى ومقدارى على أقرانى وانى أشير عليك بمشورة الوالد على ولده انك ترجع على أثرك فقد بلغت ما بلغت وصنعت ما صنعت فارسل أنت الى الملك الهضام ما أخذته من ملكه وأنا أسأله أن يصفح عنهم فيما فعلوه من تغيير دينهم ولا يكلمهم لاجلك واطلب لنفسك نجاتها واعلم يا ابن أبى طالب انى تركت من ورائى مائة ألف فارس يتصرعون القتال ويتمنون الحرب والنزال والملك أطول منهم باعا وأشد منهم ذراعا وهذه الشرذمة التى هى معك كاكلة الجائع أو شربة فاقبل النصيحة وأنشد يقول

انى نصحتك يا ابن عبد مناف * بالرفق فاقبل واعظ الاشراف
واسمع نصيحة من أتى بنصيحة * فالدهر ما يبقى له من ساقى
فارجع كريما ناجيا وسلما * من قبل أن تلقى الى الاتلاف

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامام هذه المقالة من الشيخ اشتد غيظه وأطرق برأسه الى الارض مليا فظن الشيخ انه قد انقطع عن الجواب فرفع الامام رضى الله عنه رأسه الى الشيخ وقال له ما اسمك أيها الشيخ فقال له أنا اسمى موهوب فقال الامام رضى الله عنه وكرم وجهه يا موهوب انى ما ذهب عنى شئ من جوابك ولا انقطع عنى شئ من خطابك فانى تفكرت فى شئ لو أشرت من الجواب لطال فيه الشرح والخطاب لان الاختصار فى الامور أقطع للشرور وانى ما فعلت الا بأمر الله وأمر رسوله لان الله أمرنا بجهاد الكفار وبقتال الاشرار حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فانى ما خرجت من عند ابن عمى محمد وأنا لا أتكل على حيلى ولا على قوتى وما تقتى الا بربى فعليه اتكالى فهو عالم بحالى وبكل أمورى وقد ملكت بعض الحصون وان شاء الله تعالى أملك باقيها فهل جئت يا شيخ فى شئ غير هذا فقال نعم معى كتاب فان شئت أدفعه لك والا فلا فقال له الامام رضى الله عنه نعم هلم الى بكتابك فتقدم الشيخ وناوله الكتاب ﴿قال الراوى﴾ فأخذ الامام رضى الله عنه الكتاب منه وقرأه فاذا فيه مكتوب باسمك اللهم من صاحب الدار والقرار مميت كل جبار بالعزم البتار ملك الملوك المذل لهيبته كل سيد وصعلوك الهضام بن عون بن غانم الباهلى الملقب بزارة الموت الى الحدث العصفور أو الطفل المغرور على بن أبى طالب أما بعد فان الذى فعلته وصلت اليه وأدركته فبابقاء المنيع عليك واحسانه اليك

فلا تغتر بفعالك والا زحفت عليك باسود زائرة ووحوش كاسرة موافرة وأبطال الحرب متبادرة فيتركونك كشيء كان ولا بان وان أنت أطعت وأتيت مع حاصل هذا أبقينا عليك وأحسنا اليك فانظر لنفسك وتدبر أمرك وقد أعذر من أنذر فلما قرأ الامام كرم الله وجهه ورضي الله عنه الكتاب وقع من يده من شدة الغيظ وصرخ في وجه موهوب فبقي موهوب ينتفض كالسعفة في الريح البارد نخر مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته قال له الامام قم ياويلك لولا انك رسول لبعثن رأسك لصاحبك فارجع اليه وقل له ليس عندي الا السيف هذا وهز ذا الفقار في وجهه فارتعدت فرائصه واصفر لونه وتغيرت حالته فقال يا ابن أبي طالب لا تعجل علي فانما أنا رسول فقال له الامام ياهذا قد سبق لك أماني أيهدد في صاحبك ومايعلم اني أشتهي القتال أكثر من أن يشتهي الظمآن الماء البارد وقد أمرني الله سبحانه وتعالى أن أقاتل الكفار وأحل بهم الويل والدمار وأحل بهم البوار ﴿قال الراوي﴾ فوثب موهوب قائما على قدميه وولى راجعا من حيث جاء وهو لا يصدق لنفسه بالخلاص من بين يدي الامام فصار يجد السير الى أن وصل الى الملك الهضام فلما نظره صدوا قال له ياموهوب أخبرني ما قلت وما قيل لك فقال له أيها الملك قد جاوز المقدار ويرمي كل من يخاطبه بالنار وكلامه على الفؤاد لهيب نار ويرمي بجانبه اذا تكلم كانه الرعد القاصف اذا تقعقع أو الجبل الشامخ اذا انقطع وما كنت مصدقا اني راجع من زجراته ونهراته واني قد حاولته بمحاولة المطارد أرجو بذلك رجوعه عما هو عازم عليه واليه قاصد فما رأيته يزداد الا غيظا وحنقا وانه لم يكن أهلا لرد الجواب ولا أبقى موضعا للخطاب فانظر ما أنت له صانع فان هذا الغلام همام وأسد ضرغام وقضاء نازل لا يرد ولا يقاوم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك ما قاله موهوب جعل يعض على أنامله ولحيته من شدة غيظه ثم جمع كبراء قومه وسادات عشيرته ووجوه أهل مملكته فلما أتوا اليه ووقفوا بين يديه قال لهم ياقوم ما تقولون في هذا الامر الذي وصل الينا من هذا الغلام وان الملوك والسادات تقول في شأن مجالها [illegible] كبراء قومه وقالوا له أيها الملك الذي تراه برأيك السعيد هو الصواب [illegible] الرأي عندي أن أرسل له همام في جيش عظيم فيأتي بهذا الغلام [illegible] فقالوا له نعم الرأي أيها الملك فالتفت الملك وقال

أين همام فقال لبيك ما الذي تريد قال له انتخب من قومك فرسانا أشدا وأتوني بهذا الغلام فعند ذلك انتخب من قومه سبعة آلاف فارس ستناديد عوابس وسار بهم نحو الامام رضي الله عنه فهذا ما كان من أمر الهضام وقومه ﴿قال الراوي﴾ وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فانه حين رجع من عنده وهو بالي عدو الله الهضام جلس بين أصحابه يحدث معهم وهم يحدثونه فلاح منه التفاتة فنظر الى غبار قد علا وارتفع حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان عن كتائب فقال معاشر الناس هذه كتائب قد أشرفت عليكم وليس هو العسكر الأعظم ولا شك أنها طليعة أو سرية وكان الامام قد عدل بأصحابه من الحصن الى أرض فسيحة تصلح للميدان ومجال الفرسان ولم يزل القوم سائرين الى أن وصلوا الى جيش الامام فتأملهم الامام رضي الله عنه فعرفهم فقال لأصحابه يا قوم ان هؤلاء سبعة آلاف فارس لا يزيدون ولا ينقصون وهمام لم يقف بالقوم ولم يهيئهم للقتال ولا رتبهم للنزال فلما رأى الامام ذلك قال لا شك ان هذا الغلام أهوج أو مجنون أو به اختلال ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الامام أطلق عنان جواده وأشار لأصحابه فحملوا في أثره وجعل الامام رضي الله عنه يقول بسم الله وفي سبيل الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتحم القتال وتواثبت الرجال والتقت الابطال واشتبكت الرجال بالرجال وعلا الصراخ وكثر الصياح وصبروا صبر الكرام واشتد الزحام وعلا القيام وانهشمت العظام وجرى العرق وكثر القلق وازور الحدق وتمزقت الحقائق وأمير المؤمنين رضي الله عنه يضرب يمينا وشمالا فلم تر بين يديه الا قتلى مجندلة وقد داست الخيل عليهم والامام ينادي أنا الليث الهمام أنا الاسد الضرغام أنا البطل المقدام أنا نسل الكرام أنا فارس الآكام أنا زوج البتول أنا ابن عم الرسول أنا سيف الله المسلول أنا مفرق الكتائب أنا مظهر الغرائب أنا ليث بني غالب أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا ذلك هابوه ورموهم بالنبال وصار أهل الحصن يرمون بالاحجار فلم تبلغ أحجارا المسلمين اليهم ولا أثرت عند أعداء الله وعدو الله السفاك ينادي يا ابن أبي طالب أتريد أن تمن علينا الآن وتقول لنا كلاما ليس له بيان وتملكنا بالزور والبهتان لتصير قومنا عبيدا لك ومن عتقائك وكان كل ذلك استهزاء بالامام فلم يرد عليه

جوابا ولم يبد له خطابا وقد بلغ الغيظ من الامام مبلغا عظيما فبينما هم كذلك
اذ لاحت لهم غبرة عظيمة هائلة فنظرها أصحاب الحصن قبل أصحاب الامام فسكتوا
عن الصراخ وانقطعوا عن الصياح وجعلوا ينظرون الى الذى أتاهم وهم فرحون
مسرورون والامام لا يعلم بشئ من ذلك بل انه أنكر عليهم حتى قطعوا ما كانوا فيه
من الصياح والصراخ فالتفت الى ورائه وكان كثير الالتفات فنظر الى غبرة
ثائرة وعجاجة متعلقة مرتفعة وخيول كثيرة وهى سائرة نحوه ﴿قال الراوى﴾
فلما رآهم الامام نادى معاشر الناس قربوا عن هؤلاء اللئام ودونكم والخيل يا بنى
الكرام فعطف الناس على الحصن مسرعين والى الخيل مبادرين فاحتدت
بهم العطعطة والصياح من أعلا الحصن فظن اللئام أن الامام رضى الله عنه هارب
بأصحابه فقال له مساورة الى أين تريد يا ابن أبى طالب وقد جاء الملك لاستقبالك
لما علم بقدومك فلم يرد عليه الامام جوابا بل انه تقدم جواده واستوى عليه را كبا وكثر
الطعن والضرب حتى دار المشركون من حول الامام كالحلقة الدائرة فبينما هم كذلك
واذا بصائح يصيح بالامام فقصد نحوه فاذا هو بناقد وقد كان ناقد قاتل فى هذا اليوم
قتالا شديدا فبينما ناقد فى معمعة الحرب اذ عرفه عمه غمام رأس القوم فصاح به يا ناقد
فقال له ما تريد يا غمام فقال له ويحك يا ناقد أنا عمك غمام فقال له نعم أنت عمى وبقتلك
أبرد قلبى وأكشف همى وغمى فغضب غمام من ناقد ابن أخيه غضبا شديدا وقال
وحق المنيع لآخذنك قبل ابن أبى طالب وأكافؤك على قولك ثم حمل عليه وهاجمه
وهم أن يقتلعه من بحر سرجه فما أمكنه فبادره بضربة وظن انه قد قتل منها فتلقاها
ناقد فى الدرقة ولوحها قبل أن تصل اليه ولم يصبه منها شئ فلما رأى ذلك هجم عليه عمه
غمام وهو لا يريد أحدا غيره فداخله وأراد أن يقتلعه من بحر سرجه وضرب بيده اليه
وضرب الآخر يده على عمه وربطوا بعضهما فى سروجهما وتعاركا على جواديهما
فبينما ناقد مع عمه غمام على هذه الحالة اذ سمع صوته أمير المؤمنين رضى الله عنه
فصاح ناقد لاجل أن يعرف الامام مكانه وكان عدو الله رابطه فقصد الامام الى نحوه
واذ هو ناقد متشابك مع عمه غمام فناداه يا ناقد أبشر فقد أتاك الفرج من عند الله ومن
أميرك فلما نظر عدو الله هجمة الامام عليه وسرعته اليه سبق ناقد وتأخر الى ورائه
وصرخ بقومه فمالت اليه الكتائب وتبادرت نحوه المواكب وخرج اليه مساورة

من

من الحصن بقومه وأنجده وقال للامام الى أين يا ابن أبي طالب من يخلصك مني وأين ابن عمك محمد هيهات هيهات ان عاد ينظر اليك بعد هذا اليوم ﴿قال الراوي﴾ فناداه الامام وهو مغضب وقال له يا عدو الله وعدو نفسه أدن مني حتى أعرفك مقدارك ثم بادر اليه وعطف بالهجمة عليه فحالت من دونه الفرسان وبادرت اليه الشجعان ومنعوا بينه وبين الامام فرجع غمام الى ناقد وهو معه في المعركة وصار القوم فرقة تصرخ بناقد وفرقة تصرخ بغمام وفرقة تصرخ بمساورة وفرقة تصرخ بالامام فبينماهم كذلك واذاهم بصوت ناقد من تحت الغبار وهو يقول أحضر الي يا أبا الحسن فقد غلبت من نفسي وهم أن علكني عمي فقال الامام يا غمام تخل عن ولي الله فأنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ثم مال الامام نحوه فلما نظر غمام الى الامام وحملته عليه أطلق ناقدا من يده وقال خذه يا ابن أبي طالب هو هدية مني اليك فقال له بل هو رغما عن أنفك يا عدو الله فقال ناقد سألتك بحق الله تعالى وابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن الا ما تركتني حتى أشفي غليلي وأبرد ما بقلبي منه بقتله فقال له يا ناقد دونك وإياه فجرد ناقد سيفه وأراد أن يضرب عمه غمام فوثب اليه كالبرق وسبقه بضربة فتلقاها ناقد بدرقته فلم يصبه منها شيء فصرخ به الامام وحمل عليه فحمل أصحابهما معهما على الامام وعلى أصحابه وتلاحم القوم وعملت الصوارم وقاتل عدو الله غمام قتالا شديدا وحملت الفرسان وبادرت الشجعان وتخضبت بالدماء وزحف عدو الله مساورة وأصحابه نحو الامام وعلى رأسه بيضة عادية وعليه درع من نسج داود عليه السلام وكان عدو الله قد خرج ذلك اليوم وبرز اليه وقد كان عدو الله أوصى أصحابه وقال لهم اذا رأيتموني وقد وثبت على ابن أبي طالب فانجدوني ثم حمل عدو الله على الامام ﴿قال الراوي﴾ فلما وصل عدو الله مساورة بحملته على الامام وصرخ على الامام فلم تؤثر صرخته فيه شيأ لما عليه من الهيبة والقوة فتقدم الامام اليه وضربه ضربة هاشمية علوية وقال مع ضربته الله أكبر خذها يا عدو الله من يد علي ولي الله فتلقاها عدو الله في درقته فقطع السيف الدرقة ونزل الى رأس عدو الله فجرحها جرحا يسيرا فلما احس عدو الله بالضربة ولى هاربا وللنجاة طالبا فاستجار في قومه فلما وصل اليهم قالوا ما رأيت من ابن أبي طالب قال لهم رأيت ضربات هائلات وحق المنيع ما هي ضربات

انسى بل هى ضربات جنى ثم هم أن يولى بقومه هاربا الى الحصن فلما انظر غمام وهو راجع بالهمة هو وقومه الى الحصن قال مكانك فكانك بأخى علقمة وقد أشرف علينا بسبعة آلاف فارس فلما سمع ذلك من غمام سكن عنه روعه وعاد الى القتال ومعه قومه فتقدمت الرغدا بنت الخطاف الى الامام رضى الله عنه وقالت له يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم تقدموا الينا فى المكان ومنعونا عن الجولان وأحدقوا بنا كاحداق بياض العين بسوادها أتأذن لى أن أحمل عليهم فأسصهم عنا فقال لها الامام رضى الله عنه احملى بارك الله فيك وأنا أحمل معك ﴿قال الراوى﴾ فكشفت الرغدا بنت الخطاف لثامها وأطلقت عنان جوادها وحملت على القوم وحمل الامام معها وقال لها يا رغدا الاتعافى ومعك أميرك فلما سمعت الرغدا ذلك من الامام صارت كالاسد اذا عاين فريسته وحطت فى القوم فصارت كل من ملكته تزيل رأسه عن جثته وجالت فيهم يمينا وشمالا حتى قتلت منهم مقتلة عظيمة فلما عاين المشركون ذلك منها قالوا الاصبر لنا على هذا ثم تأخروا الى ورائهم فصاحت بهم الى أين يا أولاد اللئام دونكم وموارد الحمام فتقدمت اليها الفرسان واحتاطت بها الشجعان وصار الامام فى أثر الرغدا واحتاطت الرجال وكثر النزال وثار العجاج وارتفع الغبار وأظلم النهار وقال الامام رضى الله عنه قد رأيت جويرتة فى ذلك اليوم وهو قابض على سيفه وهو يجول يمينا وشمالا فاثر آثارا حسنة ولقد رأيت الرغدا فى ذلك اليوم وقد تخضبت بالدماء وهى تقول شرب دماء الأبطال خير من الماء البارد الزلال هلموا الى الجدال يامعاشر الأرذال ثم قال الامام رضى الله عنه ما رأيت فى هذا اليوم أخف من الرغدا بنت الخطاف فى القتال ومبادرة النزال ولا أصبر ولا أسرع منها ضربا فى صدور الرجال حتى قد كان بعض القوم يظن أنها الامام من شدتها وقوتها وفراستها وشجاعتها رضى الله تعالى عنها ولعن أباها الخطاف ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل الحرب بين الفريقين وازدادت العساكر ووقع الضرب والكرب وعلا الصياح بين الفريقين فقال الامام لاصحابه يا قوم ان فى هذه الساعة ينصرنا الله عليهم فاحملوا بارك الله فيكم وأصدقوا الحملة بالضرب ودونكم مواقع الطعان والحرب ﴿قال الراوى﴾ ثم حمل الامام رضى الله عنه وما زال حتى صار فى وسط المشركين فنظر علما

كبيرا

كبيراهائلا كثير الجواهر واليواقيت وقد نظم رمحه من أعلاه الى أسفله باللؤلؤ الرطب فكان اذا طلعت الشمس أشرقت الارض بنوره حتى يكاد يخطف الابصار وكان ذلك العلم أهداه صاحب بلاد عمان الى الملك الهضام فلما أراد أن يخرج أخاه عمام الى الامام دفع اليه ذلك العلم وقال له يا أخي خذ هذا العلم معك لتفتخر به على ابن أبي طالب وليعلم أن ابن عمه محمدا وجميع من معه لا يقدرون على مثله وكان اذا سار نصب ذلك العلم على رأسه فأخذه عمام وسار الى الامام فتأمله الامام في ذلك اليوم ونظر الى حسنه ولمعان جواهره واشراق يواقيته وطوله وعرضه وطنين الجلاجل التي في جوانبه وهي جلاجل من ذهب خالص وكانت أحباله من الابريسم موثوقة بجوانبه تحمله الرجال وتمسكه الابطال فكان لا يطيق حمله الاعدة من الرجال لثقله واهتزازه واضطرابه واذا ركزوه تفرقوا من حوله وجذبوه بأحباله من كل الجهات مثل الخيمة ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر الامام على رضى الله عنه ذلك العلم وصفته قال لاصحابه يا قوم احملوا عليهم فاني حامل على صاحب العلم فعسى أن أملكه منه واقتلعه من يده ان شاء الله تعالى فتقدم اليه ناقد وقال له وأنا معك يا أمير المؤمنين وتبادر القوم الى الامام وكل منهم يقول وأنا معك يا ابن عم رسول الله والامام يقول بارك الله فيكم فحمل الامام وأصحابه على صاحب العلم وهو ينشد ويقول شعرا

يارب فارزقنا من القوم العلم * وامنن به ياذا الجلال وذا الكرم
فأنت رب المشعرين والحرم * وخالق الخلق وبارئ النسم
يارب طه المصطفى خير الامم * أنعم به ياواهبا كل النعم
بحرمة الهادى النبي المحترم * صلوا عليه وسلموا خير الامم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام من شعره حمل وقومه في أثره الى أن وصل الى العلم فاذا هو مع رجل جسيم تام الخلقة طويل السواعد كأنه صخرة أو قطعة جلود وهو قابض عليه والرجال متفرقون من حوله وبأيديهم الاحبال التي وصفناها وقد أضاءت وجوههم من لمعان تلك الجواهر فلما وصل اليهم الامام رضى الله عنه تصارخوا بأجمعهم وصاح كبيرهم بالعرب أنجدوني قبل أن يؤخذ منكم العلم فتصارخت الرجال بالامام من كل جانب ومكان وهو لا يلوى الى صراخهم ولا

يلتفت اليهم ولا يعيا من زعقاتهم ولم يرجع عن الذى معه العلم حتى ضربه ضربة هاشمية علوية فقسمه قسمين ولم يتحرك ولم ينطق بكلام ولم يبرح من مكانه فمال العلم من يده فلما رآه الذين هم ماسكون الاحبال تركوه وولوا هاربين وللنجاة طالبين فبادر الامام رضى الله عنه الى العلم وأخذه قبل سقوطه الى الأرض وضمه بين يديه فأسرع القوم اليه وهم يظنون أن لا يطيق حمله الامام ولما حمل العلم انطلق به ولوى عنان جواده الى قومه فلحقه همام ومساورة يتصارخون بالامام وكان قد خرج الامام بالعلم من بين المشركين ولم يزل يرمح جواده الى أن دخل الى وسط عسكر المسلمين فقال الله أكبر وكبر المسلمون معه وفرحوا فرحا شديدا حين اغتنموه المسلمون وكان أكبر غنيمة اغتنموها فى ذلك اليوم ﴿قال الراوى﴾ فلما أخذ العلم من المشركين انحصرت قلوبهم وخمدت حركتهم وانقطعت فورتهم وذهبت قوتهم واتقهر همام قهرا عظيما حتى كاد أن يتفرقع من شدة غيظه وتغير لونه واصفر وجهه فقال له مساورة يا همام ماهذا الهم والغم الذى داخلك وأخوك يأتينا من خلفهم ونحن نتفرق عليهم أحدنا يأتيهم من جانب والآخر من بين أيديهم ونحن نعجزه كلنا فهو ولا يطير فى السماء ولا ينزل فى الأرض فقال همام وحق المسيح ان ابن أبى طالب لا يغلبه غالب ولا عاد يخلص هذا العلم من يده كل من فى الأرض جميعا ولو خرج اليه أخى المضام فى جميع عسكره ولولا أن ابن أبى طالب منصور لما وصل الى ما وصل فاحتار مساورة من قول همام وذهل من كلامه ثم أقبل الامام على أصحابه وقال يا قوم ان هذا اليوم قد ولى بضيائه وأقبل الليل بظلامه وها هى الشمس قد اصفرت للغروب فاحملوا بنا على القوم حملة رجل واحد فانا لا نأمن ان القوم عندما ينسدل الظلام ينهزمون الى الحصن ويتحصنون فيه فيعظم علينا الامر فركب القوم خيولهم واشتدوا بأسلحتهم الى أن صاروا كالاسود المقلقلين الضاريه وقد اشتد عزمهم بأخذهم العلم ونصرهم عليهم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال لهم الامام احملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم فحمل الامام وحمل القوم فى أثره فلم تكن الا كلمح البصر وقد انهزمت المشركون فولوا الأدبار وركنوا الى الفرار فأخذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فتفرقوا يمينا وشمالا وقد عمد همام ومساورة الى الحصن ومعهم فئة قليلة من قومهم والامام فى آثارهم يحصد فيهم الى أن أيقنوا بالهلاك فدخلوا الحصن وهم لا يصدقون

بالدخول فغلقوا الباب وتركوا أصحابهم من خارج الحصن وكان من الحجر الاسود لا تعمل فيه المعاويل فلما أوثقوا الحصن بالترابيس رجع الامام الى من كان خارج الحصن ومكن السيف فيهم فقتلهم عن آخرهم وتفرق المسلمون وراء المنهزمين وصار كل من لقيه قتلوه وأخذوا اسلبه وفرسه ولم يزالوا كذلك الى أن انسدل الظلام وفرق بينهم الليل ثم أتى المسلمون الى الامام فوجدوه قد أفنى من كان قصد باب الحصن عن آخرهم فاقبلوا من جميع الجهات وأتوا الى مكان المعركة وأخذوا جميع ما كان على المشركين وقرنوا الخيل بالخيل وحملوا عددهم على الرواحل وقد أقر الله عين المسلمين بقتل ملكهم وعدوهم وملكهم خيولهم وعددهم وأخذوا الغنيمة ودفعوها الى الحصن المشرف وارتدوا سالمين وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا ﴿قال الراوى﴾ ثم نزل الامام متباعدا عن الحصن وفى قلبه هم وغم من انقاذ أعداء الله الى الحصن فجعل يفكر فى حيلة يملك بها الحصن قبل وصول الجيش اليه وقد قدم الامام فطوره فلما فرغ من فطوره أمر أصحابه جميعا بالسهر وترك المنام وقال يامعاشر الناس عليكم بقراءة ما عندكم من القرآن والدعاء الى الملك الرحمن فان هذه الليلة أعظم مما تقدم لكم من الليالى لا تناقربون من جيش الملك ولا نأمن أن يخرج علينا هذان الفاجران اللذان فى هذا الحصن بمن معهما ويدهمونا فى ظلام الليل واذا هجم عليكم النوم فليحرس بعضكم الآخر فاذا انتبه النائم يحرس الآخر حين ينام وها أنا أطوف عليكم واشتغلوا بالقرآن والذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيمنعكم عن الرقاد والمنام وكان الامام شهى النغمة وحسن الصوت فيجدون لسماع قراءته لذة وحلاوة وجعل الامام رضى الله عنه يطوف بأصحابه وقد مضى من الليل نصفه ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو شاخص واذا بشخص قد لاح له على بعد وهو يظهر تارة ويختفى تارة فتأمله الامام رضى الله عنه فلما تحققه الامام عرفه وسبقه الى موضع الوقعة وألقى نفسه بين القتلى الى أن وصل اليه الشخص وهو يلتفت يمينا وشمالا وهو يقول مالى أرى هنا عسكرا فوثب الامام رضى الله عنه اليه كأنه البرق الخاطف ولوح السيف فى وجهه فزعق وهم أن يولى هاربا فتعرض له الامام وقال ان تعرضت أو نطقت قطعت رأسك بسيفى هذا فعند ذلك تخضص الرجل وقال من أنت أيها الشخص العظيم والرجل الجسيم فقال له أنا سيد الفرسان وقاتل الشجعان ممزق الكتائب

ومظهر العجائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما سمع ذلك من الامام لم ينطق بكلمة واحدة وصار يرعد كالسعفة فقال له الامام لا تخف وطمن نفسك وطيب خاطرك (قال الراوى) ثم ان الامام أخذ بيده كالطفل الصغير فى يد أبيه الى أن أتى به الى أصحابه فعند ذلك قال له من أين أقبلت ومن أى قبيلة أنت وفى أى شئ جئت فأخبرنى وما اسمك فان أصدقتنى من طيب نفسك فلا أكلك ولا أمد يدى اليك الا بالخير وان كذبت وزدت فى المكر والخديعة فلا يحيق المكر السيئ الا بأهله فعند ذلك قال له الرجل ياسيدى أنا أصدقك الحق وها أنا بين يديك فافعل بى ماشئت أعلمك يامولاى انى رجل من أهل هذا الحصن وما خرجت اليك الا كرها قال له من أرسلك الخروج كرها قال له يا ابن عم الكرام الى الامان اذا قلت فقال له الامام نعم وحق ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم ان أصدقتنى فلك الامان والسلامة فقال الرجل أعلمك ياأبا الحسن ان غمام أخا الملك لما هرب ودخل الى الحصن صرخ بأصحاب الحصن فاجتمعوا حوله فقال لهم ياقوم انى سبقت أخى علقمة على أنه يلحقنى ومعه سبعة آلاف فارس وقد أبطأ على حضوره وخشى على أثره فكنت تركت قومى فى الحرب ودخلت الى هذا الحصن وما أدرى ما كان منهم ان كانوا هربوا على وجوههم أو شدوا على أمانهم فهل فيكم أحد فى هذا الليل ينظر ما كان منهم ويرجع الى بخبرهم فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض ولم يقدر أحد منهم يخرج خوفا وفزعا منك (قال الراوى) فقال القوم أيها السيد وقيت الردى وكفيت شر العدا ومن الذى لا يخاف من البلاء النازل والموت الفاصل فأشار الى غمام وألزمنى بذلك كرها وقال لى اخرج والا قتلتك وذبحت أولادك بين يديك أو أنكسك على أم رأسك من فوق هذا الحصن فدخل على الاشفاق على نفسى وولدى فخرجت اليك خوفا مما ذكرت لك وها أنا بين يديك فان مننت فطالما أحسنت وان أهلكت فها أنا متعرض لك فيما فعلت فعند ذلك تبسم الامام من قوله وفرح بذلك فرحا شديدا وقال له من أين نزلت أم من الباب خرجت فقال له لا وحياتك يامولاى انهم من حين دخلوا الحصن هربا منك أغلقوه وأوثقوه بالاقفال والترابيس ما جسروا أن يفتحوه خوفا منك ياأبا الحسن وانما أوثقونى بالاحبال وأرسلونى من أعلا الحصن (قال الراوى) فلما سمع ذلك الامام منه قال له وكيف تصنع حين يرفعونك اليهم اذا رجعت فقال ياأبا

الحسن

الحسن انهم عهدوا الى بعلامات جعلوها بيني و بينهم اذا رجعت اليهم آخذ حجرا من الحجارة وأنقر به جدارات الحصن ثلاث نقرات فاذا سمعوها علموا انى صاحبهم فيرسلون الى الاحبال فاوثق بها نفسي و يبقى بيني و بينهم علامة أخرى وهوانى أجر الاحبال ثلاث مرات على الحائط فعند ذلك يرفعونى اليهم فقال الامام لما سمع ذلك الله أكبر نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ثم التفت له وقال ما اسمك ياهذا قال اسمى غالب فقال له الامام قم يا غالب وانزع ثيابك فقال له وما تريد بثيابى فقال له الامام ان لى فيها رأيا فعند ذلك نزع غالب ثيابه وهو يظن ان الامام يقطع رأسه وقال له بحق ابن عمك محمد لا تقتلنى فان لى أولادا صغارا ولى والدة قد أبادها الزمان فقال الامام يا غالب لك الأمان ولاهلك وأولادك فطيب خاطرك وقر عينك فلا ينالك وأهلك منى الا الخير فلما سمع ذلك غالب طابت نفسه واطمأنت وسكنت روعته وزال عنه ما كان نزل به من الخوف والفزع وناوله ثيابه وكانت قديمة خلقة ونزع عمامته وناوله اياها فأخذها الامام ولبسها وتقلد بسيفه من تحت أطماره وأقبل على أصحابه وسلم عليهم وأمر عليهم ناقدا وجنبلا والرغد اوخالدا وأوصاهم بحفظ العسكر وجميع ما معهم ﴿قال الراوى﴾ فأقبل ناقد على الامام رضي الله عنه وقال له يا أبا الحسن الى أين تريد قال له الى الحصن ان شاء الله تعالى فقال له ياسيدى لا تغرر بنفسك وترميها فى المهالك فطريق ما طابت غير سالك كيف ترمى نفسك فى وسط حصن مملوء رجالا وأبطالا وقوما لئاما وهذا ما لا احد اليه وصول كيف تريد أن تهجم على قوم من أشد أعدائك وتصير بينهم وحيدا فريدا فقال له الامام يا ناقد لا تخف على أميرك فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا لو ألقيت نفسي بين الانس والجن لم أمت ولى شئ من أجلى فان الله تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وانى والله يا ناقد واثق بما وعدنى لى ابن عمى وبما بشره الله من كلاءتى وحفظ رعايتى ثم أقبل على أصحابه وقال لهم يا قوم كونوا على خيولكم وتقربوا من الحصن فاذا سمعتم نداء فائتونى مسرعين ولتكن منكم جماعة ينظرون نحو صوب الطريق فاذا أشرف عليكم جيش ووصل اليكم فاعلنوا بالتهليل والتكبير فانى أسرع اليكم ان شاء الله تعالى ثم سار الى جهة الحصن والقوم يتعجبون مما عزم عليه فقال له غالب يا أبا الحسن تريد أن تصعد الى القوم وليس معك معين يعينك ولا ناصر ينصرك فقال له الامام

يا غالب ان معي ربي يسمع ويرى وهو بالمنظر الأعلى أتظن يا غالب انى أتقي بجند من المخلوقين بل ان معي رب العالمين يعينني وينصرني وهو خير الناصرين فعند ذلك قال يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله آمنت بربك وبمحمد صلى الله عليه وسلم فسر الامام لذلك سرورا عظيما ثم صلى ركعتين شكرا لله تعالى قبل مسيره ومرغ خديه على الثرى وابتهل الى الله تعالى بالدعاء ﴿قال الراوى﴾ ثم سار الامام وهو غير مكترث الى أن وصل الى الحصن وكان غالب قد وصف له الموضع الذى نزل منه هذا وأهل الحصن منتظرون رجوع غالب وهمام ومساورة واقفان على أقدامهما ينتظرون قدوم غالب وما يكون من خبره فبينما هم كذلك اذ لاح لهم خيال الامام رضي الله عنه وهو مقبل فظنوا أنه صاحبهم فقال مساورة يا همام قد جاء رسولك وأرجو أن يكون جاء بسرورك ومازال الامام سائرا الى أن جاء الى الحصن فأخذ حجرا ونقر به جدارات الحصن ثلاث نقرات متواليات فلما سمع القوم نقر الحصن أيقنوا أنه غالب فأرسلوا اليه حبلا من ليف النخل فأخذه الامام وشد وسطه به وهو يتفكر كيف يطيقون حمله وخشي أن ينكروه لثقله فلما مكن الامام نفسه بالحبل صبر وحمد الله تعالى وحرك نفسه بالحبل ثلاث مرات فأيقنوا أنه صاحبهم غالب فجروه فلم يستطيعوا أن يحركوه فقالوا ان هذا ثقيل علينا أثقل من المرة الأولى فقال لهم مساورة لا شك أنه كسب من مكان الوقعة وحمل نفسه من الاسلحة والدروع فأرسلوا اليه حبلا آخر وأجمعوا عليه الرجال وأطلعوه من قبل أن يسمع بنا على بن أبي طالب فيأتي الينا فلا حاجة لنا به ﴿قال الراوى﴾ فأرسلوا اليه حبلا ثانيا فجر نفسه معهم فهان عليهم ومازالوا كذلك الى أن وصل اليهم وهو مطرق برأسه حتى لا ينظروا وجهه فيعرفوه ومازال كذلك الى أن وصل الى أعلى الحصن ووقف على رجليه فتقدم اليه مساورة وقال له ما أبطأك وما كان من أمرك وخبرك يا غالب فرفع الامام رأسه اليه وقال له يا ويلك ما أنا غالب بل أنا على بن أبي طالب فلما سمع القوم ذكر علي انحصموا عن الكلام ونظر بعضهم الى بعض من أعلا الحصن فتقدم الامام رضي الله عنه الى مساورة السفاك ورفعه بين يديه ونكسه من أعلا الحصن على أم رأسه فنزل يهوى الى الأرض فتهشم عظمه فى جسمه فلم ينطق ولم يتحرك من مكانه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم التفت الامام رضي الله عنه الى همام

وجرد سيفه وقد وقفت من دونه الرجال فصرخ الامام فيهم صرخته المعروفة ففرقهم يمينا وشمالا فتقدم الامام الى غمام وهم أن يعلوه بالسيف فقال له يا ابن أبي طالب سألتك بحق ربك وبحق ابن عمك محمد الا ما أمهلت على وأشفقت بكرمك الى قال الامام عنه وعطف على القوم ومكن السيف فيهم ﴿قال الراوى﴾ فبينما الامام كذلك اذ سمع من ورائه ضربا وصراخا وسياحا وضجة عظيمة فأنكر ذلك والتفت الى ورائه واذا هو بغمام وقد جرد سيفه وحمل على أهل الحصن وصار يضرب فيهم يمينا وشمالا فقال له الامام رضي الله عنه ما هذا يا غمام فقال له يا ابن عم رسول الله انى كرهت أن أموت تحت السيف والآن فانا اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال له الامام يا غمام لقد أفلحت ونجحت وقد عم الله بك السرور وفرح الامام باسلامه فرحا شديدا ثم ان غمام لصق جنبه الى جانب الامام وصاروا يضربون بالسيف فى أهل الحصن الى أن قالوا جميعا الامان الامان يا ابن أبي طالب لا طاقة لنا بك ولا صبر لنا عليك ولا على أفعالك وقالوا باجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم انحدر الى أسفل الحصن ليفتح الباب واذا له ترباس من حديد لا ينقله الرجال ولا تزحزحه الأبطال وله سلاسل وأغلال وقد مكنوه من الحائط الى الحائط الأخرى وأوثقوه بالاغلال فقال الامام رضي الله عنه لولم يأذن الله بفتح هذا الحصن بهذه الحيلة من أعلاه لعسر علينا فتحه ثم ان الامام فتح الباب وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر نصر من الله وفتح قريب ﴿قال الراوى﴾ فلما فتح باب الحصن فأول من لقيه من أصحابه الرغد ابنت الخطاف وسيفها مشهور فى يدها فرأت غمام الى جانب الامام فقالت للامام رضي الله عنه يا سيدى ما أبقاك على غمام وهو رأس القوم فقال لها الامام يارغدا انه قد أصبح أخا لى فى الدين وصار من جملة المسلمين فلما سمعت ذلك تقدمت الى غمام وقبلت رأسه وقالت له زادك الله فخرا على فخرك وعزا على عزك ثم أقبل ناقد ابن الملك فلما نظر الى عمه غمام وهو واقف بازاء الامام قال يا أمير المؤمنين هل هو باق على كفره وغيه أم لا فقال له الامام يا ناقد قبل رأس عمك فانه صار شريكك فى الدين وأصبح من جملة المؤمنين فاقبل ناقد على عمه وقبل رأسه وصافحه مصافحة الاسلام وفرح به فرحا شديدا فقال الامام لقد عم الله شرف الاسلام بعمك غمام فانه ركن وثيق وقد كان ليس هناك مثله من عسكر

عدو الله الصنام ﴿قال الراوى﴾ ثم أقبل الامام الى الناس فقال لهم معاشر الناس
اغمدوا سيوفكم شكر الله سعيكم وادخلوا الحصن آمنين على بركة الله وعونه وحسن
توفيقه فلما دخلوا الحصن فلم يجدوا فيه الامن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين انك لم تفتح لنا حصنا وفيه من يغلب خاطرنا من المشركين
لا خاب والله من كنت أميرهم وابن عم نبيهم ورب السموات والأرض مولاهم
ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه أمر الناس أن يجمعوا ما كان معهم من الامتعة
والخيول والسلاح والاسلاب مما كان معهم من خارج الحصن وأمر من أسلم من
أهل الحصن أن يجمعوا أسلاب من قتل من أهل الحصن فجمعوا اسلابهم
وسلاحهم ووضعوه بين يديه فأخذ الأموال والأمتعة ووضعها فى دار عدو الله مساورة
وختم عليها وأخذ جميع الخيول والمواشى وحصنهم فى الحصن وجعل فيه أقواما من
المسلمين يحرسونه وأمر عليهم من يحفظهم وأقام الامام ينظر ما يكون من أمر الله
عز وجل ﴿قال الراوى﴾ وكان الملك الصنام حين أرسل أخاه غمام ومعه السبعة
آلاف المتقدم ذكرهم أوصاهم أن يقدموا الى ابن أبى طالب من بين يديه وجهز أخاه
علقمة فى سبعة آلاف أخر وأمره أن يسير فى الوادى حتى يأتى الى ابن أبى طالب من
خلفه فهذا ما كان من أمر غمام وقد هداه الله الى الاسلام ﴿وأما﴾ ما كان من أمر
علقمة فقد خفى الله أمره وبطىء على غمام خبره وقد من الله على الامام بفتح هذا
الحصن وقتل صاحبه مساورة واسلام جميع قومه فقال الامام لأصحابه فما ترونه من
الرأى تقيم ههنا أو تتقدم الى عدو الله الصنام أو نقصد أخاه علقمة فقولوا ما أنتم
قائلون فقال له القوم يا أبا الحسن انا تبع لرأيك ونحن معك وبين يديك مطيعون لك
فما رأيته رأيناه وما رضيته لنفسك رضيناه ﴿قال الراوى﴾ فقام غمام عند ذلك على
قدميه وقال يا مولاى يا أبا الحسن انى ولو كنت قريب عهد بالاسلام فقد من الله على
وملأ قلبى بالايمان وانى لم أقل الشيء أفضل من ههنا يعرفنى فانى شديد المضارب
صبور على النوائب وانى أشير عليك حتى يأتى أخى علقمة ونفصل أمرنا معه فانا
لا نأمن أمرنا معهم اذا التقى الجمعان والرأى عندى أن نقيم فى موضعنا وبعد هذا
فاننا معك وبين يديك لا نخالف لك أمرا ولا نعصى لك قولا فتبسم الامام من قوله
وعلم أنه صواب وكان تحقق عند غمام ذلك فقال الامام قد أصاب غمام فيما قال من

الرأى ولكن معى من يرانى و يفعل مايشاء و يختار وهو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب ولكن ياقوم انا نتمهل الى نصف النهار فان أشرف علينا عدو الله علقمة تدبرت أمرا يكون فيه الصلاح ان شاء الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ ثم بعث الامام رجلا من قومه وقال له اكشف لنا الطريق من تلقاء عدو الله الهضام وانظر مايظهر لك وعد الى بالخبر راجعا بلا تعويق و بعث رجلا آخر وقال له اكشف لنا خبر عدو الله علقمة وانظر مايظهر لك وعد الى راجعا بالخبر وها أنا فى انتظاركما الى أن تعودا الى و يفعل الله مايشاء و يختار فخرج كل من الرجلين وقصد كل واحد ناحيته كما أمره الامام رضى الله عنه ثم أقبل الامام على أصحابه وثبتهم فى أماكنهم ثم قال لاهل الحصن ولمن كان عندهم من القوم لا تسرحوا الخيل الى مراعيها ولا تزيلوا عنها سروجها وان تطاولت عليكم فقدموا أنفسكم على رؤس خيلكم ولتكن مقاودها فى أيديكم و لجمها فى أعضادكم وكونوا محترزين على أنفسكم متقلدين باسلحتكم متمنطقين بحجفكم قالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين ولم يزالوا كذلك على ما أمرهم الامام الى أن ولى نصف النهار وقد ابطأ على الامام خبر الفارسين الطليعة فقلق الامام من ذلك قلقا شديدا ﴿قال الراوى﴾ وقد كان علقمة لما خرج من عند أخيه الهضام امضى السير وسلك أرض البرية الى أن قطع أرض بنى عامر وخرج الى الحصن المشرف فلما ان قرب من الحصن جمع أصحابه وكان عدو الله كثير الخداع شديد المكر تتحدث العرب بشجاعته وهو الذى فتح حصن الحارث بن الهيام وأخرج مساور بن عميرة وكان بطلا مشهورا وفارسا صنديدا فقال عدو الله قد ملك على بن أبى طالب حصننا ولم يكن فى حصون الملك الهضام أمنع منه فهو الآن دخل أهله فى دينه ولا شك انه رتب فيه رجلا ممن تبعه من قومه فامضوا بنا لعل ان نحتال عليه بخديعة نخدعهم بها فقال له قومه وكيف تصل الى ذلك فقال لهم ما آمركم به فامتثلوه فقالوا سمعا وطاعة ياسيدنا ﴿قال الراوى﴾ ثم سار القوم بأجمعهم الى أن وصلوا الى الحصن المشرف وكان الامام قد ترك فيه عون بن صفوان الباهلى وكان معه جماعة من المسلمين فبينما القوم فى حصنهم وعون بن صفوان لا يزال فى أعلا الحصن الى وقت الصلاة فيصلى بقومه ويأمرهم بالدعاء والابتهال الى الله تعالى ان ينصر المسلمين على أعداء الله الملاعين فبينماهم كذلك

اذا أشرف عليهم أعداء الله وهم متقلدون بالاسلحة فأنكر ذلك عون بن صفوان وقال لمن حوله ياقوم هذا عسكر جرار وقد أقبل مسرعا ولا نعلم ماهو ولعلهم ان يكونوا نصرة من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا الامير المؤمنين على بن أبي طالب فتطاول الناس اليهم بالنظر وكان علقمة قال لاصحابه ياقوم ان القوم لا ينكرون علينا شيأ و يظنون اننا نجدة لهم أتينا لصاحبهم على من مدينة محمد ابن عمه لانهم مؤمنون وان القوم مطمئنون من هذه الجهة وليس لهم فيها عدو يخافون منه فاذا وصلتم اليهم فكبروا بأجمعكم وليكن تكبيركم تعظيما للحكم المنيع فعسى أن يفتح لنا الباب فندرك منهم بغيتنا ﴿قال الراوى﴾ فلما وصلوا اليهم وعلقمة فى أوائلهم متلثما متنكرا لئلا يعرفه القوم وكبر وكبر القوم بأجمعهم معه تكبيرا عاليا ففرح بهم عون ابن صفوان وأجابهم هو ومن معه بالتكبير من أعلا الحصن ثم تقدم علقمة لعنه الله حتى وقف بازائهم وقد غير كلامه وقال لهم أيها الناس هل عندكم خبر من الامام على ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال عون بن صفوان أسر ما يكون من الاخبار وأحسن مايكون من الآثار فانه قد أباد الاعداء الاشرار وجلب لهم الويل والدمار ولا شك أنه نازل على الحصن الاسود امامكم فقال علقمة ياقوم زودونا بالماء ففتح لهم عون بن صفوان الباهلى باب الحصن وأتاهم بالماء والزاد وهم مطمئنون آمنون ولم ينكروا عليهم شيأ من أمورهم فلما فتح المسلمون باب الحصن بادر علقمة ودخل الحصن ودخل أصحابه من بعده مسرعين فأمر علقمة أصحابه أن يوثقوا أصحاب عون بن صفوان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا ذلك ترجلوا عن خيولهم كأنهم الاسود الضارية واحتوشوا بالقوم المسلمين وكتفوهم عن آخرهم وملكوهم بأجمعهم ثم أمر باحضار عون بن صفوان فأحضروه بين يديه فأمر باشاقه فأوثقوه بالقيد وأخذوا جميع ما كان خلفه الامام من الاموال والخيل والامتعة والغنائم وجميع ما كان فى الحصن ثم أخذ أهل الحصن معه أسارى ليوصلهم الى أخيه الملك الهضام وسار بهم وتركوا الحصن خرابا لم يبق فيه أحد وخرج علقمة بعون بن صفوان ثم قال له يا ابن صفوان تركت مواليك وملت الى هؤلاء اللئام فقال عون معاذ الله ماملت الى قوم لئام وماملت الا لقوم كرام وأهل بيت الله الحرام وسادات مضر وبهجة الزمان والى نبى أرسل بأشرف الاديان وهو خير الانس والجان فهو محمد خير الانبياء وابن عمه

على ولي الله ونقمته على أعداه وأنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لا أحول عن ملته ولا أتخلف عن دعوته ولو قطعت في محبته فعسى ان أحشر في زمرته ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ذلك علقمة لطم عون بن صفوان على وجهه وقال له يا ابن اللئام ما أسرع ما تمكن منك سحر ابن أبي طالب وابن عمه محمد حتى قلت هذا الكلام وحق الاله المنيع لا وصلت الى الملك المصام ويحكم فيك بما يشاه المنيع ويختار ثم بعد ذلك يحرقك بناره أنت وجميع من معك من هؤلاء الغواه ثم ركب النساء والصبيان ثم قدم الاسارى وأمر بجرهم وأوثقهم في بعض وسار وهو فرحان مسرور بما وصل اليه وترك الحصن خرابا خاليا ليس فيه انسي فبينما هو سائر اذ لاح له غبرة عظيمة وقد ارتفع عجاجها الى السماء وأخذت شرقا وغربا ويمينا وشمالا فلما نظر اليها عدو الله أنكر ذلك وأمر بعض أصحابه ان يكشف له خبرها فمضى ناس من القوم فما لبثوا غير قليل وقد عادوا اليه يتصارخون وهم مستبشرون فقال لهم ماوراءكم فقالوا أيها السيد أبشر بالسرور العاجل والخير الواصل هذه غنيمة أكبر من غنيمتنا وسائقة أعظم من سائقتنا قد ساقها المنيع لقد فاز على بها بحيث أرسلها الينا ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه الغنائم التي يرونها أرسلها الامام مع جنبل بن وكيع ليحصنها في الحصن المشرف فلما نظرها عدو الله علقمة قال لاصحابه سيروا بنا الآن نوقع بالقوم الحيلة كما فعلنا مع أهل الحصن ونغتال الغنيمة منهم فلما ساروا وقربوا منهم جردوا سيوفهم ورفعوا الرماح على أعناقهم وساروا على مهل واللعين علقمة في أوائلهم فلما نظر جنبل الى كثرتهم وبريق دروعهم ولمعان سيوفهم أنكر ذلك منهم وأقبل على أصحابه وقال لهم يا قوم هذا جيش عظيم قد أشرف علينا ولسنا نعلم ما هو ولكن أجمعوا غنائمكم واستعطفوا اليها بجمعكم وخذوا حذركم لخير ما استعمل ان يكون القوم من اخواننا وقد أتوا من مدينة نبينا فذلك ارادتنا وبغيتنا وان كانوا من أعدائنا كنا منهم على حذر ومنعنا عن أنفسنا وعن غنيمتنا وقاتلنا حتى نقتل عن آخرنا فمضى القوم بعضهم الى بعض وقوموا سهامهم وأوتروا قسيهم وجردوا أسيافهم فلما نظر علقمة الى ما قد عزموا عليه أقبل على أصحابه وقال لهم يا قوم ان القوم قد تأهبوا للقتال وعزموا على النزال وما رأيت أشد منهم محبة لصاحبيهم علي وابن عمه محمد وقد احتوى على قلوبهم وآثروه على

أنفسهم وقد كرهوا الحياة وانهم يرون الموت مغنما وذلك من شدة حبهم لصاحبهم
ولم يكن قتالهم عن المنيع الرفيع وأظنهم مائة فارس وقد عزموا على قتالنا أفرأيتم
سحرا أكبر من هذا ﴿قال الراوي﴾ ثم أقبل علقمة على أصحابه وقال لا بد ان
أرمي القوم بحيلتي وخديعتي فان أجابوا وسلموا والا فبادروهم وأوثقوهم كتافا وان
أبوا فأنا أحمل عليهم ونطحنهم طحن الحصيد فتقدم عدو الله علقمة وهو يسير على مهل
الى أن أشرف عليهم فلما قرب منهم أمر أصحابه بالتهليل والتكبير فلما نظر القوم الى
ذلك صاحوا يا معاشر الناس لا تقربوا منا حتى تكشفوا النا عن أخباركم وتقولوا
لنا من أنتم والى أين قصدكم فوقف القوم عن المسير وتقدم علقمة الى جنبل وقد غير
كلامه ونادى برفيع صوته ان كنتم من أهل الايمان فنحن من أهل الايمان وان
كنتم من أصحاب محمد فنحن من أصحاب محمد ومن شركائكم في الدين وأنا أرى معكم
غنائم وأسارى ولا شك ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد اغتنمها من أعدائه فقال
له جنبل يا فتى ان الحرب حصن فلا خاب من تحصن به وانا في انكار من أمرك فقال له
عدو الله علقمة لعنه الله اليكم قصدنا فان خفتم من انكار نا رجعنا فقال له جنبل
كلام غريب من رجل مريب وان أمير المؤمنين أقسم على ابن عمه محمد أن لا يندب معه
أحدا ولا يرسل وراءه أحدا ولا عددا وحاش الله ان يقول محمد قولا و يخلفه وهذه
واحدة أخرى وانكم ما جردتم سيفا وما أوترتم قوسا ولا أحد منكم مدرجا فما
هي هذه شيم المؤمنين اذا كانوا في أرض المشركين فان كان قد داخلكم الطمع
فينا القتال لنا والوصول الينا فهذا أمل بعيد ولا نسلم هذه الغنائم حتى نتجندل حولها
قتلى ولم يبق منا أحد فعند ذلك يستوضح عذرنا عند ربنا ولا نيئس من نصرة أمير
المؤمنين فلما سمع علقمة من جنبل ذلك قال لا والله انا جئنا لنصرة لكم فقال له جنبل
يا هذا أطلت الكلام فيما لا يخطر على الاوهام اكشف عن لثامك فقد راعني أمرك
و بان لي مكرك فما أنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد هجس بي
هاجس وما أظنه الا حقا وكأني أسمع كلامك وكأني به عارف فلعلك ان تكون
علقمة بن الخباف ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع علقمة منه ذلك الكلام علم انه عرفه
فاسفر عن لثامه وقال قد استأثرت يا ابن اللئام يا ويلك والويل لابيك وقومك أنت
نسيت سرحك واغنامك وحملك الادلية على عاتقك واشتمالك بحبالك وحملك

العصاه وصرت اليوم تخاطب الشجعان فاستسلم أنت ومن معك من قبل أن آمر السبعة آلاف الذين معى أن يحملوا عليكم حملة واحدة فيجعلوكم دمارا واعلم ان على ابن أبى طالب الذى ذكرته قد انقطع خبره وفنى أمره وقد خرج اليه أخى غمام فى سبعة آلاف فارس أبطال عوابس وقد أخذوا على بن أبى طالب وجميع أصحابه وجئت أنا الحصن فأخذت جميع ما فيه من الغنائم وهذه الساقة وأصحابها فى الاحبال مقرونين فالحق فلعلك أن تفوز بأن يبقى عليك أخى المضام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع جنبل منه ذلك الكلام قال له يا عدو الله أما قولك لى انى كنت عبدا مملوكا للقوم الظالمين فقد اعتقنى منهم رب العالمين وكان السبب فى ذلك سراج المؤمنين أمير الانوار وبدر الازهار الفارس الكرار الذى لا يقع فيه انكار المعروف بحيدرة الذى عظمت منه مناقبه واشتهرت منه مضاربه وعمت عجائبه زوج البتول وابن عم الرسول ممزق الكتائب ومظهر العجائب النجم الثاقب البطل المحارب المعروف فى المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأيدنى بعد التعب والعنا بالعز والغنى وصرت الى الحصن الحصين به أقدم على القتال وأبادر به الى النزال فبوجده لا أبالى بالرجال وصرت بعد سوق الاغنام أدافع اللئام وأجندلهم بحد الحسام وأفنى كل أسد ضرغام وأهشم العظام فان كان ربى الخالق قد قضى على بالحقائق وأسلكنى خير الطرائق فهو ربى عليه توكلت واليه أنيب وأما قولك لى ان الامام قد أخذه أخوك غمام هو وأصحابه أسارى فكيف وقد ضمن الله السموات والارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلامته وكلاءته وحفظ رعايته فلا تروعنا بكلامك ولا تخدعنا بجد يعتك ولا ترمنا بمكرك فوالذى بعث ابن عمه بالحق بشيرا ونذيرا لا تقدر معنا على شىء الا اذا لم يبق منا واحد حيا ولو أنك فى سبعين ألفا فانا نحب الموت عن الحياة وان كان والله كلامك حقا وأخذ صاحبنا على بن أبى طالب فلاطلبن آثاره وأتبع أنواره وأقاتل أعداءه فان أحيانى الله تعالى عشت مؤمنا وان مت مت مسلما فقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فان شئت فادن منى يا عدو الله تنظر منى قتالا يقرب العبد الى الله فوالله ما أنت بالغ منا ما تريد ثم ان جنبل تجرد وسل سيفه وأنشد

وجعل يقول بعد الصلاة على الرسول

يا مرحبا بالموت اذا الموت نزل * يارب قدمني الى خير العمل
فادن ان شئت ودع عنك العلل * واقدم فان الضرب لا يدني الاجل
فلتنظرن الطعن من يد بطل * ليث همام ليس فيه من فشل

(قال الراوي) فلما سمع علقمة منه ذلك فار بالغضب والتفت الى قومه وقال لهم يا قوم ما رأيت أشد من نفاق هذا العبد اللئيم فكيف هو وجميع أصحابه يريدون أن يمنعونا ويدافعونا عن أخذ هذه الغنيمة وعن أنفسهم فوحق المنيع لقد لحقنا من هؤلاء العار ولو علمت أني ألقاه في طريقي هذه ما عبرتها بهذه الابطال ولا يقال عني في أندية العرب أني جعلته كقوالي وهذا من أكبر العار أن يكون معي هؤلاء السبعة آلاف فارس ولقيت بهم عبيد ارعاة وهم مائة شخص كلهم عبيد أرذال ليس فيهم سيد فان أنا قتلته وقتلت جميع من معه وسال المال وجدني قاتلت غير كف ءولا يلحقكم بهم ولا يمكن أن أخلص هذه الغنيمة من أيديهم من غير أن أتقدم أنا اليهم فعند ذلك تقدم اليه رجل من أقاربه يقال له غيث فقال له أيها السيد أنا آتيك به أو برأسه فاخطفه خطف الغشمشم ولا أحطه الا بين يديك فاذا نظر أصحابه وقد احتوينا عليه استسلموا اليك بغير قتال ولا نزال فقال له علقمة أنت لها يا غيث ولكل كريهة مثلها فقال له أيها السيد اني لا أخرج اليه الا على شرط فقال علقمة وما الشرط يا غيث قال أن يكون لي سلبه فقال له لك ذلك يا غيث فخرج غيث على جواده وبيده سيف مشهور ومازال سائرا الى أن صار بازاء الفتى جنبل ونادى أدن مني لاسقينك كاس الحمام وأفنيك بحد الحسام فسر جنبل لذلك وقال له دونك والمبادرة الى النزال قربك الله الى النار وبئس القرار ثم التفت جنبل الى أصحابه وقال لهم يا قوم ان قتلت فاقرئوا محمدا مني السلام وبلغوا سلامي الى علي الاسد الضرغام وأوصيكم على أنفسكم ولا تستسلموا الى هؤلاء اللئام الكفرة عبدة الاصنام وقاتلوا حتى لا يبقى منكم أحد ولا تخشوا الموت اذا نزل بساحتكم في مرضاة ربكم فان الذي لا يموت اليوم يموت غدا ولا يبقى الا الاله الاعلى خالق الارض والسماء أما سمعتم أميركم وهو يتلو قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت فأوصيكم بالوصية الحسنة موتوا كراما ولا تموتوا لئاما ثم ان جنبل لما فرغ من وصيته لقومه أخذ حجفته وسيفه مشهور في يده فلما رآه غيث وقد تأهب لقتاله قال له يا جنبل

أولك يد تثبت أن قصار بي ولك قوة على قتالي فقال له جنبل أي والله يا عدو الله
ورسوله وعلى وليه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عدو الله غيث كلامه حمل عليه وأسرع
اليه فتجاولا وتكافحا وشخصت الناس اليهم بالاحداق وتطاولوا اليهم بالاعناق
فأظهر جنبل حيل الحرب وكان من مكره وحسن اليقظة فولى جنبل بين يدي عدو الله
هاربا منهزما وصار جنبل ينادي عدو الله ويقول يا ابن الكرام أبق على وجد بكرمك
الى هذا وعدو الله غيث من ورائه يناديه يا ويلك ألق حسامك وقف مكانك فقصر
جنبل في ركضه حتى كاد عدو الله أن يصل اليه فعطف عليه جنبل كأنه شعلة نار
وضربه بالسيف على رأسه فوصل السيف الى صدره ولم يزل الى أن وصل الى
السرج فتجندل عدو الله الى الارض صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار
وبئس القرار وأخذ جنبل جواده ودفعه الى رجل من أصحابه ثم وقف وهز
سيفه وقال يا ويلكم يا أعداء الله فأنا رفيق ولي الله أبي الحسن ﴿قال الراوي﴾
فلما نظر عدو الله علقمة ذلك من جنبل اشتد غضبه حتى قام في سرجه وقعد من شدة
قهره وقال وحق المنيع لقد كبر عارنا وزاد شرنا بوصول هذا العبد اللئيم الى غيث
صاحبنا ولقد غفل المنيع عنا ورمانا بكل أمر شنيع ثم عطف جنبل وسيفه بيده
مخضب بالدم الى عدو الله علقمة وما زال كذلك الى أن أراد قتاله فنادى برفيع صوته
يا أهل الكفر والطغيان هلموا الى أهل القرآن ومن رفضوا عبادة الاصنام
والاوثان وعكفوا على عبادة الاله العظيم الملك الديان الذي لا يشغله شان عن
شان وكل يوم هو في شان سبحانه من ملك ديان ثم صبروا وصاروا من أصحاب محمد
سيد ولد عدنان هلموا الينا يا معاشر اللئام اليوم يوم السعادة اليوم يوم الشهادة اليوم
يوم الفوز بالجنة والعتق من النار بقتل هؤلاء الكفار اليوم قد استسلمنا للقضاء
والقدر ورضينا بما قضاه الله عز وجل وقدره علينا فقد رضينا القتال لانفسنا ونقاتل
عن الدين حتى نموت مسلمين فهل من مبارز الى القتال هل من مبادر الى النزال
والافتخار بالاحساب والتباهي بالانساب ان أرفع الناس حسبا وأعلاهم
نسبا وأزكاهم منصبا من عبر على الصراط الرقيق ووصل الى الرب الرفيق وصار
بعد ذلك الى النعيم المقيم في جوار رب العالمين هل من مبارز هل من مناجز فأنا
الاسد الظمآن الى شرب دماء الابطال والشجعان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عدو

الله علقمة ذلك من جنبل نزع عمامته من فوق رأسه وجلد بها الارض وقال واذلاه
بعد العز والملك تنادينا العبيد الارذال ان هذا من أعظم النكال ثم قال وحق
المنيع لا زيلن عن المملكة تجابم او لاهدمن سورها ولاخرجن الى هذا العبد اللئيم
بنفسي ولا بردن بقتله كبدي ثم أخذ لامة حربه وهم بالخروج الى جنبل فتعلق به
رجل يقال له شكا وكان ذلك الرجل من أصحاب الملك المضام وكان شديد الباس
سريع الاختلاس فقال له أيها السيد انى وحق المنيع عازم على الخروج اليه
وقاصد بالحملة عليه ولقد كنت أقسمت بالمنيع أن لا أقاتل أحدا حتى أقاتل على
ابن أبي طالب والآن قد هاجت مرواتي ولا عاد لى مصطبر عن الخروج لهذا العبد
اللئيم آسره أم أقتله أيما أحب اليك أسره أم قتله قال له علقمة أيها المسكين لا تقتله
بل ائتني به أسيرا لأشفي منه علتي وأبلغ منه مرادي فخرج شكا كأنه شعلة من نار
وهز سيفه وأدار رمحه الى أن دنا من جنبل وناداه ويحك يا جنبل مجنون أنت أم
سكران يا ويلك أتظن انك بهذه الشرذمة القليلة والعصابة اليسيرة تنجو من بيننا
لم يبق لك مخلص من بين أيدينا ونحن فى سبعة آلاف فارس أبطال عوابس ولو هموا
أن يحملوا كم على أطراف الاسنة لهان ذلك عليهم فاستأثر لمولاك واستسلم لهم وكن
معهم واسألهم أن يبقوا عليك ويصفحوا عما جرى منك وارجع عن على بن أبي طالب
ولا تعد اليه ولا تركن الى دينه فقال جنبل حاش الله أن أفعل ذلك وأن أرجع عن
دين الاسلام وعن عبادة الملك العلام وأعود الى الكفر وعبادة الاصنام بعد
انقاذى من الضلال وأنتم والله وجميع من معكم صائرون الى النار وبئس القرار
فلما سمع شكا منه ذلك حمل عليه وأرسل سنان رمحه اليه فعطف عليه جنبل ولوحه
بالسيف فقصفه من أعلاه من السنان وصار بقية العود فى يده كالجريدة فألقاه من يده
الى الارض وأراد أن يجرد سيفه فبادره جنبل بضربة قبل أن يمس حسامه وضربه
بالسيف على رأسه فقطع البيضة ونزل الى أن وصل السيف الى محازمه وسحب
السيف منه فتنكس عدو الله على أم رأسه على الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه
الى النار وبئس القرار ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر عدو الله علقمة الى ذلك لم يطق
صبرا دون أن صرخ بقومه فاجتمعوا كلهم بين يديه وقالوا له ما تريد أيها السيد أتريد
أن نحمل عليهم بجمعنا فقال لا وحق المنيع لا يخرج اليه غيرى فكفانى هذا العار

ثم انه صرخ بعبيده فاتوه بصندوق واستخرج منه قوسا مذهبا ولبس درعين ما كنتين داووديين وأفرغ عليه ثوبا من الخز ولبس بيضة عادية على رأسه وفى وسطها زمردة خضراء وحزم وسطه وركب جواده وأخذ سيفين مرهفين وأخذ مجاريق الشفار كأنه شعلة نار يلمع وخرج كأنه صخرة جلمود لعظم خلقته وطول سواعده وغلظ جثته وكان علقمة جريئا على قتال الرجال لا يهيب الابطال ويبادر الى النزال فلما نظر جنبل الى خروجه تهيأ لقتاله وبادر بالخديعة قبل أن يصل اليه وقال له ياسيدى طابت نفسك أن تخرج الى قتالى وسفك دمى وتسيت ماواليتنى وأكرمتنى وما كنت الذى أمد يدى اليك بسوء ولقد ندمت على فعلى ولو علمت أنك تبقى على لالقيت يدى فى يدك واستسلمت اليك ولكن أنا أعلم مافى قلبك على من الغيظ فلا آمن لك فصاح به علقمة عند ذلك وقال له اليك عنى فيا أسوأك من عبد لقد تعلمت الخداع ياملعون دع عنك هذا الكلام فلابدلى من قتلك وآخذك وأرميك فى نار البيع بكل أمر شنيع فقال له جنبل أنا وحق الذى من على بالاسلام وهو الذى خلق السموات والارض لئن ظفرنى الله بك يا لعين لاقطعن رأسك الذميمة وأحملها على رأس رمحى وأنادى عليها الى أن أوصلها الى أمير المؤمنين فتقدم الى حتى أقدم عليك وحسبنا الله ونعم الوكيل وبعد ذلك أقتل أصحابك من بعدك وأخلص هذه الاسارى من أيديهم وما أظنك الاخدعتهم بخديعتك حتى وصلت اليهم وليس بغائب عن الله مافعلت بهم ان لهم من يخلصهم من بين أيديكم على رغم أنفك (قال الراوى) فلما سمع علقمة ذلك من جنبل فار بالغيظ فما أمهله دون أن وثب اليه بجواده وضربه ضربة يريد أن يوسط بها جنبل فزاغ منها فوقعت الضربة على جواد جنبل فكاد أن يتكردس فوثب اليه جنبل كالاسد ونزل عن جواده وعاد يسعى على الارض ماشيا فلما نظره علقمة قد صار بلا جواد طمع فيه لجاد بجواده وأمل الوصول اليه وعاجله بضربة وقصد بها هامته فزاغ عنها جنبل وخادعه وانبرم عليه بالسيف وضرب قوائم فرسه فانكب الجواد على أم رأسه وتكردس علقمة من خوفه من جنبل ووثب قائما على قدميه حذرا على نفسه وهو زائد الغيظ على جواده فقال له جنبل ياعدو الله جواد بجواد وقد قرب منك البعيد فعدل اليه علقمة وقد تزايد غيظه حسرة على جواده وحمل عليه كالبعير الهائج وحمل عليه جنبل وتجاولا على وجه الارض مجاولة عظيمة واذا الفريقان عاينا منهما قتالا

شديد المرير ومن أحد غيرهما وخشي عدو الله أن يصل اليه فشجع نفسه وحمل على جنبل وأشار الى أصحابه أن احملوا على أصحاب جنبل ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى أصحاب جنبل ذلك اصطفوا عنا كب بعضهم وعزموا على القتال وقال بعضهم لبعض اليوم يوم القتال والفوز بالجنة فقاتلوا بنا الى أن نقتل عن آخرنا فاذا اقتتلنا عن آخرنا ولم يبق منا باق فعند ذلك يتضح عذرنا عند الله تعالى وهو يتصرف فيهم بما يشاء ويختار فبينما هم كذلك والمسلمون قد أيسوا من أنفسهم لقلتهم وكثرة عدد عدوهم وبعضهم شجع بعضا وبشروا بعضهم بالجنة والنظر الى وجه الله الكريم واذا قد أشرف عليهم غبرة هائلة من تفعة وقد تكندس ظلامها وعلا قتامها فبهت الفرسان وتطاول نحوها الشجعان واشتغل عدو الله اليها بالنظر فتأخر جنبل وشخص نحوها واذا هي قد انكشفت عن كتائب ومواكب تتبع ودروع وسيوف تلمع ورماح تقرع ورجال أمجاد على خيول جياد واذا بالعلم العظيم يلوح من بينهم والرياح تلعب بعذباته وقد أشرقت جواهره ولمعت يواقيته وصاحت جلاجله ﴿قال الراوي﴾ فلما نظر علقمة الى ذلك صرخ صرخة وصفق بيديه فرحا وسرورا وقال يا ويلك يا جنبل أخذتك المصائب من كل جانب ألم أقل لك ان صاحبك عليا قتل وقد صار الى الفلاة جديلا أما تنظر الى العلم الانور مع أخي الازهر وقد قتل صاحبك وأخذ جميع ما معه من الغنائم الى أن وصل بها الى الملك الهصام والهه المنيع الرفيع وان أخي سائر الى الحصون فيأخذ جميع ما فيها ويعيدها كما كانت وأنا آخذك وجميع ما معك وأوصلك الى الملك والاله المنيع فيحكم فيكم ويحرقكم بناره فلما سمع جنبل ذلك ظن أنه صحيح فكبر ذلك عليه وجزع من ذلك جزعا شديدا ففاضت عينا جنبل على أمير المؤمنين وصار جنبل وأصحابه حيارى حزنانين وهم لا يدرون ما يصنعون فبينما المسلمون قد أيسوا من أنفسهم اذ دنت منهم تلك الغبرة وانكشفت وقد ظهر من تحتها جيش عظيم كأنه الجراد المنتشر وقد بادر في أوائلهم فارس كأنه شعلة نار وتحته حصان هوار والشجاعة تلوح من شمائله كأنه قشعم وقد انقض ﴿قال الراوي﴾ فلما دنا منهم صرخ صرخة عظيمة تزعزعت منها قلوب الفريقين وأذهلت قلوب الجمعين ونادى برفيع صوته يا ويلكم أما تعرفوني أنا صاحب العجائب أنا الاسد الغالب أنا القرم الطالب أنا الصنديد المحارب أنا ليث بني غالب أنا أمير المؤمنين

على بن أبى طالب فلما سمع عدو الله علقمة نداءه وقد انكشف عن وجهه ونظر العلم
فى أثره والكتائب متلاحقة به تيقن أنه الامام وقد قتل أخاه وأتى اليه فتأخر عن
جنبل ورجع الى قومه هاربا وللنجاة طالبا فناداه جنبل الى أين يا ابن اللئام كل
هذا جزع من هذا الغلام ألم تزعم فى بدء قولك ان أخاك قد قتل الامام وان الوحوش
أكلت لحمه فلم يلتفت اليه اللعين ولم يستمع الى كلامه وأقبل على قومه وقال يا ويلكم
خذوا لانفسكم الحذر من الموت المغرق هذا على بن أبى طالب قد رجع اليكم وما ملك
العلم الا بعد قتل أخى وقتل جميع من معه أو أدخلهم فى دينه وأرجو أن يكون المنيع
قد ساقه اليكم ليكون غنيمتكم ويكون هلاكه على أيديكم وتكون لكم المراتب
العظام والخلع الكرام عند أخى الملك الهضام وعند الاله المنيع فقال له قومه وحق
المنيع ان هذا العبد الذميم ما كان لنا طاقة به فكيف نطيق عزق الكتائب ومظهر
العجائب على بن أبى طالب فعند ذلك سار عدو الله علقمة لما سمع ذلك من قومه وعلم
انهم لا يجسرون على قتال الامام فتحير وضاقت عليه الارض بما رحبت وعاد لا يدرى
كيف يصنع فهذا ما كان من أمر عدو الله ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمر
الامام رضى الله عنه فلم يزل سائرا الى أن أتى الى جنبل وقومه وقال لله درك يا جنبل
أنت ومن معك والله انى قد علمت ان هذا سيكون منكم وكان السبب فى ذلك أن
الامام رضى الله تعالى عنه لما أصبح على الحصن الأسود وقد أبطأ عليه خبر علقمة
قلق لذلك قلقا شديدا وأقبل على أصحابه وقال يا معاشر الناس انى قد هجس فى خاطرى
هاجس وانى أظن أنه حق فقالوا وما هو يا أمير المؤمنين قال ان علقمة أخا الملك
ما تأخر عنا الا وله خبر وانى قد بعثت الغنائم مع جنبل ومعه شرذمة قليلة وأخشى أن
يكون عدو الله علقمة وقع بهم فى طريقه وهو فى سبعة آلاف فارس فيأخذ الغنائم
من أصحابنا ويقتلهم عن آخرهم وما أرى من الرأى الا أننا نرجع على عقبنا
لنكشف الخبر عن هذا الامر والملك بين أيدينا سنعود اليه فقالوا والله افعل ما بدا لك
وما تريد فأنا لكلامك سامعون ولأمرك طائعون وأقام عنده عدة من الرجال
ثم أمرهم أن يتحصنوا فى الحصن الاسود وأمر عليهم رجلا من المسلمين وأوصاهم
بحفظ الحصن ثم أخذ المسلمين وسار وأمر أن لا عوائق على الخيل السوابق وما
زال الامير يسير ويجد فى السير ورب السماء يطوى له البعيد ويهون عليه كل

صعب شديد الى أن وصل الى القوم فوجدهم فى الحرب وشدة القتال (قال الراوى) فلما نظر جنبل الى الامام وعرفه قال له أهلا وسهلا يا مولى الولى العارف الذكى صاحب الوجه المنير وابن عم البشير النذير فلما سمعه الامام جزاه خيرا على ذلك ثم قال يا جنبل هل وصل عدو الله الى أحد من أصحابك قال لا ولم يبرز لقتاله غيرى فقال له الامام رضى الله عنه فما كان من أمرك معهم فقال يا أمير المؤمنين قتلت منهم عظيمين فارسين من أشرافهم أحدهما صاحب الملك والآخر ابن عمه فسر الامام بذلك سرورا عظيما وشكره على فعله ثم ان الامام رضى الله عنه صف أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعل على الميمنة ناقدا وعلى الميسرة جنبلا ووقف الامام فى القلب وأحدقت به الابطال ثم أقبل على جويرثة وقال له يا جويرثة انى أرى مع القوم سائقة وأسارى فما ذلك قال له جويرثة يا أمير المؤمنين يمكن ان القوم وصلوا الى الحصن المشرف وقد أنكروا عليهم بحيلة وأشهروا لهم التهليل والتكبير فأجابوهم أهل الحصن بالتكبير فسألوهم عنك فقالوا لهم ان الامام نازل على الحصن الاسود فأظهروا لهم السرور والفرح وقالوا نحن من اخوانكم المسلمين جئنا لنصرة أهل الايمان وما نريد منكم سوى أن تزودونا بالماء والزاد فهذه هى الكرامة الزائدة فعند ذلك ظنوا ان ذلك حق فأمر عون بن صفوت بفتح الحصن فدخل عليهم عدو الله وهجم عليهم بقومه وهم آمنون مطمئنون وأخذهم أسارى وأوثق عون ابن صفوان وأخذه أسيرا وأخذ جميع ما فى الحصن ولم يترك فيه شيأ وتركه خرابا وأصحابنا معه أسارى موثوقين (قال الراوى) فلما سمع الامام ذلك من جويرثة ترك الناس وولى الى مكان عال من الارض وصار يرمق بطرفه الى السماء بعد ان نظر الى الاسارى وهم مكتفون وصار يدعو الله تعالى بعد ان نظرهم وكبر ذلك عليه وصعب لديه ورجع الى أصحابه وقد انهملت دموعه عليهم فقال له قومه ما بالك يا أمير المؤمنين تبكى فقال لهم يا قوم أبكى على اخوانكم الاسارى والله يا قوم يعز على تلك الحالة التى رأيتم فيها ولا شك ان عدو الله قد احتال عليهم بحيلة حتى وصل اليهم بها وأخذ الغنائم التى كانت لهم معنا فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين فما يمنعنا ان نحمل عليهم بجمعنا حملة واحدة فعسى ان نصل الى أصحابنا ونخلصهم من أيديهم رغما عن أنفهم وكل من ملكناه منهم قتلناه فعند ذلك قال لهم الامام رضى

الله عنه فتمهلوا حتى نوضح لهم الحجة فما أهلك قوما الا من بعد ما أحذرهم ﴿وقال الراوي﴾ ثم ان الامام سار بنفسه الى أن وصل الى أصحابه وقال أين غمام بن الحاف أخو الملك المضام فأجابه بالتلبية وقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال الامام يا غمام أخرج الى أخيك بنفسك والى هؤلاء القوم الذين معه وادعهم الى الله ورسوله فعسى الله تبارك وتعالى ان يهديهم انه على ما يشاء قدير فقال غمام السمع والطاعة لله ورسوله ثم لك يا أمير المؤمنين ثم انه أفرغ عليه لامة حربه وخرج قبالة أخيه علقمة ونادى برفيع صوته معاشر الناس أنا أدعوكم الى الاسلام وعبادة الملك العلام القدوس السلام وأن تتركوا عبادة الاصنام ونحن نرعى لكم الود والذمام وقد كرهنا ان نسفك دماءكم لان الله من علينا بالاسلام ونجانا من عذاب النار وولى علينا ممزق الكتائب ومظهر العجائب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأنا غمام أخو الملك المضام قدمني اليكم فيا أخي يا علقمة قل معي أنت وقومك لا اله الا الله محمد رسول الله تكن من الفائزين المنعمين بجنات النعيم ثم أنشد يقول شعرا

زال الظلام وبان النور للهادي * واستظهر الحق للمسترشد الغادي
وأوضحت طرق الاسلام واتضحت * للبدو والحضر في جمع من النادي
بالسيد الابلج المعروف من مضر * المرتضى نجل عم المصطفى الهادي
وضارب القوم في بدر وفي أحد * ويوم خيبر أيضا فخصمه بادي
فوزوا به واحذروا يا قوم سطوته * وجانبوا كل ذي شر وانكار
فانه قائد للحق متبع * للكفر ماح ومخصوص بارشاد

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع علقمة ذلك قال وحق المنيع هذا أخي غمام قالوا له القوم هذا أخوك غمام ولكنه صبا الى دين الاسلام وصار من جملتهم وقد قدمه أميرهم الينا يدعونا الى دينهم فقال علقمة ما أظن ذلك حتى أدنو منه وأسمع كلامه وأتحقق الامر بنفسي فتقدم الى ناحية غمام وكان قد استدعى بلامة حربه ولبس ثوبا من الديباج وتكور بعمامة من الخز وأخذ سيفه واعتقل برمحه وأقبل الى أخيه غمام فلما قاربه قال له ألست أنت أخي غمام فقال له أنا أخوك غمام قبل اليوم والآن فلست بأخيك ولا من زمرتك قال فكيف ذلك يا أخي فقال له ان لم تدخل في دين الاسلام وتتبع محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام فقال له علقمة ان جزا الجماجم

وقطع المعاصم وتقصل الجبال ونسف الرمال أيسر على من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم مد اليه سنان رمحه وحمل عليه وكاد ان يقتله فحمل غمام عليه وصار كل منهما حريصا على قتل صاحبه فتعاركا وتطاولا حتى شاهد الناس منهما مشهدا عظيما وقد تراجع علقمة الى أخيه غمام ووصل اليه وطعنه فى صدره وكان على غمام درع حصين منيع ضيق الزرد كثير العدد فقطع السنان الزرد وجرحه جرحا وهنا فتألم من ذلك غمام فصبر نفسه فلما ازداد به الامر تأخر الى ورائه وعدو الله أخوه يدارکه بحملاته وضيق عليه فنظر ذلك الامام رضى الله تعالى عنه اذ هو صرخ عليه صرخة عظيمة فذهل منها عدو الله علقمة وحملت عليه الرغدا وقالت له الويل يا عدو الله قد دهمك الموت المهول ثم هجمت عليه كأنها شعلة نار فحمل عليها ورجع عن أخيه فتطاعنا بالرماح حتى انكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وكلت منهما النفوس الى أن تعجب الناس منهما فقال لها عدو الله علقمة ويلك يا رغدا أما لك أرب فى المملكة أن تحتوى يدك عليها فقالت له وماذا أفعل قال لها اتركى وحملك فتصيرى زوجة لى وأنا أصير لك زوجا وقد علمت مالى ورفعة حالى ويصير لك نصيب من المملكة وهذا على بن أبى طالب سوف يأخذه الملك المصام ويصير هو ومن معه خدما لنا وأسارى بين أيدينا ويصيرون خدما فقالت له الويل عنى يا ابن الاراذل فأنا السنام من الذين يعول عليهم المحال فدع عنك هذه الفعال واترك هذا الضلال فلا يخلصك اليوم منى الاشديد القتال وان أحببت أبقى عليك فاستأثر لى فأت نحوى فقال لها يا رغدا هذا يكون منك وقد اشتد غضبه حين سمع مقالتها فحمل عليها وضربها بالسيف على رأسها وكان على رأسها بيضة عادية فانقصف سيفه على البيضة التى على رأسها وسقط أكثره على الارض فلما نظرت الرغدا الى ذلك أمنت منه فدا خلته وضربت يدها الى مجامع مراق بطنه وأرادت ان تقتلعه من سرجه فلم تقدر على ذلك لعظم خلقته وكبر جثته فتعاركا عراكا شديدا حتى عييت من تحتهما الخيل وعدو الله والرغدا تساقطا جميعا على الارض وزاد بينهما القتال الى أن كل عدو الله وداخله الانبهار من شدة ما ناله من الرغدا وثباتها فزاد به الامر فصرخ على قومه وقال ياويلكم أدركونى قبل أن أهلك فلما سمعوا صرخته أتوا اليه مسرعين ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر الامام الى ذلك قال لقومه يا معاشر الناس احملوا مع صاحبتكم

وكبير وابارك الله فيكم وعليكم فكبر واو حملوا والامام فى أوائلهم فلم يصلوا الى الرغدا ولا الى عدو الله ولم يعرفوا امكانهما لشدة الناس فى الازدحام فكبر ذلك على المسلمين وداخلهم الفزع والخوف والجزع على رفيقتهم الرغدا فحزنوا عليها وقطعوا الرجاء منها فعملت السيوف وظهرت الالوف وتعلقت الجماجم وانبردت المعاصم وتقصفت الرماح وكثر الصياح وثار الغبار وأظلم النهار وحار الجبان وثبت الشجاع واندرست الناس تحت سنابك الخيل وصار النهار كسواد الليل حتى ان الرجل لا يعرف صاحبه من عدوه وقاتل الامام فى ذلك اليوم قتالا شديدا حتى دهشت له الجمعان وبهتت اليه الشجعان وهو يضرب يمينا وشمالا وأماما وخلفا وكان يقبض على قوائم الجواد فيقلبه على راكبه وكان اذا نظر الى كردوس عظيم انى نحوه ويعرض درقته فى صدورهم ويدفعهم الى ورائهم فيكردسهم جميعا بشماله ويقف عليهم فكل من قام ضربه فقطع رأسه الى أن يفنى ذلك الكردوس عن آخره وهو مع ذلك ينادى ويقول هذا قتال الابرار هذا قتال الفتى الكرار ابن عم المصطفى المختار رسول الملك الجبار ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر القوم الى تلك الفعال والى شدة قتاله تأخروا عنهم الى ورائهم وقالوا وحق المنيع ماهذا قتال آدميين وماهو الاقتال المردة والشياطين وقد قاتل جنبل فى ذلك اليوم قتالا شديدا وهو متسرول بسرواله وقد حزم وسطه بمنطقته وهو قابض على سيفه وحجفته وهو ينادى يا أعداء الله أتانا الفرج من عند الله وكذلك جويرثة ينادى يا أهل الايمان الصبر الصبر الجنة الجنة وقد اختفى عن الجميع صوت الرغدا وخفى على الامام خبرها فاذا هى قد اعتزلت بعدو الله علقمة بعيدا عن المعركة وقد حولته عن قومه وضيقت عليه المسالك والامام رضى الله عنه لما خفى عليه أمر الرغدا خشى أن يكون حدث عليها حادث فمال يمينا وشمالا فلم يجدها فبينما هو كذلك اذ نظر الى غبرة هائلة فقصد اليها وهو يجد فى طلب الرغدا واذا برجل من المشركين قد تعرض للامام وفى يده سيف مليح ودرقة عظيمة منيعة كأنه صخرة جلمود لطوله وكبر جثته وانما عارض الامام ليصده عن مراده ويرده عن الرغدا فنادى يا ابن أبى طالب ارجع بنفسك سالما والا أزلتك كما أزلت غيرك ﴿قال الراوى﴾ فقال له الامام ياويلك والويل لآبائك وأجدادك الى من وصلت قبلى قال وصلت الى صاحبتكم الذمية المعجبة بنفسها الطاغية دون جنسها المتعاظمة فى مرامها فارجع لئلا يلحقك

ما لحقها فلما سمع الامام ذلك من مقالته ظن أنه صحيح فغضب غضبا شديدا وقال له يا عدو
الله ان كنت وصلت اليها فأنا آخذ بثارها وأكشف عن عارها ثم حمل عليه حملة
شديدة وهو زائد الغضب وضربه ضربة يريد بها هامته فاستتر عنها عدو الله بدرقته
فرد الامام الضربة الى وسطه فقطعه نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار
ثم تركه الامام وركض بجواده فى طلب الرغدا فما زال كذلك الى أن وصل الى ذلك
العجاج المرتفع فوجد الرغدا مع عدو الله علقمة فى قتال ونزال فصرخ عليه الامام صرخة
أزعجه بها وقال له اليك يا عدو الله عن ولية الله فانها خير منك عند الله وخير من جميع
قومك ثم تقدم الامام وضرب بيده على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وصار فى يده
كالعصفور مع البازى الجسور (قال الراوى) وكان الامام رضى الله عنه حين
طلب الرغدا وقد كان خفى على المسلمين خبرها وهم قلقون لذلك فبينما هم كذلك اذ
سمعوا صوت الامام من تحت العجاج وهو ينادى فتح الله ونصر وخذل من كفر بالشام
نصر من الله وفتح قريب فاستبشر الناس بصوته وأجابوه بالتكبير من كل جانب
ومكان واذا هو خارج من تحت العجاج وعدو الله معلق فى يده كالثوب الخلق والرغدا
الى جانبه فعند ذلك سلم الامام علقمة الى أصحابه وقال لهم أوثقوه كتافا عظيما ثم قال
أيها الناس ان أعداء الله قد خمدت جمرتهم فاحملوا بنا عليهم حتى نخلص منهم
الاسارى وتكون همتكم لاخوانكم همة عظيمة على كل من اعتدى عليكم من
المشركين فاقتلوه فامتثلوا ما أمرهم به وقوموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وكبروا تكبيرة
واحدة شديدة ارتج لها الوادى ولم يزالوا فى حملتهم والامام فى أوائلهم ينادى يا معاشر
الكفار عمن تقاتلون وقد قتل صاحبكم علقمة (قال الراوى) ثم ان الامام التفت الى
أصحابه وقال لهم حطوا حطة واحدة فى أعدائكم بالسيف فوضعوا السيف فيهم حتى
أزالوا الرجال عن مراتبهم والفرسان عن أماكنهم فقتلوا الفرسان وأبادوا الشجعان
وقد وصلوا الى أصحابهم الاسارى فبادرهم الامام رضى الله عنه ونادت الرغدا وناقد
وجنبل وجويرثة وخالد فأخذ الامام عون بن صفوان وكل من المذكورين بآخر
وصار أصحاب الامام يخطفون أصحابهم من عسكر المشركين كالبازات وساروا بهم
حتى لحقوا بهم اخوانهم ثم التفت الامام الى أصحابه وقال لهم يا قوم ارجعوا الى أصحابهم
فما بقى الا اليسير وقد كفاكم الله شرهم فقالت الرغدا نحن معك يا أمير المؤمنين فوالذى

بعث ابن عمك محمدا بالحق بشيرا ونذيرا الا رجعنا عنهم بمشيئة الله تعالى حتى نشتت شملهم ونخلص بقية الاسارى منهم ان شاء الله تعالى فشكرها الامام على قولها وقال يا رغدا على الاصول تفرع الغصون ومن أشبه أباه فما ظلم وقال ناقد وجنبل وجويرثة مثل ذلك فجزاهم الامام خيرا ثم قال لهم احملوا بارك الله فيكم وعليكم وأدركوا اخوانكم ﴿قال الراوى﴾ فحمل الامام ومن معه حملة شديدة فولى المشركون الادبار وأخذهم السيف من جميع الجهات والاقطار فما نجا من المشركين الا من له جواد سابق وكشف الله عن بقية الاسارى ما كانوا فيه من الاسر والايثاق وحلهم المسلمون وهنا بعضهم بعضا بالسلامة ونصر الله المسلمين وأهلك المشركين ثم أمر الامام أصحابه بأخذ الغنائم وجميع الاسلاب والخيول والعدد وكل ما كان مع المشركين ثم أمر باحضار علقمة عدو الله فأحضر وبين يديه فقال له الامام يا عدو الله ما تريد أن أصنع بك قال يا ابن أبي طالب ان أبقيت علينا أبقينا عليك فقال له يا عدو الله ومن يبقى على قال يبقى عليك أخي الملك الهضام ألم تعلم أنه قادم عليك بجيوشه وشجعانه وأبطاله وأبطال العرب واليمن فقال له الامام ألم تعلم يا عدو الله أن ابن أبي طالب مدمر العرب ومفرج الكرب والجالب للاعداء العطب فقال له يا ابن أبي طالب خذ مني الفداء وأطلقني قال له ومن يعطيني فداءك قال أنا أعطيك وأخي الهضام مثلي يعطيك عشرة من الخيل العتاق وعشرة من البختيات السباق وعشرة مطايا محملة من حلى اليمن وفوق كل واحدة كيس من الذهب الاحمر وعشرة من العبيد وألف شاة يتبعها أولادها وعشرون بيضة من الكافور وعشرون نافسة من المسك الاذفر وخمسون سناما من العود الند ومائة من الجمال محملة من البر وبعد ذلك أطلق لى السبيل ﴿قال الراوى﴾ فقال له الامام رضي الله عنه كل ذلك وجميع ما تملكه يدك ويد أخيك الهضام صائر الى ان شاء الله تعالى أحمله جميعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أدعوك لشئ أقرب مما ذكرت وأيسر مما نعتّ قال وما هو قال أن تقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمي بالرسالة وتمضي الى حال سبيلك مصاحبا بالسلامة حيث شئت مباركا لك في مالك وجمالك وخيلك وعبيدك ورجالك ولا ينالك منا الا الخير والسلامة ويصير لك ما لنا وعليك ما علينا فقال يا ابن أبي طالب ما كنت بالذي أقولها ولو قطعت اربا اربا ولم أكن بتارك دين المنيع والاله الرفيع وما شئت أن تفعل

فافعل فقال له الامام يا عدو الله لا بد من قتلك فقال له يا ابن أبي طالب اذا وصلت الى
المنيع الاله الرفيع فأخبره أن علقمة مات على دينك فغضب الامام رضي الله تعالى
عنه عند ذلك غضبا شديدا ووثب اليه ليضربه بالسيف فسبقته الرغدا وضربته
بسيفها فأزالت رأسه عن جثته وقالت يا أبا الحسن اني أرحتك منه ومن قتله فتبسم
الامام ضاحكا من قولها وشكرها على فعلها وقال لها لله درك يا رغدا ثم ان الامام
رضي الله عنه سار بالغنائم هو وأصحابه راجعين الى الحصن الاسود وهو فرح مسرور
بما فتح الله على يديه والمسلمون سائرون معه الى أن أتوا الى الحصن الاسود فوجدوا
أهل الحصن متأهبين شاخصين وربيعة بن سالم الذي ولاه الامام في الحصن متحزم
وأصحابه كذلك وهم على حذر ﴿قال الراوي﴾ فلما وصل الامام اليهم فرحوا
بقدومه واستبشروا به ونزلوا اليه مسرعين وفتحوا له باب الحصن واستقبلوه وسلموا
عليه وعلى من معه وسروا برؤيته سرورا عظيما فقال له ربيعة بن سالم ألا يا أمير
المؤمنين فأخبرنا بما كان من أمرك فقال له خير لنا وشر لاعدائنا ثم ان الامام حدثه
بحديثه وما جرى له مع علقمة وكيف قطعت الرغدا رأسه وكيف نصرهم الله على
عدوهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ولم يزالوا واقفين على باب الحصن الى أن تكامل
العسكر فأمرهم الامام بالنزول خارج الحصن لكثرتهم وكثرة غنائمهم فقال ربيعة
ما هذه الغنيمة العظيمة يا مولاي فقال له غنيمة اغتنمتها بأمر الله من أعدائه لعباده
فخذها وكن محتفظا عليها الى أن أعود اليك ان شاء الله تعالى فان أتاك أحد من
أصحابي يطلب هذه الغنيمة فلا تسلمها لاحد الا أن ترى وجهي واياك يا ربيعة أن
يخدعك خادع كما فعل بأخوانكم ويقال لكم كما قيل لهم فقال ربيعة يا سيدي حاشا
أن يخدعنا خادع وانما يقال هذا للصبيان فسر الامام بذلك سرورا عظيما وجازاه خيرا
﴿قال الراوي﴾ ثم قال الامام رضي الله عنه يا ربيعة هل عندك علم أو بلغك خبر عن
الملك الهضام فقال يا أمير المؤمنين ها هو نازل على حصن الفواكه وجميع ماله وثقله
وما معه في ذلك الحصن فعند ذلك أقبل الامام رضي الله تعالى عنه الى أصحابه وقال
يا قوم ما ترون من الرأي هذا صاحبكم الملك الهضام أمامكم هو في الحصن الذي بين
أيديكم وهو في جمع كثير فما أنتم قائلون فلما سمع أصحابه منه ذلك الكلام قالوا والله
يا أمير المؤمنين نحن نقاتل معك وبين يديك الى أن نقتل عن آخرنا فان شئت أن تتقدم

وان

وان شئت أن تتأخر بحاز اهم الامام خيرا وقال بل أتقدم أمامكم وأقاتل بروحى دونكم
ثم تلا قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم أقام
بقومه الى وقت العصر وأمر بالرحيل فركب أصحابه وماز الوا سائرين الى أن دخل
الليل فأمر الناس بالنزول فنزلوا وتولى الامام حرس قومه بنفسه الى أن طلع الفجر
فأذن وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته أمر الناس بالركوب فركبوا
وسار بهم الى أن قرب من حصن الفواكه فأرسل رجلا ليأتيه بالاخبار فما غاب عنه
غير بعيد حتى عاد اليه وأخبره أن الملك نازل بجيوشه على الحصن وأن القوم فى تكاثر
من العدد ﴿قال الراوى﴾ فأمر الامام أصحابه بافتقاد لامات حربهم واصلاح
شأنهم فبات الناس متأهبين للقتال فلما أصبح الصباح صلى بهم الامام صلاة الفجر
ولما فرغ من صلاته أمر الناس بالرحيل فارتحلوا ولم يتقدم الامام طليعة بل سار بجميع
جيوشه حتى أشرف على حصن الفواكه فنظر الامام فرأى جيشا قد ملأ الارض فى
الطول والعرض وعدو الله الهضام عازم على الرحيل واذا قد أشرف عليه الامام
رضي الله تعالى عنه فوقعت العين على العين فهذا ما كان من خبر الامام رضى الله عنه
﴿وأما﴾ ما كان من خبر عدو الله الهضام وسبب خروجه من حصنه الذى كان فيه
وهو حصن الحصون فهو أنه حين وصل له خبر ما فعل بجوابرثة واخوانه وما فتح من
حصونه وما فعل بجيوشه عظم ذلك عليه وكبر لديه فألقى التاج عن رأسه وقال لم يبق
الا مجننا فى الاوطان مع الصبيان وقد بعثت جميع الجيوش والعساكر فلم أرمنهم من
يجيب وما الحاجة اذا اهتزت الاصاحيها فمن رضي لغنمه براع لا يحتاط بها فقد ضيعها
ثم نادى بعبيده وقال لهم طوفوا فى القبائل ونادوا فى العشائر معاشر القاصدين
والوافدين ومن هم للنبيع عابدون ألا من أراد المسير الى الملك الهضام فليأت اليه لانه
سائر الى مدينة يثرب والى محمد بن عبد الله وجنوده والى ابن عمه على الذى هو فى طريقنا
فمن أراد أن يعطيه الملك مدينة يثرب يسكنها أو ملكا يملكه أو حديقة من حدائقها أو
أرضا من أراضيها فليبادر الى الملك يعطيه ما طلب ويدفع اليه ما أحب فقال له العبيد
السمع والطاعة ﴿قال الراوى﴾ ثم تفرق العبيد فى قبائل العرب وهم ينادون بما
أمرهم به الملك فأقبلت اليه سادات كل قبيلة وأجابوه الى ما يريد فجعل يعطى لكل
واحد منهم ما طلب وفتح خزائن السلاح وكانت عنده أسلحة مدخرة ففرقها على الناس

وهي من الدروع الداوودية والبيض العادية والسيوف الهندية والرماح الخطية وأعطاهم الخيل العتاق وأظهر أعلاما ملونة وبنودا مذهبة وفرقها على الرجال ولم ينم تلك الليلة حتى فرغ من أهبته فلما برق الفجر نادى العبيد في القوم بالرحيل فارتجت الارض لصهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافق الرماح وتشابك الصفاح وزعاق الابطال والرجال وركب الملك وعليه رمانية حمرا فقال أصحابه عند ذلك أظهر الملك خلعة الغضب ولبس درع الغضب قالوا بل لمن لقيه من أعدائه ثم سار ولم يقدم أمامه طليعة ولا أنفذ سرية بل تقدم بنفسه أمام القوم وتلاحقت به العساكر والخيل والرايات والبنود وأقبلت الكتائب يتلو بعضها أثر بعض وقبيلة في أثر قبيلة وتقدم أمام الملك شاعره الغضبان بن قائد وقال أيها الملك قد هجس ببالي أبيات شعر في سيرك الى عدوك أتأذن لى أن أقولها فقال له الملك قل ما عندك من الابيات وبشرني فأنشد الغضبان يقول شعرا

رفيقي بلغن عني الاعادى * وأهل الجاحدين ببطن وادى
* ألا أبلغ محمدا التهامى * وأبناه الا كاسرة الشداد
وقيلة والحصار ونسل قيس * واوسا ثم خزرجها الاعادى
* وبلغ هاشما وبني لؤى * وسكان البلاد بني اياد
وبلغ يا أخا الهيجا عليا * بأفضل ما به أضحى أنادى
فليس لنا مثل من لاقيت طرا * وأهل المدن مع أهل البوادى
بلى انا رجال الحرب قدما * نقد بسيفنا هام الاعادى
وملك الارض سائقنا اليكم * فأين مقامكم عند الجلاد
هو البطل السميدع عند حرب * يكر على الفوارس في البوادى
سنخذل كل قسورة همام * من الابطال يطعن في الفؤاد
* وغلك يثرب أيا ما قليل * ونسكن في البطاح وكل وادى
ونقتل كل من والى عليا * ونجمد من قريش ومن اياد

﴿وقال الراوي﴾ فلما سمع الملك الهضام من شاعره تلك الابيات فرح فرحا شديدا وقال لا فض فوك ولا ذل أبوك ثم انه خلع عليه خمس خلع من الديباج وخمس عمائم قبطية مذهبة وحمله على حمرا سريعة وقرب بين يديه خمس رؤس من الخيل العربية

وساروا الى أن أتوا الى حصن الفوا كه فلما وصلوا اليه سمعوا صياحا وصراخا والقوم من أهل الحصن يستغيثون واليه يشيرون فقال الملك لمن حوله أنظروا الى هؤلاء القوم ما بالهم يبكون ويتصارخون وما هم اليه يشيرون فمضى اليهم أناس ثم عادوا اليه وقالوا له أيها الملك لا بد فى العيش من رغد وان صراخ القوم من أجل هذا الغلام الذى فتح الحصون وخرب الديار وأيتم الاطفال فقال لهم يا ويلكم والويل لا بائكم فهل وصل اليكم أو أشرف عليكم فقالوا له أيها الملك اغا صراخنا وتصايحنا من مخافته قبل هجمته وقلقنا قبل طلعته فانه ما توجه لقوم ووصل اليهم وأشرف عليهم ووصل بحسامه اليهم الا وبطلت الحيل وانقطع الامل لانه ما وقعت عينه على شىء الا وصل اليه ولا ساوى منازلا فى الحرب الا قدر عليه ﴿قال الراوى﴾ فوثب الملك بجواده الى أن وصل الى الرجل المخاطب ونظر اليه فاذا هو رجل من قومه يقال له مالك بن رياح وكان قد نزل به الخوف قبل هجمته عليهم فلما تحققه الملك نظر اليه نظرة الغضب وضربه بسوط كان فى يده وقال له اسكت لا أم لك فقد أرعبت قلوب الناس بوصف هذا الغلام ثم بعث الى أهل الحصن وأحضرهم بين يديه وأرسل الى صاحبهم فأحضره وكان اسمه مسطاح الاقرن الجراح ابن دعامة الباهلى وكان الملك قد رباه مع ولده ناقد وكان محله فى محل الاولاد عنده فلما مثل بين يديه قال له الملك يا مسطاح ما هذا البكاء والصراخ وما وصل اليكم واصل ولا دهمكم داهم فقال مسطاح الاقرن وقد كان ذوى الجنان وصيح اللسان أيها الاب القديم والملك الرحيم أما الفزع فمن سيف الامام وهو رجل لم يبق بين يديه حصن الا فتحه مسلوب من الطباع البشريه وصفاته منفردة عن الصفات الانسيه له مناقب علويه وأسرار خفيه يلقى نفسه منفردا وحيدا فى الجموع المتكاثرة وفى وسط الجيوش المتوافرة ولا يبالى بفتح الحصون وحده بغير معين كأنه ملك سلط على العالمين وها هو أيها الملك قد وصل الى ديارك ونازل بجوارك وهو مصبحك أو ممسيك ولا يغرنك من معك من الجيوش والعساكر فهذا الغلام كالنار كلما حركت حطبها زاد لهيبها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الهضام من مسطاح ذلك الكلام فار بالغضب فما صبر دون أن اخترط سيفه من غمده وضرب به مسطاح على رأسه فقطع أكوار العمامة ووصل السيف الى رأسه فشجه شجة عظيمة فسال الدم على وجهه وصدره وهم أن يثنى عليه بأخرى فتقدمت

السادات من قومه والاكابر فنعوه عنه وقالوا له أيها السيد انه ولدك الذي ربيته وأحسنت اليه وقدمته فلا تؤاخذه بسوء فعله فقال لهم يا قوم هل رأيتم أحدا وصف عدوي بهذا الصفة ونعته بهذا النعت بين يدي فلم يزالوا به الى أن سكن غيظه وأمر بادخال الاحمال والامتعة في الحصن ونادى المنادي أيها الناس من علم من نفسه تقصيرا ومن جواده ضعفا فعليه بالحصن يدخل فيه فأدخل الناس جميع ما يثقلهم في الحصن وصار واجرائد بلا علائق وكان عدو الله الهضام ليس مراده مجرد ملتقى الامام وانما كان يقصد السير الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يظن أنه يملك مدينة يثرب كما ظن أهل خيبر والله بخلاف ذلك ﴿قال الراوي﴾ فبينما عدو الله يهيئ في نفسه وهو عازم على المسير اذ رأى غبرة مرتفعة وزوابع هائلة واذا هو بأمير المؤمنين قد أشرف عليه بجيشه وقد علا قتامه واسود ظلامه وجيوشه قد سدت منها الطرق وضاقت بها الافق وأظلم بها الجو فلما عاين الملك الهضام ذلك الغبار الطالع بعث طليعة من قومه وأمر عليهم قتادة بن عطية فمضى قتادة ومن معه يترا كضون فلما عاينوا ذلك عادوا اليه مسرعين وأقبلوا الى الملك الهضام فنظر اليهم وقد حالت ألوانهم الى الاصفرار فقال لمن حوله ما بال هؤلاء القوم وجوههم كالحة وما هي فالحة فقال لهم حين أقبلوا ما وراءكم فقال قتادة أيها الملك ان ابن أبي طالب لا يكافئه أحد كفاء ولا ينجيه الالتقاء وها هو قد أتاك بأهل الارض وأهل السماء وقد عباهم تعبية الحرب وهم على أهبة القتال والضرب وهو امامهم سافر لثامه وبيده رمح طويل ساوى به صدور الكتائب وبرديه قوة المواكب وهو مرة يحوم على الميمنة ومرة يحوم على الميسرة وهو لا يترك عنانا يخرج عن عنان ولا سنانا يبعد عن سنان والقوم له سامعون ولامره طائعون وتحت لوائه منقادون ومن شره آمنون وها هو قد وصل اليك وكأنك به قد أشرف عليك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك الهضام منه ذلك قال له لقد ملئت قلوبكم هلعا وحشيت منه جزعا وهل معه الاعبيدكم ورعاة أغنامكم وسكان حضونكم وما خرج من يثرب الا وحيدا فريدا ثم تقدم عدو الله الهضام في الوادي الى أرض واسعة هينة لينة تصلح لجال الخيل وراءه ومد صفوفه ونشر بنوده ورتب ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعل القباب على الجمال وأوقفها على كثيب مشرف يلوح باختلاف الالوان فما فرغ من ترتيبه حتى أقبل عليه الامام

بعسا كردوعليه السكينة والوقار والهيبة والانوار وهو بازائهم كأنه البدر اذا نار فتارة يعدل يمينا وتارة يعدل شمالا ولا يترك عنانا يعدو عن عنان ولا سنانا يعدو عن سنان الى أن وقعت العين على العين فنظر الامام الى صفوف المشركين فصاح بأعلا صوته معاشر المسلمين ان أعداء كم متأهلون لقتالكم فكونوا على صفوفكم ومراتبكم الى أن أعود اليكم ثم خرج الامام بنفسه وتقدم الى القوم بالاعذار والانذار ولم يزل يتقرب اليهم حتى كاد أن يخالطهم وهو يسير على مهل من غير طيش ولا عجل فاضطربت الصفوف وتصارخت الرجال من حول الملك وقالوا له قف مكانك يا غلام فهذا محل الوقفة ومرتبة المملكة ومواقف السلطنة والملك بعينه يراك ويرعاك فان كنت رسولا فقل ما عندك والامام رضي الله عنه لا يسمع كلامهم ولا يرد جوابهم الى أن دنا منهم وقاربهم ﴿قال الراوى﴾ فلما قاربهم أسفر عن لثامه وأجهر كلامه وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الى قوله أن آمنوا بربكم فآمنا ثم قال لهم يا أمة السوء ما بالكم أنتم عمى عن الهدى أم صم عن النداء وقد قفل الشيطان على قلوبكم أفلا تعقلون أفلا تتفكرون فى السماء ومن خلقها ورفعها بغير عمد ترونها وخلق كواكبها ونور الشمس والقمر وأجراهما وهى سبع سموات طباقا مملوءة بالملائكة الكرام يسبحون الليل والنهار لرب الانام وقد خلقها بمشيئته وأمسكها بقدرته ودبرها بحكمته ورفعها بمعرفته بلا قوائم ولا دعائم ولا سند فلم لا تتعظون ولا تسمعون ولا تنزجرون وأنتم لا تعقلون فهذه ساعة الانفصال وساعة الارتحال فمن قال منكم لا اله الا الله محمد رسول الله فأنا منه وهو منى ومن أبى فأنا برىء منه وهو برىء منى فأنا ابن عم رسول الله أنا سيف الله أنا صاحب السر الخفى أنا صاحب الحق الصفى أنا المسمى بعلى أنا ابن عم النبى فهل من طالب هل من راغب هل فيكم من هواه الى الله صائب ويعود اليه تائب ومن الذنوب هارب أنا ممزق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا الغيث الساكب أنا فارس المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا امير المؤمنين على بن أبى طالب ثم أنشد وجعل يقول شعرا

أيقظت لو ينفع الايقاظ من جهلوا * وقلت قولا ففيه الرشد ان عقلوا
طرق النجاة لكم أوضحت منهجها * الى المهيمن ذى الغفران فامتثلوا

أولا فدونكم حربا يدمركم * فان أبيتم فلا سهل ولا جبل
انى نصحتكمو والله يشهد لى * وهل سواه على شاهد عدل

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام من قوله وقف وهو صامت ينتظر جواب القوم فالتجم لسانهم جميعا وصمتوا عن الجواب وأمسكوا عن الخطاب وعدو الله الهضام بينهم تحت الحسيرة مما سمعه من كلام الامام وكادت الارض تموج به فبينما هو بين الذهلة والحيرة وهو باهت اذ تقدم اليه مسطاح الاقرن صاحب حصن الغواكه وقال بقوة الملك أعوذ وبرحمته ألوذ انه قد كان مني بالامس لفظات أتت بها الجهلات من وصف هذا الغلام الكثير الكلام وقد أردت أن أخرج اليه وأحوله واقلل كلامه واذكر له فضل المسيح ودلائله ومعجزاته وقدرته وارادته وأرغبه فى جنته وسكانها وقصورها وحورها وغلمانها وولدانها ونعيمها وأحذره من نارها وجحيمها وعذابها وأليمها وأعوذ اليك بالرضا وفوق الرضا ﴿قال الراوى﴾ ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وكان بغيته أن يسير اليه الامام تحت طاعته أو يرغب فى جنته ثم قال يا مسطاح لئن رغبت ابن أبى طالب فى جنتى حتى يدخل تحت طاعتى لاجعلنه الموكل بنارى وجنتى وأما أنت يا مسطاح فلك عندى ما تطاولت اليه يدك من الاحسان والفضل والامتنان فعند ذلك عطف مسطاح بجواده مبادرا الى نحو الامام رضى الله عنه فناداه الملك قف مكانك يا مسطاح فأمسك جواده ووقف مكانه فأمر له الملك بخلعة من الديباج وتاج مرصع بالدر واليواقيت والذهب الوهاج وعقد له قبة من آخر قبابه ثم قال يا مسطاح كن فى هذه القبة لتراك فى عين المهابة والفخار ويشاهد عليك من هذه المملكة آثار ثم خلع من أصبعه خاتما من ياقوت وقال يا مسطاح خذ هذا الخاتم وقل له هذا خاتم الامان من عند الملك وسير بين يديه الجنائب عليها سروج الذهب الاحمر وقد نثر على رأسه علين زاهرين والعبيد يقودون الجنائب وسار مسطاح الى أن وصل الى الامام رضى الله عنه ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل الى الامام نظر اليه والى زينته فظن أنه الملك الهضام فتأهب له الامام فلما أن قرب منه الامام وتقدم مسطاح صاح به الامام قف مكانك واحبس زمامك وحل لثامك واظهر كلامك فاللسان ترجمان الانسان فمن أنت يا هذا وفيم أقبلت فناداه مسطاح يا مولاى أنا رجل فى محبتك ومن أجلك مجروح وأنا بغير مطال ولا كثرة

مقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن ابن عمك محمدا رسول الله فناداه الامام سعدت ياهذا بالايمان فما الذى قدمت اليه وعزمت عليه فقال له مسطاح الاقرن يامولاى ان لى أمرا أتيت اليك مساعدا ومسارعا ولأمرك طائعا وأنا صاحب حصن الغواكه وان معى رجالا فى الحصن يسمعون قولى ويطيعون أمرى فان أحببت أن أرجع اليهم وأدعوهم الى الاسلام وما من الله به على من الايمان وأكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان وأتسبب أن ينقذهم الله من ضلالة الكفر والطغيان فانى لأمرك مطيع ولقولك سميع وانى يامولاى آمل من الله تعالى أن يكون هلاك القوم وهلاك عدو الله الهضام على يدى ان شاء الله تعالى فشكره الامام رضى الله عنه وجازاه خيرا وقال له يامسطاح من رب السماء ربه ومحمد المصطفى نبيه والاسلام دينه فعليه كل أمر يسير ثم قال ارجع الى أن يحكم الله بما يشاء ويختار ﴿قال الراوى﴾ فرجع مسطاح الى الملك الهضام وقد أشرق وجهه بنور الايمان فنظر اليه الملك فرأى نور الهداية يلوح من وجهه وعليه هيبة الاسلام فاستقبله الملك وقال له يامسطاح أرى وجهك منيرا وهو يدل على خير كثير فما الذى قلت وما الذى قيل لك فقال أيها الملك انى لما صرت من عندك وتوجهت الى ناحية القوم فمازلت سائرا الى أن أتيت الى رجل قل فى الناس مثله لا يجوز عليه خديعة ولا يخفى عليه مكر وانى ذكرت له مناقب الملك وكرمه وقوته وشدته ورغبته فى جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان ودخل تحت الطاعة والامان الا انه ذكر لى ان له معك خطايا وعتابا وأمرا أن يظهر عندك هنالك فى مشهد من قومك فلما سمع الملك الهضام من مسطاح ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وظن أن ذلك حق وغرق فى بحر التحير وأمر الناس بالنزول فنزلوا وتفرقوا فى تلك الأرض وكان الملك الهضام قد قادمعه أربعة آلاف مطية للنحر فغرق منهم فى تلك الليلة على القوم ما عمهم ودفع منها لمسطاح مائة ينحرها لأهل الحصن وقال يامسطاح خذ هؤلاء النوق انحرها لقومك ليكونوا معنا فى السرور ثم قال هذا يوم الاكرام واطعام الطعام وشرب المدام فقام مسطاح وقاد المطايا بين يديه الى أن وصل الى الحصن فجمع قومه وسائر أصحابه وقام فيهم كالخطيب وشوقهم الى الجنة وحذرهم من النار ورغبهم فى عبادة الملك الجبار ودعاهم الى الاسلام وشوقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفهم من ابن عمه على بن أبى

طالب رضي الله تعالى عنه فقالوا له ياسيدنا ما الذى تريد منا أن نفعله فقال لهم أن تقروا لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعند ذلك خر مسطاح ساجدا شكرا لله تعالى ثم قال لهم انحروا الآن الجزر على اسم الله تعالى فقد جمعت الآن فرحتان ونحن مسرورون بأخذ الأمان من ابن أبي طالب فابشروا ياقوم بأنى نجيتكم فى الدنيا من العار وفى الآخرة من عذاب النار فهذا ما كان من أمر مسطاح *(قال الراوى)* وأما ما كان من خبر الامام رضى الله عنه فانه حين رجع مسطاح من عنده نزل وأمر الناس بالنزول ثم جمع أصحابه وقال لهم كونوا فى مكانكم الى الفجر وأنا أرجو من الله تعالى أن تكون هذه الليلة آخر الليالى مع الكفرة اللئام فاستبشر الناس عند ذلك بقوله فلما أتى الليل وانسدل الظلام اضرمت المشركون النيران وتحارست الفتيان فلم ير الناس فى تلك الليلة أكثر حرسا على القوم من الامام حذرا من حيلة أو كبسة فى ظلام الليل فكان يحوم بنفسه على أصحابه اذ لاح له فارس يركض جواده ركضا خفيفا فامتشق الامام سيفه بيده ومازال سائرا الى أن وصل الى الفارس وهم أن يضرب به فصاح به فاذا هو مسطاح فقال له أهلا وسهلا ومرحبا يامسطاح ما الذى أتى بك فى هذا الوقت فقال له ياسيدى فرح عاجل وسرور شامل فيما أنت اليه متطاول فقال له الامام أتبشرنى باسلام قومك فقال ياسيدى قومى اسلموا وأبشرك بالوصول الى عدوك وعدوى المضام وان قومى الذين أسلموا أربعة آلاف فارس والملك المضام قد وصل الى فى عسكر قليل من قومه الكفرة اللئام واعلم يامولاى ان القوم متحيرون فتبسم الامام من قوله وقال له اخبرنى بالخبر على حقيقته فقال يامولاى انى لما رجعت من عندك قال لى الملك ما كان من خبرك يامسطاح وما قال لك هذا الغلام فقلت له أيها الملك انى لما سرت من عندك وتوجهت الى الامام فمازلت سائرا الى أن أتيت الى رجل قل فى الناس مثله وانى ذكرت له مناقب الملك وكرمه وقوته وشدته ورغبته فى جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان ودخل تحت الطاعة الا انه ذكر لى ان له معك خطابا وعتابا فلما سمع منى ذلك الكلام أولم للعسكر باذعانك وليمة عظيمة وفرح بذلك فرحا شديدا وظن ان ذلك حق وانما هو مكر منى وخديعة خدعته بها وقد كان أتى معه بأربعة آلاف ناقة للنحر فلما أخبرته انك دخلت تحت طاعته فرقها على سائر

القبائل جزر الكرم بها وأعطاني مائة ناقة وقال لى خذ هذه وانحرها لقومك ولأهل حصنكم فأخذتها وسرت بها حتى دخلت حصني وجمعت قومي ودعوتهم الى دين الاسلام فأجابوني عن آخرهم فقلت لهم الآن فانحروا واجزروا فنحرناها وسوينا الطعام والعرب كذلك واذا بالملك قد خرج في ألف غلام من خاصة قومه وهو يدور على قبائل العرب وهم جلوس فجعل يأكل من كل جفنة لقمة ليكون ذلك زيادة في اكرامهم فتقدمت اليه وقلت له أيها الملك ان قومك قد شملهم الاكرام لا كالك معهم الطعام من الخاص والعام وقومي متطاولون اليك ليكون لهم اسوة بالناس في الاكرام فلما سمع مني ذلك نهض معي دون غلمانه ومازلنا الى أن وصلنا الحصن وقد بسطت عرصات الحصن بالبسط والفرش وقد جلس الملك في ديوان الملك والغلمان من حوله وهو منتظر لقدومك والناس قد امتنعوا عن الطعام وهو بين أيديهم منتظرين اليك *(قال الراوي)* فلما سمع الامام ذلك الكلام من مسطاح تقلد بسيفه وتمنطق بجحفته وركب جواده وسار ومسطاح بازائه فلما وصلوا الى الحصن وجدوا الناس جالسين في انتظارهم فلما نظر أهل الحصن الى الامام رضي الله عنه وهو قادم عليهم ومعه مسطاح نادوا بأجمعهم أهلا بسيد الشجعان أمير المؤمنين وفارس الفرسان سيد الموحدين فناداه الملك الهضام أين كنت يا مسطاح فقال له أيها الملك كنت عند صديق لى ولك دعوته يأكل معك الطعام ليشمله من الملك الاكرام فلما نظر الملك الى الامام والى هول خلقته وكبر جثته وعرض منا كبه امتلأ قلبه خوفا وفزعا وقال من هذا يا مسطاح فقال أيها الملك هذا الذى ذكرت لك ان بينك وبينه خطابا وعتابا وشرا وطاوجوابا وقد أتى ليوافيك عليها فلما سمع ذلك تغير لونه وارتعدت فرائصه وهم بالكلام وهو لا يستطيع الكلام وقال ويحك يا مسطاح وايش يكون الخطاب والعتاب *(قال الراوي)* فكشف الامام عند ذلك لثامه وأظهر كلامه واخترط سيفه من غمده وقال ويحك يا مسطاح كيف تغني على الملك وهو لا يعرف الخطاب أنا أعرفه بنفسي أعلمك أيها الملك أنا ريب المنون أنا رحا الطاحون أنا فاتح الحصون أنا زوج البتول أنا ابن عم الرسول أنا سيف الله المسلول أنا ممزق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا الحسام القاضب أنا القرم الغالب أنا الأسد الطالب أنا فارس المشارق والمغارب أنا ليث بني غالب أنا أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب ثم تقدم اليه الامام فتواثب القوم وتركوا الطعام وأسرع مسطاح الى باب الحصن فأغلقه واخترط حسامه وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر يا لثام والتفت الى قومه وقال يا جند الله أظهروا سيوفكم فأظهر الناس أسيافهم ونادوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومال القوم بأجمعهم الى ناحية الامام رضي الله عنه وهو مضيق على المضام ودار القوم بالملك المضام وأصحابه فأخذ الامام بالضرب فيهم فناداهم الملك المضام مهلا مهلا يا قوم حتى ننظر كما نظرتم ونسمع كما سمعتم ونرضى لانفسنا كما رضيتم لانفسكم وان تكن الأخرى فالحرب والقتال بين أيديكم فناداهم الامام أيها الناس امهلوا عليه وتفرقوا عنه واتركوه فرجع الناس عنه وسيوفهم مشهورة في أيديهم *(قال الراوي)* ثم ان الملك المضام قال يا ابن أبي طالب عليك بالمهل واترك العجل فقد رفعت عندي منزلتك ولولا أنه لاح لي من أمرك الحقائق وبان لي الصدق لما بعثت اليك هذا الملك الغدار واستخرتك بروحي الى نعمي وأبحت لك حتى ونعمتي فلا يكون عليك اليوم في ذلك سبيل وان أردت أن تزداد من ذلك الاكرام فارم هذا الغدار منك بالسيف والانتقام واني لو أردت حربك لجار بتسلك ومعي مائة ألف عنان ولقد كان يجب على اللئيم مسطاح لما ان كان شرب من كاسك أن يصف لنا ما ظهر منك والآن قد مضى الأمر بعافيه وقد ملكت منا ورمانا بين يديك وفي قبضتك فاوردني المنهل البارد وأوضح لي الطريق للقاصد السالك فان سلكته اقلت وان تركته قتلت فلما سمع الامام ذلك من عدو الله المضام قال له اسمع الآن بأذنك وأوع بقلبك ان الله تعالى قد احل لنا سفك دماء الكفار والمشركين وان نملك أموالهم آمنين الامن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فمن قالها صادقا غير منافق كان لدين الاسلام موافق *(قال الراوي)* فلما سمع ذلك عدو الله المضام قال وهل فيه شيء غير ذلك فقال له الامام رضي الله تعالى عنه لا يكون شيأ غير هذا فقال المضام أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال له الامام عند ذلك قم بنا الآن ان كنت آمنت بالله ورسوله وادع قومك الى الاسلام وان كنت غير ذلك فالله أعلم انهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ومن خلق من أهل النار فلا يكون من أهل الجنة ومن خلق من أهل الجنة فلا يكون من أهل

النار

النار ثم قرأ قوله تعالى من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثم قال ياهضام انك والله أعلم لن تؤمن حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولكنك تكلمت بكلمة منعتنى عنك وهى كلمة النجاة التى قلتها والله يجازيك على ما أضمرت عليه فى قلبك ثم التفت الامام الى أصحاب الهضام وقال لهم ما أنتم قائلون فقال رجل منهم فأنا أقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فتأمله الامام فاذا هو جميل بن كثير العابدى الذى أرسله النبي صلى الله عليه وسلم امام الامام بالكتاب وارتد عن الاسلام فلما تحققه الامام عرفه تبسم ضاحكا وقال يا جميل لا جمل الله أمرك ولا رفع قدرك يا ملعون كفرت بعد ايمانك يا ويلك ثم وثب اليه الامام كأنه الاسد اذا عاين فريسته وضربه بذى الفقار من فوق رأسه فسقط نصفين *(قال الراوى)* فلما نظر ذلك الهضام قال له يا ابن أبي طالب ما أراك تبقى على من دخل فى دينكم ولا من شهد بربكم فقال الامام رضي الله عنه هذا رجل قد ارتد عن الاسلام وكفر بعد الايمان ولا أمان عندنا لمن يرتد عن الدين بعد اقراره لرب العالمين فانظر لنفسك وتدبر أمرك كيف شئت وأنشد وجعل يقول شعرا

هذا الجزاء لمن أراد فراقنا * وارتد جهلا عن ضيا الاسلام
انظر ياهضام نظر مفكر * لا تخدعن خديعة الأقوام
من فاز بالاسلام ثم بدا لنا * منه النفاق وباء بالآثام
غلا له كأس المنية مترعا * ونذقه من بحر الهلاك الطامى
ثم الصلاة على النبي محمد * مالاح بدر التم جنح ظلام

(قال الراوى) فلما فرغ الامام من شعره التفت الى أصحاب الهضام فقال لهم ما أنتم قائلون فقالوا والله ما نحول عن ديننا أبدا فقال الامام لسطاح هو وقومه دونكم وإياهم فما استتم كلامه حتى عطفوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم والهضام ينظر اليهم وهو يرتعد كالسعفة فى الريح العاصف حيث رأى الموت بعينه وقد يبس فى مكانه واصطكت أسنانه بعضها فى بعض فالتفت اليه الامام وقال له دونك وقومك ياهضام امض اليهم واسرع بالجواب فقد أمهلتك وأمهلت قومك وجميع من معك الى الصباح فمن أصبح وأتى الينا مسلما فله الامان عندنا ومن طلعت عليه الشمس وهو مصر على دينه فلا أمان له عندى الا السيف فتقدم الهضام الى جواده وركبه حين أعطاه الامام

الاذن بالخروج وكان لا يصدق بالخلاص أبدا فصار مسطاح وقومه يشيرون للامام أن لا يسمح له بالخروج لما يعلمون من كفره وخديعته فتبسم الامام رضى الله عنه من كلامهم ضاحكا حتى خرج الهضام من الحصن فلما خرج قال مسطاح يا أمير المؤمنين لقد أطلقت من يدك أسدا عظيما وقل ان يعودوا ان يقع فى يدك كما وقع هذه المرة فقال الامام يا مسطاح لقد حمى نفسه بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله ولا سبيل لنا على من قالها والليلة هذه آخر ليالية والله مهلكه ومؤذيه وانكم اتروت منه ومن صفه عجائب وغرائب ﴿قال الراوى﴾ ثم هم الامام بالخروج فقال مسطاح يا سيدى أما تأكل من طعامنا وتشرف وتسر قلوبنا بأكلك عندنا فانا قد ذبحنا على اسم الله تعالى فقال الامام انى أخشى على اخوانكم أن يطرقهم طارق من هذا الكلب المنافق فجاؤا بالأكل فأكل الامام رضى الله عنه فلما أكل حمد الله وأثنى عليه وركب جواده وهم بالخروج ووصاهم وقال اغلقوا حصنكم ولا تخافوا فانى راجع اليكم وأطلق عنان جواده وخرج من الحصن فنظر الارض وهى تموج من اصطكاك حوافر الخيل وصهيلها وقعقعة اللجم ورماحها وتصافح الرماح واشتباكها وطنين السيوف وزعاق الابطال وتلاحم القوم فى ظلام الليل فقال الامام رضى الله تعالى عنه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قال الراوى﴾ وكان عدو الله الهضام لما خرج من الحصن وفاز بنجاة نفسه أطلق عنان جواده حتى وصل الى عسكره وصرخ فيهم وقال يا ويلكم اركبوا الخيل واهجموا على القوم فى الليل فقد حصدوا قومكم بالسيف وقد كاد أن يحصد صاحبكم لولا سبق الاجل فاغتنموا غفلة القوم لان الامام ابن أبى طالب قد خلف أغنامه سائبة ثم عدل عدو الله بنفسه الى أصحاب الامام وحمل قومه فى أثره فلم يشعر أصحاب الامام الا وقد غشيهم جنود عدو الله الهضام وزحفت عليهم الرجال وتزاحفت بهم الأبطال وقد كان أصحاب الامام متأهبين للقتال كما أمرهم الامام رضى الله عنه وقد كان تولى حرسهم نافد ابن الملك والرغدا وجنبل وخالد وجويرثة وبقية القوم كل واحد منهم قابض على سيفه وعلى عنان جواده فلما سمعوا زعقة عدو الله الهضام على قومه فتواثب اصحاب الامام الى خيولهم كالاسود الزائرة أو كالبازات الطائرة واجتمعوا وألصقوا مناكبهم الى بعضهم والتفوا حتى صاروا كالحلقة الدائرة ثم قال بعضهم لبعض كونوا أشداد الأن آمير كم لا يغفل عنكم فاحتوت عليهم جنود

الملك المصنام من كل جانب ومكان وهم يظنون أنهم ظافرون بهم فلما التقى الجمعان علم أصحاب المصنام ان ما أملوه منهم بعيد والوصول اليهم صعب شديد ﴿قال الراوى﴾ فاشتد القتال وازدحمت الأبطال وصرخت الرجال واشتد الغضب وعظم الكرب ونادى أصحاب الامام الى أين يا أولاد اللئام أتحسبون أننا نيام وثار الغبار وقدح الشرار من حوافر الخيل الأشرار وصار الرجل لا يعرف صديقه من عدوه فبينما القوم كذلك اذ سمع الفريقان زجرات ونهرات وصرخات من عجاب وكان الامام رضى الله عنه قد أقبل وعلا صوته على جميع الأصوات فخمدت عند صرخته جميع الصرخات فلما سمعه أصحابه وهو يقول الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر يا لئام نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد معاشر المسلمين الصبر الصبر الجنة الجنة يا أولاد الكرام قد أتاكم الفرج من عند من لا ينام قد أتاكم الأسد الضرغام والبطل المقدام مفرجها عند الزحام واذا اشتد الكرب وعلا القتام ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب فارس المشارق والمغارب ليث بنى غالب أبو الحسنين على بن أبى طالب ثم أنشد وجعل يقول شعرا

أنا على خائض أهوالها * أنا على كاشف زلزالها
أنا أبو الحسنين سبط محمد * أنا لها أنا لها أنا لها
أنا على وابن عم المصطفى * هو خير من وطىء الثرى بنعالها
يا أيها المغرور أقبل لا تخف * فلتنظرن هممات ليث مجالها

﴿قال الراوى﴾ ثم حمل الامام عقب كلامه وكبر تكبيرة عظيمة فأجابه قومه عند ذلك بالتكبير لحمد الله وخمدت أصوات المشركين ولم يزل الامام رضى الله عنه يخترق المواكب ويشتتها وهو يضرب فيهم بالسيف يمينا وشمالا الى أن وصل الى قومه فى جنح الظلام وكان قد طعن الابطال وأردى الرجال فلما وصل الى أصحابه نادى معاشر الأصحاب قد أتاكم أميركم وحامى حومتكم احملوا بارك الله فيكم فحملوا وحمل الامام فى أوائلهم وعمد الى الكافر الغدار المنافق رأس الكفار وقال له هم الى الموت والدمار من الفارس الكرار قاتل الكفار ومبيد الفجار وقامع الأشرار وسائقهم الى الويل والدمار ومفنيهم بالصارم البتار فلم يرله الامام رضى الله عنه خبر ولا وقع له على أثر وقد اختلط بالقوم فى الظلام وأذاقوا بعضهم الويل الى أن كلت

الخيل من تحتهم وعمل فيهم بالحسام وتزلزلت الأقدام وأريقت الدماء وكثر البسلاء وعملت الصوارم وطارت الجماجم وتواثب الكرام وولى اللئام واشتد الزحام وعلا القتام وكانت ليلة بالحسامين ليلة مارأى الناس أعظم من قتالها ولا أشد من نزالها ولم ير مثلها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القوم كذلك الى أن طلع الفجر فافترق القوم عند الصباح وقد ملئت الأرض أشباحا بلا أرواح الى أن خاضت الخيل فى الدماء ﴿قال الراوى﴾ فلم يكن غير قليل من الليل حتى افتقد المشركون صاحبهم الهضام فلم يجدوه وافتقد المسلمون أميرهم فلم يروه فقلق كل من الفريقين على أميرهم فلا المشركون علموا بغيبة الامام ولا المسلمون علموا بغيبة الهضام فاشتد القلق من المسلمين على الامام فجعل ناقدينه وهو يقول شعرا

اثن غاب عنى شخص مولاى حيدر * فانى عليـه فى الأنام حزين
ولكننى أرجو من الله عوده * على حالة الاكرام وهو مصون
وصل على خير البرايا محمد * نبى الهدى للعالمين أمين

﴿قال الراوى﴾ فبينما المسلمون كذلك وقد فوضوا أمرهم الى الله عز وجل وقد أجمعوا أمرهم على أن يقاتلوا الى أن يفنوا عن آخرهم فبينما المسلمون فى أشد القلق والحيرة على الامام رضى الله عنه اذا ظهر فارس من عسكر المشركين الى أن قرب من عسكر المسلمين ثم نادى برفيع صوته معاشر العرب ان عرصات الحرب علوا ة قتلى منا ومنكم فهل تواعدونا ونواعدكم الى أن نحمل قتلانا وتحملوا قتلاكم وتريحوا خيلكم ونريح خيلنا بقية يومنا هذا الى غد اةغد فأجابهم المسلمون لذلك وفرحوا فرحا شديدا وهم يرجون أن يسمعوا للامام خبرا وكذلك المشركون يرجون أن يسمعوا عن الهضام خبرا فأخذ كل فريق قتلاهم وجدوا فى مواراتهم تحت التراب هذا ما كان من الاقوام ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين رضى الله عنه فانه كان يدور من حول العسكر فى القتال وهو يطلب عدو الله الهضام فلم يجده ولم يقع على خبره فى وقت الحرب فبينما هو كذلك اذ نظر الى عدو الله الهضام وهو خارج من معمعة الحرب هاربا على وجهه طالبا الى الحصن الذى هو حصن الحصون فخرج الامام رضى الله تعالى عنه فى أثره وكان الامام قد نزل عن جواد ه وجد السير وهو ماش على أقدامه وهو يقول توكلت على الله وكان رضى الله عنه اذا أراد السعى يسبق الخيل

السوابق وقد حاد عن الطريق بجواده لانه رضى الله عنه كان لا يتبع هازما فى طريقه قط فسار الامام وجد المسير والى الله المصير وهو ينشد ويقول شعرا

أسعى على اسم الله ذى الجلال * بعون مولى قادر فعال

أجندل الكفار فى النزال * وأضرب الهامات بالنصال

أسقيهم الويل مع النكال * باذن رب واحد متعالى

﴿قال الراوى﴾ ولم يزل الامام سائرا الى أن وصل الى الحصن الأقصى قبل أن يصل عدو الله الهضام اليه فنظر الامام الى الحصن فاذا عليه الحرس الشديد فاراد أن يصل الى باب الحصن فلم يجد اليه سبيلا فجعل يطوف حول الحصن يمينا وشمالا فاذا هو بخرق كانوا اصطنعوه لاجل خروج المطر منه اذا كان اجتمع فى الحصن فنظر الامام فيه فوجده ضيقا فشبك فى حجر بيديه وجذبه فاقتلعه من مكانه وأزاله من بنيانه ثم قلع آخر وآخر ولم يزل كذلك الى أن دخل الحصن والقوم لا يعلمون بشئ من ذلك بتوفيق الله تعالى ﴿قال الراوى﴾ وأقبل الامام يمشى فى الحصن كأنه يعرفه سابقا أو يعرف طرقه ومسالكه هدى من الله سبحانه وتعالى ولم يزل كذلك الى أن وصل الى القبة التى فيها الصنم وجعل يدخل من باب الى باب ومن بيت الى بيت ومن قبة الى قبة الى أن دخل الى القبة التى فيها الصنم وهو معلق فى الهواء والقناديل موقودة لا تطفأ لا ليلا ولا نهارا وليس عنده مساعد ولا خادم فنظر الامام الى الصنم فماج الصنم واضطرب فى القبة وتخبط فى حيطانها ورمت المردة الموكلون به بنيرانها وارتفع الصنم حتى صار فى سماء القبة ورمى الامام من أعلا القبة بالصخر والجنادل وخرج من فم الصنم لهيب النار حتى اشتعلت القبة بالنار وظهر للناس رؤس بلا أبدان وأبدان بلا رؤس فلما نظر الامام رضى الله عنه الى تلك الفعال من الصنم والشياطين والمردة لم يكبر عليه شئ من ذلك بل تبسم ضاحكا وصاح بهم يا ويلكم أنا من تعرفوه ولا تنكروه أنا البلية النازلة أنا الصاعقة عليكم أنا مفنيكم جيلا بعد جيل وقبيلة بعد قبيلة فهيهات هيهات أن يكون لكم على سبيل ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام رضى الله عنه من أوصافه ازداد الأمر وكثر الشر وهجمت النيران وعلا الدخان وتصاعدت الزعقات وعظم الشان ودارت المردة والشياطين حول الامام من كل جانب ومكان فلما نظر ذلك الامام رضى الله

عنه عزم عليهم باسماء الله العظام الذى تخضع لها الرقاب وشمر عن ساعده واستشق
سيفه من غمده وصاح بهم يامعاشر الفجار وقبائل الأشرار ومردة الكفار وسلالة
الفجار انكم لا تعلوا على ولا تصلون لدى أتاريب المنون ورحا الطاحون
ثم ضرب بسيفه فيهم يمينا وشمالا وهو يتكلم بكلام علمه له رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حجاب عظيم وهو حاجز عن الجن والمردة وجميع الأعوان الطاغين
وهو بسم الله الرحمن الرحيم سلام قولا من رب رحيم فعند ذلك خمدت نيرانهم
وذهب دخانهم وعاد الصنم المنيع ملقى صريع فأخذه الامام رضى الله عنه
ووضعه فى مكان آخر فهذا ما كان من أمر الامام رضى الله عنه (قال الراوى) وأما
ما كان من أمر المضام لعنه الله فانه لما سمع زعقات الامام ونهراته وزجراته وصرخاته
خاف خوفا شديدا وخشى أن يعرفه أو يعرف مكانه فى معمعة الحرب فجعل يحن عنه
يمينا وشمالا وهو يؤمل ان أصحابه يظفرون بأصحاب الامام رضى الله عنه فلما نظر الى
قومه وهم حاشرون مغلوبون خشى على نفسه أن يأتيه الامام رضى الله عنه بالصباح
ويراه فغافله وخرج من معمعة الحرب هاربا يركض جواده الى أن وصل الى الحصن
الأقصى وهو حصن الحصون وكان قد ترك فيه سرية من الرجال ومنعتهم الأبطال
فلما أن وصل الى باب الحصن صرخ بقومه فعرفوا صرخته فنزلوا اليه مسرعين وفتحوا له
الباب وسألوه عن حاله فلم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا غير أنه قال اغلقوا بابكم
واحفظوا حصنكم لئلا يدخل على ابن أبى طالب ولا تفتحوا لاحد ومضى هاربا
والى الصنم المنيع قاصدا فنزل عن جواده وجعل يهرول ويوسع فى خطاه حتى فتح
القبة ودخل الى الصنم مستغيثا ومستجيرا به فلما توسط القبة وكان الصباح قد أصبح
نادى الهه المنيع وقال الهى هل عندك ملاذ من سيف الامام على ثم رفع بصره اليه فلم
يره وطلبه فلم يجده فحار وذهل وجعل يمسح عن عينيه وينظر اليه فلم يلقه فقال ما أنا
وأنت الا فى البلية سواء فكلنا هارب من على بن أبى طالب فأما أنا فموجود وأما
أنت فمفقود ويا ليت شعرى هل نزلت الى الثرى أم طلعت الى السماء ووقف وهو حائر
(قال الراوى) فاذا بقائل يقول له لا نزل الى الثرى ولا طلع الى السماء بل نزل به
البلاء من يد الامام المرتضى فلما سمع ذلك المضام التفت الى ورائه فاذا هو بالامام
واقف يخاطبه فاندهش من ذلك وحار وقال يا ابن أبى طالب أنت من السماء نزلت

أم من الارض نبعت فقال له الامام أنا عليك ومحك أينما توجهت ثم انى لصفك أخذت وها هو بين يدى فلما نظر المضام الى صنمه وهو فى يد الامام رضى الله عنه أتى الى صنمه ومد يده اليه وجعل يقبله ويبكى عليه ويسأله ويتضرع اليه ثم أنشد وجعل يقول شعرا

قد بلغ الامر هل من مجير * وهل من معين وهل من نصير
وصعب الكرب وغاب المشير * والازمة اشتدت وعز النظير
وأيدى الاعادى بنا أنشبت * وهذا الاوان عسير عسير
فويل لنا ثم ويل لنا * فهذا على همام كبير

(قال الراوى) فلما فرغ المضام من كلامه انقض اليه الامام كأنه الاسد اذا ماين فريسته وقبض عليه قبضة عجز عنها ولوحه وجلد به الارض فقال يا ابن أبى طالب خذ الفداء عنى وعن صنمى المنيع الاله الرفيع فقال له الامام رضى الله عنه تعسا لك ولصنمك ولعن الله أباك وجدك وأمك ثم مد يده الى عمامته فحلها وأوثقه بها كتافا وتركه لا يستطيع يتحرك فبينما الامام رضى الله عنه كذلك اذ سمع صرخات قد علت وضجات وانت فلما تحقق ذلك ترك المضام فى مكانه وصعد حتى صار على أعلا السور وتخالط بالقوم وهم لا يعلمون ما حل بالمضام ولم يعرفوا الامام وهو بينهم كالاسد الضرغام (قال الراوى) فبينما هو ينظر على الوادى اذ رأى المنهزمين من المشركين متوجهين من حصن الفوا كه الى الحصن الاقصى من بين يدى المسلمين والمسلمون من ورائهم يأخذونهم من كل جانب ففرح الامام بذلك فرحا شديدا وسمع مسطاح الاقرن وهو ينادى الى أين يا أبناء الاراذل وريب المنون بكم نازل أيا عصابة الكفار ونسل الفجار الى أين تروحون والى أين تمضون فلما نظر الامام رضى الله عنه الى أفعال المسلمين فى المشركين زادت به الافراح وأيقن بالنصر والنجاح هذا والمشركون ينادون بأسرار بن طارق افتح لنا الباب فصرخ أسرار لا نفتح لكم الباب لئلا يدرككم على بن أبى طالب كل هذا والامام بينهم ولم يرد عليهم جوابا ثم امتشق سيفه ووثب فيهم وقال لهم ويلكم والويل لآبائكم وأجدادكم يا معاشر الاشرار وسلالة الفجار ها أنا على قد هجمت عليكم وطلعت اليكم فى الديار وملككم المضام اللعين الغدار أسير عندى وكسرت الحكم المنيع

وصنعت به ايشم صنيع ثم قال لهم ان سلمتم الى أنفسكم واستأثرتم الى باجمعكم والا محوتكم بهذا السيف عن آخركم فوثب اليه رجل منهم فضربه فقطع رأسه ومسكه من رجليه وضرب به الآخر فقتله وصرخ فى وجه الثالث فمات من صرخته ثم مسكه وضرب به الآخر فقتله والخامس قبض عليه وهو حى وضرب به السادس فقتلهما جميعا فلما رأى القوم الى ذلك من الامام صار بعضهم يتأخر الى ورائه الى أن يقع من أعلا الحصن على أم رأسه وبعضهم يتقدم الى ناحية الحصن فيقع فيموت ﴿قال الراوى﴾ فلما نظروا ذلك علموا ان لا طاقة لهم بالامام فنادوا بأجمعهم الامان الامان يا ابن أبى طالب وهو يلوح لهم يمينا وشمالا فقال لهم لا أمان لكم عندى حتى يكتف بعضكم بعضا وهو ينادى الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر نصر من الله وفتح قريب يا للشام فلما سمع المسلمون صرخات الامام من أعلا الحصن أجابوه بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلم تكن فرحة عند المسلمين أعظم من هذا الوقت لما رأوا الامام فوق الحصن وقد ملكه الله اياهم ولم يزل المسلمون يضربون بالسيف فى المشركين حتى حاروا واندهشوا وصاروا لا يدرون أين يذهبون فقال بعضهم لبعض يا ويلكم ان أقمتم ههنا أفنوكم بالسيف عن آخركم فى الحصن ولو لقيكم على بن ابى طالب فهو أعظم ممن قصدكم فانه لا يغلبه غالب ولا ينجو منه هارب فعند ذلك صاحوا بأجمعهم الامان الامان يا ابن أبى طالب فقال لهم الآن كتفوا بعضكم بعضا فأخذ القوم فى تكتيفهم حتى لم يبق أحد منهم الا وهو موثوق ﴿قال الراوى﴾ وأما المسلمون فانهم قد احتاطوا بالمشركين وأما الرغدا بنت الخطاف فانها حلفت بحياة رأس أمير المؤمنين ان لا ترجع عنهم حتى تذيقهم الحمام وتبيدهم بحد الحسام ثم نادت هل من مبارز للنزال هل من مناجز للقتال فأنا الاسد الضرغام والبطل المقدام فلم يكن فى القوم من يرد لها جوابا ولا يجسر أحد أن يرد عليها خطابا وكان القوم قد خمدت نيرانهم وعظمت عليهم البلية وقلت حيلتهم فلما رأت الرغدا رضى الله عنها ذلك منهم حملت على الميمنة فقلبتها ميسرة وعلى الميسرة فقلبتها ميمنة وأشارت على المسلمين بالحملة فحملوا حملة منكرة وكبروا معا حملتهم فارتج لذلك الوادى واشتد القتال وعظم النزال وعملت الصوارم وطارت الجماجم وكانت الرغدا لا تتوجه الى فرقة الا طحنتها طحن الحصيد وقتلت الفرسان وأبادت الشجعان

وهي تنادي الى أين يا اولاد اللئام فصارت الفرسان تحايد عن أمامها كتها حتى ظن أكثر الناس انها الأمام لقوتها وشدتها وقوة حطمها وهي تقول الصبر الصبر يا أولاد الكرام فبينما هم كذلك في شدة القتال واذا بعجاج قد طلع من ناحية حصن الفواكه وارتفع ذلك الغبار الى السماء ثم انكشف عن ألف فارس و بينهم فارس طويل على جواد سابق تلوح الشجاعة من بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه ولم يكن أسرع منه الى القوم ﴿قال الراوي﴾ فلما وصل الى القوم حمل هو وقومه على المشركين حملة عظيمة و وضع السيف فيهم ففرحت به المسلمون حين نظروه واذا هو مسطاح الاقرن وهو ينادي و يقول أبشروا بالنصر يا حزب الرحمن فأنا مسطاح الاقرن أنا قاتل الفرسان أنا مبيد الشجعان فلما سمع ذلك المشركون وقع بهم الذل والاحزان والخبل والخذلان وأخذهم السيف من كل مكان فقالوا لبعضهم يا ويلكم هذا جالب العطب وابن أبي طالب غائب وقد حلت بكم هذه النكائب فكيف اذا كان حاضرا فلو كان حاضر البليتم منه بالمصائب ولم يبق منكم ماش ولا راكب فارجعوا بنا الى حصن الحصون لعل أمرنا يهون وتسلموا من هذا الملعون فولت المشركون الادبار وركنوا الى الفرار وتوجهوا نحو الحصن والديار فعمل فيهم البتار وأخذهم السيف من جميع الاقطار وتبعتهم المسلمون الى آخر النهار فما وصلوا الى الحصن الا وقد حانت الشمس الى الغروب ﴿قال الراوي﴾ فلما وصلوا الى الحصن نادوا باسرار يا ابن طارق افتح لنا الباب هذا والمسلمون من ورائهم يضربون فيهم بالسيف حتى كلت النفوس وهم يضربونهم من كل جانب ومكان هذا والامام قد كتف الملك المضام في مكانه فسمع الضجات والصرخات والنهرات والزعقات وصعد الى أعلا الحصن فلما وصل المنهزمون الى أعلا الباب و زعقوا على اسرار بن طارق فلم يجبهم أحد وقد صار وافى أنفسهم وما تكامل عليهم الجيش حتى أظلم الليل * ثم ان سام نادى الى المشركين وقال يا معاشر العرب احملوا معا فما تسبرون ان حمل على المسلمين والمشركون معه وهو راكب على جواد غائر شائك في سلاحه مستحسن في صفاته أحسن من الغزلان في التفاته ومن الديك في معرفته وهو كما قال فيه الشاعر حيث قال

وابرش كالريح السريع اذا مشى * ويخترق الميدان في الجولان

يطير بلاريش بمن كان فوقه * ويتساب في الوادى بدون توانى
له قامة قد دورت ليس شاهقا * وما مثله في سائر العربات

﴿قال الراوى﴾ ثم ان سام ساق جواده في الميدان ونظر اليه المسلمون فعرفوه فنادته الرغدا ياغمام خذ حذرك من خصمك فانه معاند في الحرب فخليه عنك واتركنى لهذا اللئيم أدخله رمسه وأعدمه حسه فلم يقبل منها غمام بل انه همهم كانه الليث الهمام والاسد الضرغام واستقبل سام بقلب قوى فنظر اليه سام وقال له ويحك ياغمام تركت الملك المنيع وديارك وأهلك وعيالك وأموالك واتبعت رجلا سحارا فسحرك بسحره وعمى بصره وسوف تلقى من الملك الهمام من أنواع الانتقام فقاطع عليه الامير غمام وقال له ويحك ياسام يابن الكفرة اللئام دع عنك هذا الكلام ودونك وضرب الحسام وموارد الحمام ولسوف تعلم من يقع به الانتقام فلما سمع ذلك سام اشتد به الغضب وحمل على غمام وحمل كل منهما على صاحبه فارتجت منهما الارض بالطول والعرض وكانهما جبلان تصاعدا أو بحران تلاطما فتعاركا وتجاولا حتى شاهد الفريقان منهما مشهدا عظيما ﴿قال الراوى﴾ ثم ان غمام خادع سام وضربه ضربة أراد به قتله فتلقاها عدو الله سام بدرقته وكانت قد أحكمت من جلود الاسود فلم يعمل السيف فيها شيأ ثم نهض سام وضرب غمام ضربة فوصلت الى كتف غمام فجرحته جرحا هينا غير قاتل فولى غمام هاربا حين حس بالضربة نحو المسلمين فلحقه سام فتلقاه فارس من المسلمين وهو بطل صنديد غائص في الحديد وبيده سيف معتدل ثقيل ورمح طويل وهو راكب على جواد أبلق أصيل ماله في الخيل من مثيل يفرج عن راكبه الكروب عند شدة الحروب مدور الحدق كالنار اذا انطلق مليح الوجه حسن القامة وهو كما وصفه زيدان بن معاوية حيث قال شعرا

أبلق ذو طول مديد الذيل * رحب الذراعين شبيه السيل
سريع الانطلاق لا يلحقه * حتى الظبا ولا جواد الخيل

﴿قال الراوى﴾ فلما أن توسط ذلك الفارس الميدان ولعب بالسنان حتى حير الفريقين ثم كشف عن لثامه فاذا هي الرغدا ابنت الخطاف رضى الله عنها ثم انها جالت بين الصفين واستطالت وحملت على سام وزجرته ونهرته وقالت ياسام دونك وموارد

الحمام والضرب بالحسام فقددنا العمرك الانصرام وحل بك الانتقام من الرغدا بنت الكرام لانها كانت اذا زعقت على الوحوش تبطل قوتها وتقف مكانها فانظر لنفسك وتدبر أمرك فقد آن أوانك ورماك زمانك فغضب سام من كلام الرغد غضبا شديدا فما صبر دون أن حمل عليها حملة منكرة وضربها ضربة شديدة وأراد أن يجز الوعد فيها فحادت عنها واتقتها عن نفسها الا انها كانت تعلمت حيل الحرب من صغرها ثم انها داخلته وأرادت أن تقلعه من سرجه فما أمكنها فعاجلته وضربته بالسيف فأزالت رأسه عن جسده وكبرت وكبر المسلمون معها وقالت له خذها يا عدو الله من يدي وأنا الرغدا بنت الخطاف ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى المشركون ذلك ذهلوا وحاروا من فعل الرغدا ثم انها أوسعت في الميدان وأكثرت الجولان فما جسر أحد أن يخرج اليها ولا يبرز لقتالها فعند ذلك نادت يا أبطال الزمان ويا أهل الفتيان هل من مبارز هل من مقاتل فلم يجبها أحد فقالت لهم قولوا الى ما أنتم طالبون وما الذي أنتم عليه عازمون أبشروا بحلول المنون فأنا رحا الطاحون ثم أنشدت تقول شعرا

أيا أيها القوم الاولى حال بينهم * وجرتهم الاقدار نحو المقابر
لقد برزت رغدا اليكم ومن غدت * تبيد الاعادي بالسيوف البواتر
فهل فيكم من ينزل الحرب من فتى * صبور على ضرب القنا والشوافر
وأعدمه بالسيف حيلا ومهجة * وأسكنه رغما لحود المقابر
لقد غاب عنكم سيد القوم حيدر * ويعرف من قوم كرام أكابر
كريم يحامي عن خليل وصاحب * له حشمة ما بين باد وحاضر
ما تعرفوا قرما هجوما بنفسه * بكيد العدا ضربا بحد البواتر
واني لافديه بنفسي ومهجتي * أقاتل عنه في جميع المحاضر
لعلي أحظى بالشفاعة في غد * من السيد المرضي خير الاكابر
محمد المختار من آل هاشم * وأفضل من داس الثرى بالحوافر
وأفضل مبعوث الى خير أمة * بخير كتاب جاء من عند قادر

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغت الرغدا من شعرها جعلت تحوم بين الصفوف وهي تنادي هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل فلما رأى المشركون ذلك اشتد بهم الكرب

والبلاء نادوا بأجمعهم من وراء السور الامان الامان فقالت لهم الرغد الا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا فناداهم الامام من أعلا السور ارفعوا عنهم السيف الى أن آتيكم وخذوا القوم أسارى فلما سمع ذلك مسطاح نادى يامعاشر الناس ارفعوا عنهم السيف فقد أسر القوم أنفسهم عن آخرهم وأقبل ناقد على عمه غمام والرغدا و جنبل و جويرثة وخالد و جميع السادات يسلمون على بعضهم بعضا وأتاهم مسطاح الاقرن وسلم عليهم وصافحهم مصافحة الاسلام وفرحوا فرحة عظيمة وأشار لهم مسطاح أن ينزلوا عن خيولهم حتى يأتيهم أمير المؤمنين فنزلوا على باب الحصن وقد ضجت الارض من خيلهم وأسلحتهم وغنائمهم وتجددت المسرات و باتوا المسلمون وهم ينتظرون الصباح فلما أشرق ضياء الفجر أذن بينهم ناقد وأقام الصلاة وصلى كل منهم بأصحابه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه نزل من أعلا الحصن الى المكان الذى فيه الهضام وقال له ويحك ياعدو الله ورسوله وعدو نفسه ياويلك ما أنت قائل فقال الهضام اشهد على ياابن أبى طالب انك أخذت بسحرك جميع أولاد الملوك فما رأيت على وجه الارض أسحر منك ولا أبغض الى منك ولا من ابن عمك محمد فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا فما صبر دون أن قام اليه ومسكه من رجله و جلد به الارض فدخلت أضلاعه بعضها فى بعض وأخذه فى يده وأقبل الى باب الحصن وفتحه وأشرف على أصحابه وقال لهم ياقوم أبشروا فما بقى لكم معاند ولا مضاد ودسله الى أصحابه وأوصاهم بحفظه وقال لهم كونوا فى أمانكم حتى آتى اليكم ثم دخل الامام الحصن وأقبل على القبة التى فيها الصنم وحمله بشماله وأتى به اليهم فلما رآه الهضام قال ياابن أبى طالب أين ولدى ناقد وعمه علقمة وأخوه غمام وولدى غنام فقال له ياعدو الله أما غنام وعلقمة فقد صاروا الى الهاوية وأما ناقد وغمام فقد هداهم الله الى الاسلام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الهضام قال واأسفاه على هؤلاء الاقوام قد ملأت عقولهم بسحرك ياغلام فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا وقام اليه وعلقه فى يده اليمين وهزه هزا متداركا وألقاه على الارض مغشيا عليه وقال لقومه أوثقوه كتافا وقيدوه بقيد ثقيل فلعله أن يتوب ويرجع الى الله تعالى و يعتبر بما رآه من صنمه فأجابه قومه بالسمع والطاعة وقيدوه وأوثقوه كتافا ثم أمر باحضار الاسارى فحضروا وهم بين يديه وأعرض عليهم الاسلام فقالوا بأجمعهم نحن

نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ففرح بذلك أصحابه فرحا شديدا وقاموا اليه وسلموا عليه وهنوه بالسلامة والنصرة باذن الله تعالى وجلسوا يتحدثون معه على ماجرى له ولهم وقعد يحدثهم بخبر الهضام والصنم المنيع وما فعل بهم وكيف فعل بالمردة المتعلقين بالصنم من الاول الى الآخر ﴿قال الراوى﴾ واذا بالهضام قد أفاق من غشيته وقال يا ابن أبى طالب أشهد أنك سحرت بسحرك جميع من على وجه الارض ولا رأيت أسحر منك ولا من ابن عمك فلما سمع الامام قوله غضب غضبا شديدا فما صبر دون أن قام اليه ورفعه وجلد به الارض فأدخل أضلاعه بعضها فى بعض ولم يتحرك ولم ينطق وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتقدم الامام الى الصنم وأخذ صخرة عظيمة وضربه بها فقطعه قطعا وأمر به وبالهضام أن يحملوهم ويطرحوهم فى نارهم التى صنعوها وجعل عليها العبيد بانية وأخذ عبيدها ودخل الجنة التى صنعها وأخرج منها النساء والغلمان الذين أقامهم فيها بالخدمة وأخذ كل شئ كان فيها من الذهب والجواهر واليواقيت والاثواب والاوانى والحرير والثياب والفضة والزمردات الفاخرات وأحرق خمورها وكسر أوعيتها ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام رضى الله تعالى عنه من نقل الامتعة التى كانت فيها هدمها وأخربها وقلع أشجارها وردم أنهارها وأخذ ما فيها انتقل الى النار التى صنعها أخمد حرارتها وهدمها وأمر باحضار النساء والغلمان وزوجة الهضام وأولاده الصغار وأعرض عليهم الاسلام فأسلموا جميعا وحسن اسلامهم وأعادهم الى منازلهم وقد من الله تعالى عليهم بالاسلام بعد ان كانوا كافرين بالملك العلام القدوس السلام وأزال دولة الاصنام وايد دولة الايمان والاسلام ثم عمد الى قبة الصنم وأخذ كل ما فيها من الذخائر والامتعة والاموال واللآلئ والجواهر ثم أمر باحضار ناقد ابن الملك الهضام وعمه غشام وقسم بينهم ما كان فى الجنة من الفرش والحرير والحلل والتيجان واللؤلؤ والمرجان والذهب والفضة وجميع ما كان ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامام رضى الله تعالى عنه من ذلك أرسل الى جميع الحصون وأحضر أمراءهم بين يديه وأقام عليهم ناقدا سلطانا كما كان أبوه أولا وأوصاه عليهم وأقام بينهم شرائع الايمان والاسلام وأمر ببناء المساجد وتلاوة كلام الرحمن واكرام الفقراء والمساكين والايتام وأمر على حصن الحصون عمه غشام كعادته على حياة الهضام وأقام أياما قلائل وأراد أن

يتوجه الى مدينة يثرب لمشاهدة ابن عمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة ولك الثواب والأجر فيها فى الدنيا والآخرة فقال له الامام اسأل عما بدالك تعط كل ماتريد ان شاء الله تعالى فقال ياسيدى أريد أن أتزوج بالرغدا بنت الخطاف فقال له الامام السمع والطاعة وأرسل الى الرغدا وأعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة لله ورسوله ولك يا أمير المؤمنين فصنع لهم الامام رضى الله تعالى عنه ولمة عظيمة ولهابين العرب قيمة وذبح لهم الاغنام وحضر الانعام وكسا العريان من الكبير والصغير والغلمان وزوجه أمير المؤمنين بالرغدا فى تلك الليلة وأعطاها جميع ماتحتاجه النساء وأقام معها فى عيشة هنيئة واجتهد فى بناء المساجد الاسلامية حتى أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ولا يدوم الارب البريات ومفنى الارض والسموات ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه بعد أن صنع لهم الوليمة وأرخيت عليهم سرادقات الخلوة تجهز الى السير نحو مدينة يثرب فقام معه ناقد وكبراء قومه ورؤساء حصونه ومن معه من أصحابه المسلمين وساروا يودعون أمير المؤمنين فكان كلما أتى الى حصن من الحصون يقيم يوما أو يومين وهو يعلمهم فى شرائع دينهم حتى خرج من الحصون وناقد معه وقومه يشيعونه ويودعونه فأمرهم الامام بالرجوع وسار وجد فى السير وكان كلما أتى الى حصن يقسم غنائمه ونعائمه خمسة أخماس ويعطى الامير الذى فيه هو وقومه خمسا ويحمل الاربعة أخماس الى بيت مال المسلمين وسار والعلم الانور الذى اغتنمه منصوب على رأسه الى أن أتى المدينة المنورة ﴿قال الراوى﴾ فلما قرب من المدينة هبط جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وبشره بقدوم الفارس الهمام والبطل الضرغام ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وبشره بما فتح الله على يديه وقتل عدو الله الهضام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين والمهاجرين والانصار الى البراز لملاقاة على الكرار ففرحوا بذلك فرحا شديدا وركبوا خيولهم وركب النبى صلى الله عليه وسلم وركبت أهل المدينة لملاقاة الامام رضى الله عنه فلما قربوا منه وتلاقوا به تعانق النبى صلى الله عليه وسلم بالامام وضمه الى صدره فضمه المسلمون والجيوش كذلك وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأخذ النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم الغنائم والعلم الانور الذى جاء بها الامام رضى الله تعالى عنه وفرقها على أهل المدينة الكبار والصغار ولم يترك أحدا من المسلمين الا وأعطاه نصيبه من ذلك وكانت مدة غياب الامام رضى الله عنه ورجوعه أربعين يوما هذا ما كان من الكلام على قصة فتح حصون الهضام على التمام والكمال والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى نور قلوب العارفين بالدين القويم وهداهم بطاعته الى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على رسول الله الذى نسخت شريعته جميع الشرائع وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله نقمة على أعدائه *(وبعد)* فقد تم طبع هذه القصة الغريبه والسيرة الحسنة الفريده لمزق الكتائب ومظهر العجائب القرم الطالب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وما جرى منه مع اللعين عدو الله الهضام من أنواع البسالة فى الحرب من الطعن والضرب وخروجه من المدينة وحيد فريدا الى أن نصره الله على أعدائه وفتح الحصون ورده سالما غانما مع أصحابه بمنه وكرمه وذلك بالمطبعة العامرة العثمانيه التى محل ادارتها بمصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق الفاضل الكامل حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه فى الدارين مأمله ولاح بدر التمام وفاح مسك الختام فى أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٧ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأزكى

